الدر الفاخر
في خبر الأوائل والأواخر

من الورقة ٤١ ب حتى الورقة ٨٥ أ

لمؤلفه

عبد الهادي بن محمد صالح الطاهر المكي
المتوفي سنة ١١٣٨ هـ

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث

دراسة وتحقيق الطالب /
ناصر بن محمد بن زيد الشريف

بإشراف الأستاذ الدكتور /
عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش

جامعة أم القرى
UMM AL-QURA UNIVERSITY

١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م

الدر الفاخر في
خبر الأوائل والأواخر

من الورقة 41 ب - 85 أ

المملكة العربية السعودية - وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر

من الورقة ٤١ب إلى ٨٥أ

لمؤلفه/

عبدالهادي بن محمد صالح الطاهر المكي

المتوفي - رحمه الله - سنة ١١٣٨ هـ

دراسة وتحقيق الطالب :
ناصر بن محمد بن زيد الجيزاني الشريف

بإشراف الأستاذ الدكتور :
عبداللطيف بن عبدالله بن دهيش

النسخ الالكترونية :
النسخة الأولى 1443-2022
النسخة الثانية 1444-2023
النسخة الثالثة 1445-2024

مقدم ومصمم من ناشر الكتب في قناة صفحات تاريخية

تمت التصميم والنقل والحمد لله
من اخوكم : راكان الطويّل
22-2-2024

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله حمد الشاكرين، حمداً يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، ونصلي ونسلم على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً، وأنت إن شئت تجعل الصعب سهلاً برحمتك يا أرحم الراحمين. سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

أما بعد :

فإن الله تعالى شرف مكة المكرمة بالعز والتعظيم قديما وحديثا، وهي البلد الحرام، أحبُّ بلاد الله إلى الله، وأحبها إلى رسوله، وهي قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم وملتقى حَجِّهم، ومجمع وفودهم، حرّمها الله تعظيماً وإجلالاً يوم خلق السموات والأرض، فيها الكعبة المشرفة أول بيت وضع لعبادة الله على الأرض، فجعل فيه الأمان ومن حوله حتى شمل ما فيه من الشجر

والنبات فلا يقطع شجره، ولا ينفر صيده، وجعل ثواب الأعمال فيه أفضل من ثوابها في غيره، فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة، ومن عظمة البيت أخذت مكة عظمتها ومن حرمته كانت حرمتها ومن أمانه كان أمانها حيث قال الله تعالى عنه :

[إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ { 96 } فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ الله غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ { 97 }] سورة آل عمران

وأقسم الله تعالى بها لنبيه على عِظمَ قدرها فقال :

[لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ. وأنتَ حلٌ بهذا الْبَلَدِ] .

و بعد أن سكنَ إبراهيمُ وولدُه إسماعيلُ عليهما السلامُ وزوجتُه هاجرُ مكةَ دعا إبراهيمُ عليه السلام لها و لأهلها بأن يجعلَ هذا البلدَ آمناً وأن يجنبَ بنيه عبادةَ الأصنامِ، ودعا أن يجعلَ قلوبَ المسلمين تهوي إليهم وإلى بلدهم، ودعا أن يرزقهم من الثمراتِ، حيث قال الله تعالى :

[رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلاَةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ]

وقد بَيَّنَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - مكانَتها وحبَّه لها بقوله :

"واللهِ إنك لخيرِ أرضِ اللهِ، وأحب أرضِ اللهِ إلى اللهِ، ولولا أني أُخرِجتُ منك لما خَرجتُ" .

وهي مهبطُ الوحي الرباني الذي نزلَ به جبريلُ عليه السلامُ على محمد - صلى الله عليه وسلم - في غار حراءِ، ومنها شع نورُ الإسلامِ حتى عَمَّ معظمَ أنحاءِ المعمورةِ.

وقد اهتم العلماءُ والمؤرخون في تسجيلِ حوادثها وبسطِ أخبارَها في كتب طيلة الأزمنةِ الماضية وكانَ من تلك الكتبِ، كُتبٍ السيرة كالسيرة النبوية لابنِ إسحاق، والسيرة النبوية لابنِ هشامٍ، وتاريخ الطبري، والبداية والنهاية، وكتب خاصة بمكةَ كأخبارِ مكةَ للأزرقي، وأخبار مكة في قديم الدهر وحديثه للفاكهي،

أعلام الورى في أخبار أم القرى لابن فهد، ومنائح الكرم في أخبارِ مكةَ والبيتِ وولاةِ الحرمِ للسنجاري، وغيرها من كتب التاريخ المكية، لذا كان من الواجب على طلبةِ العلم وخاصةً الباحثين وطلاب الدراسات العليا في الأقسام التاريخية من المهتمين بالتراث والحضارة الإسلامية، أن يبذلوا جُلّ اهتمامِهِم في البحثِ الجاد عن هذا البلدِ الأمينِ حتى يتعرفَ الناسُ على تاريخِها بصورةٍ واضحةٍ ودقيقةٍ فتاريخُها يعتبرُ من أفضلِ ما يقدّمُ للعالمِ الإسلامي، لأن قلوبَهم مرتبطة بها في مشارق الأرضِ ومغاربها فهي قبلةُ المسلمين ومنها بدأ الإسلامُ ونزلَ الوحيُ بالقرآن فظهرت عظمةُ الإسلامِ ومنه شعت حضارةُ الإسلامِ.

لهذا كلِّه أردتُ أن يكونَ موضوعُ بحثي في مرحلة الماجستير تحقيقاً لمخطوط يتعلقُ بتاريخِ مكةَ لأحدِ العلماءِ المكيين، ومن خلال البحث والتحري في المكتباتِ، والفهارسِ العامةِ والخاصةِ وقع اختياري على مخطوطة بعنوان: الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر في مكتبةِ الحرمِ الشريف للشيخ عبد الهادي بن محمد صالح الطاهر الشافعي المكي إمامِ وخطيبِ المسجدِ الحرامِ، وتعتبر من أهم المخطوطات التي أوضح فيها عبد الهادي :

- بداية موجزة عن نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ثم رصد تاريخَ الخلفاءِ الراشدين والسلاطين المسلمين وعلاقتِهم ببلدِ اللهِ الحرامِ.
- ذكر أدق التفاصيل عن تاريخ مكة ومن تولى إمارتها وخاصة من أشراف مكة وولاتها حتى زمنه وعلاقتهم بالقبائل المحيطة بمكة.
- تعرض لعمارة المسجد الحرام في عهد السلاطين العثمانيين،ومدارس مكة وارتباطها الوظائفي في ذلك الزمن من إمامة المسجد الحرام والخطابة فيه، والإفتاء والقضاء وغيرها .
- بين أخبار تتعلق بالحياة الاقتصادية والتجارية بمكة المكرمة، وارتباطها بجدة .
- ذكر أخبار الحياة العلمية بمكة و ذكر أخبار العلماء ومؤلفاتهم .
- ذكر بعض الصراعات التي كانت دائرة بين الأشراف أو الأشراف والصناجق أو القبائل المجاورة .

• ذكر ما كان يتعرض له الحجاجٍ من متاعبٍ وعناءِ وصراعٍ في موسم الحج.

وعلى هذا فالمخطوط التي تقع لوحاته في ١٢١ ورقة ، فالقسم الأول من ورقة (١) إلى ورقة (٤٠) لا يهمني تحقيقها لأنها تتحدث عن التاريخ الإسلامي، أما القسم الذي قمت بتحقيقه فهو من ورقة (٤١ ب) أي من أول القرن العاشر من سنة ٩٠١ هـ حتى ورقة (٨٤ أ) أي نهاية القرن الحادي عشر سنة ١١٠٠ هـ.

والقسم الآخر من ورقة (٨٤ أ) إلى ورقة (١٢١ أ) كان من نصيب الباحث: محمد بن مبارك الجهني .

وقد اعتمدت في التحقيق على النسخة الموجودة في مكتبةِ الحرمِ المكي تحت رقم (٣١) علما بأن هناك نسخة أخرى مصورة في معهدِ البحوثِ بجامعةِ أمِّ القرى رقم (٢٥) تاريخ وهي طبق الأصل (أي صورة منها).

وبعد أن اطلعتُ على النسخةِ الأصلية الموجودةِ في مكتبةِ الحرمِ الشريفِ وقمتُ بقراءتها اتضحَ لي ما تحويه هذه المخطوطة من أهمية عن تاريخ مكة .

أما الأسباب التي دفعتني لاختيار الموضوع فيمكن إجمالها في :

1- إبراز أحدِ المخطوطات التي تحدثت عن أطهر بقاعِ الأرضِ مكةَ المكرمةِ، مع إبراز مؤلفها كأحد العلماء المكيين.

2- الاشتراك مع زملائي في إخراج هذا الكتاب في أسلوب سلس يكون في متناول القارئ.

3- الشعور المفعم بالمسئولية تجاه هذا الإرث الحضاري الذي تُرك لنا عن مكة المكرمة .

4- رغبتي في نيل المثوبة من الله عز وجل بتقديم ما آمل أن يكونَ ذخراً إلى يوم الدين،لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -

"إذا ماتَ العبدُ انقطع عملُه إلا من ثلاث : من صدقة جارية، أو علمٌ ينتفعُ به، أو ولدٍ صالح يدعو له ".

وعندما بدأت بالتحقيق واجهتني بعض الصعوبات منها :

- أن النسخة التي اعتمدت عليها هي النسخة الوحيدة فقط .
- وجود أعلام أوردها المؤلف في ثنايا النص لم أتمكن من معرفتهم في المصادر، حيث يذكرهم بالكنية أو اللقب أو الاسم الواحد فقط،فيصعب التميز والحصر لمثل هؤلاء.
- وجد بعض من السقط وعدم الوضوح .
- وجود الأخطاء الإملائية واللغوية والنحوية وكذا اللهجة العامية .
- وبهذا فقد اعتمدتُ على المصادرِ التي كانت في تلك الفترة.

أما خطة البحثِ فكانت على النحو التالي :

مقدمة ذكرت فيها أهمية الموضوع،وأسباب اختياري له وقسمان . (قسم للدراسة، وقسم للتحقيق).

- فالقسم الأول قسم الدراسة ويشتمل على فصلين، كل فصل به عدد من المباحث :

- الفصل الأول : تمهيد عن الأوضاع السائدة في تلك الفترة

المبحث الأول : اسمه ونسبه وكنيته، ومولده، ووفاته .

المبحث الثاني : شيوخه وطلبه للعلم.

المبحث الثالث : آثاره العلمية ومؤلفاته.

المبحث الرابع : عقيدته ومذهبه الفقهي.

المبحث الخامس : الكتب التي ألفت في تاريخ مكة واستفاد منها المؤلف ومنها موارده.

- الفصل الثاني :

التعريف بمخطوط الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر وفيه المباحث التالية:

المبحث الأول : التعريف بالمخطوط وأهميته .

المبحث الثاني : وصف النسخة الخطية المخطوط.

المبحث الثالث : نسبة المخطوط لمؤلفه.
المبحث الرابع : منهج المؤلف في المخطوط.
المبحث الخامس : المنهج المتبع في تحقيق المخطوط

- القسم الثاني، قسم التحقيق: ويشتمل الأسلوب المتبع في التحقيق حسب خطة كلية الشريعة الإسلامية

هذا وقد صنعت للبحث الفهارس الفنية اللازمة والتي تضمُ المصادرَ والمراجعَ التي اعتمدتُ عليها في التحقيق، وفهارسِ الآيات، والأعلامِ والأماكنِ، والشعوب والقبائل، والمصطلحاتِ.

شكر وتقدير

الحمدُ لله له الفضلُ والشكرُ،نحمده على توفيقِهِ وعونِهِ وهُدَاهُ، ثُمَّ الصلاةُ والسلامُ على إمام المتقين سيدِ الأولين والآخرين، محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين . وبعد

من لا يشكرُ الناسَ لا يشكرُ اللهَ، يسرُني ويسعُدني أن أتقدمَ بالشكرِ الجزيلِ إلى جامعةِ أمِّ القرى متمثلة في كلية الشريعةِ والدراسات الإسلامية.

فالشكرُ لله أولاً وأخيراً الذي أَعانني على إتمام هذا البحثِ المتواضعِ، ثُمَّ لسعادة الأُستاذِ الدكتورِ عبدِ اللطيفِ بن عبدِ اللهِ بن دهيشِ، الذي منحني جُلَّ وقتهِ، وعُصارةِ فكرهِ في الملاحظاتِ والتوجيهاتِ التي كان أثرُها ملموساً

وواضحاً على هذا البحثِ الذي هو اليوم بين أيديكم، أسألَ اللهَ أن يجزيه خيرا على ما فعل.

والشكرُ موصولاً لعميدِ كليةِ الشريعةِ، الدكتورِ سعودِ بنِ إبراهيمِ الشريمِ، ورئيسِ قسمِ الدراساتِ العليا التاريخيةِ والحضاريةِ الدكتورِ عبدِ اللهِ بن حسين الشنبري، والدكتورِ .عبد اللهِ بن سعيد الغامدي رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية سابقاً، والدكتور عدنان الحارثي.

ولا يفوتُني أن أشكر كلاً من الشريف محمد بن منصور، والأستاذ محمد الغامدي أمين مكتبة النادي الأدبي بالطائف، وجميع أساتذة قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، والشكر موصول لكل من مد لي يدَ العون أو أرشدني أو وجهني.

وفي الختام أتوجه بعظيم الشكر والامتنان إلى الأستاذين عضوي لجنة المناقشة

١- أ.د. يوسف بن علي الثقفي

٢- د. خلف بن دبلان الوذيناني

على قبولهما مناقشة هذا البحث وما سيبذلانه في تقويمه، راجياً أن أكونَ أهلاً للإفادة من توجيهاتهما ولتكن محل اهتمامي.

وأخيرا لكل من ذكرت ولمن فاتني ذكره ممن أعانني بأي شكل خالص شكري وتقديري . والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه.

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين ، والحمدُ للهِ الذي شرف الإنسان، وزينـــه بالنطق والبيان، وترجم عما في ضميره بالسان، فكان مفضلا على جميع الحيوان، أحمده سبحانه الكريم المنان، وأشكره على ما أنعم من جزيل الإحسان، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أفوز بها يوم البعث والنشور، وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم يبعث من في القبور.

أما بعد :

فيقول الفقير إلى الله تعالى الملتجئ بربه الغافر : عبد الهادي بن محمد صالح الطاهر

" سنح لي أن أجمع تاريخاً؛ ليكون تذكرة لأولى الأبصار، وعبرة لأولي الاعتبار، فابتدأه على طريق الإجمال بمن تولى من الخلفاء، والملوك،

والسلاطين، ناقلاً مستمداً من تاريخ مولانا وسيدنا العالم العلامة، والقدوة الفهامة، مولانا محمد بن شيخ الإسلام مولانا الإمام علي بن مولانا الإمام فضل الطبري الحسيني إمام المقام الإبراهيمي وغيره من التواريخ. وما كان مفصلاً،فمن دولة مولانا الشريف زيد، ومن بعده فبالمشاهدة سميته الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر،اقتداءً بمن سلف من العلماء والمؤرخين الوارثين العلم من الأنبياء والمرسلين . "

المؤلف : عبدالوهاب محمد صالح الطاهر

تمهيد

في الوقت الذي أخذت فيه أحوال دولة المماليك في التدهور، ونتيجة للتحركات الصليبية من جانب الأسبان والبرتغاليين الذين حاولوا تطويق العالم الإسلامي من البحر المتوسط، والمحيط الهندي بعد أن نجحوا في الوصول إلى رأس الرجاء الصالح، والوصول إلى الهند، وعجز المماليك في صد الخطر الصليبي البرتغالي الأسباني، بالرغم من كل المحاولات المبذولة لذلك، وبالرغم من مساندة الدولة العثمانية لهم في حربهم،لذلك ظهر العثمانيون إلى الساحة لصد الخطر البرتغالي، والاسباني،وعدم تمكينهم من الوصول إلى الأماكن المقدسة، في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وكذلك صد الخطر الصفوي الذي أخذ يعمل على نشر المذهب الشيعي .

لذا ظهر العثمانيون على مسرح الأحداث قوة فتية؛ مما أهلهم لتولي زعامة العالم الإسلامي، وقد بدأوا في تولي مهام الزعامة فعلا بالمشاركة في الدفاع عن الحرمين الشريفين وحمايتها؛ وبتقوية صلاتهم بالمسلمين في كل مكان.

ومع ذلك حرصوا على حصر خلافاتهم مع المماليك في النطاق الإقليمي، ولكن تطور الموقف أدى إلى توتر السلطان الغوري، ودفعه إلى الزج بقواته في حرب لم يكن من السهل التغلب فيها؛ لذلك لقي السلطان الغوري مصرعه في معركة مرج دابق وانتصر العثمانيون ولُقِّب السلطان سليم الأول بخادم الحرمين الشريفين بعد دخوله دمشق عام ٩٢٢ هـ ١٥١٦ م ، وقبل دخوله القاهرة أعلن أن السبب الرسمي الذي يدعوه للقضاء على المماليك هو الحلول محلهم في حيازة المقدسات وخدمتها. لذلك نجد أنه ما إن قضى العثمانيون نهائياً على دولة المماليك بعد موقعة الريدانية حتى شرعوا في إيصال نفوذهم إلى الحرمين وتدرج وصول النفوذ العثماني المباشر إلى مكة، فقد عدت في حكم التبعية للعثمانيين بمجرد تغلبهم على المماليك ودخولهم للشام ثم مصر، حيث خطب لسليم الأول فيها، مضافاً إلى ألقابه، عبارة خادم الحرمين الشريفين، ثم أعلن بعد ذلك إلحاق الحجاز رسمياً بالدولة العثمانية، بقبول الشريف بركات أمير مكة الخضوع لسلطتها، وبعد ذلك دخل التمثيل العثماني في المنطقة مرحلة عملية جديدة، بإقامة سنجقة في جدة كمراقبة لإمارة مكة على مبدأ توازن القوى الذي عمل به العثمانيون في إدارتهم لكثير من المناطق التابعة لهم.

وكان أول من عين نائباً لهم قاسم الشرواني، حيث كان والياً ذلك المنصب منذ عام ٩١٨هـ ١٥١٢ م ، ثم خدم العثمانيين بعد دخولهم مصر وتقرب إليهم. بينما أوكل السلطان سليم الأول للشريف بركات أمير مكة في المرسوم الذي بعثه إليه مع ابنه أبي نمي عندما قدم إلى القاهرة ليقدم الولاء للسلطان سليم الأول فأقر والده على الحجاز كله، وأطلق سلطته فيه، كما أن السلطان أسند إليه مهام أخرى وهي تمثيل السلطة العثمانية في اليمن والهند، حيث المجابهة مع الاستعمار البرتغالي الذي دخل هذه المنطقة، وأخذ يشن الغارات

على الأراضي الإسلامية وخصوصاً عدن وجدة. مما حمَّل والي جدة مهام الدفاع عن هذا الميناء.

وعن هذه المهام الملقاة على شريف مكة يقول ابن إياس :

" وأنصفه غاية الإنصاف، فتزايدت عظمة الشريف بركات إلى الغاية "

الفصل الأول - مكة والحجاز

أولًا : نظام الحكم في مكة المكرمة في بداية العهد العثماني
ثانيًا : الحجاز في عهد السلطان سليمان القانوني والشريف أبو نمي
ثالثًا : الحياة الإجتماعية
رابعًا : العادات الدينية والعلمية
خامسًا : الحياة الثقافية

أولًا :
نظام الحكم في مكة المكرمة
في بداية الحكم العثماني

كان العثمانيون في بداية حكمهم يبقون عادة على نظم الحكم المحلية في البلاد التي يدخلونها في صورتها السابقة لكنهم يعملون بعد ذلك على تعديلها ومواءمتها تدريجياً لتتناسب مع الإطار العام لسياسة دولتهم.

أهتم السلطان سليم الأول بالجانب السياسي قبل غيره، بأن عمل على ضمان تثبيت واستمرار تبعية الحجاز للعثمانيين، وكان سبيله إلى ذلك الإبقاء على قاعدة توازن القوى التي كانت متبعة في الحجاز والممثلة في إمارة الأشراف بمكة، ونيابة جدة، وقضاء مكة، وقد ربط السلطان العثماني تعيين أي من هذه القيادات الثلاثة بمركز الدولة، وأعطاهم الحق في الرجوع للدولة عند استحداث أي من أحداث طارئة يرون مناقشتها مع المسئولين بالعاصمة إسطنبول. وبذلك حقق السلطان سليم الأول نفوذاً عثمانياً دائماً في الحجاز، ثم ألحق الحجاز بمصر إدارياً ومالياً، وبذلك أضاف عنصراً رابعاً للقوى المؤثرة فيه، ويظهر ذلك جلياً في الخطبة على منبر الحرم المكي الشريف، حيث كان يُدْعَى للسلطان، ثم للشريف بركات، ثم أمير مصر، فقاضي مكة، فنائب جدة، ولكن النائب احتج على ذكر اسمه بعد القاضي، فذكر اسمه قبل القاضي.

وفي ظل هذه التعددية طوّر العثمانيون نظاماً إدارياً وعسكرياً ومالياً وقضائياً ذا طابع فريد، اشتركت في تنفيذه كل الأطراف السابقة،فمن الناحية الإدارية لم يطبق العثمانيون أي نوع من أنواع تقسيم الإقطاع الحربي على الحجاز، بل أسند حكمه لشريف مكة كوحدة سياسية واحدة كما كان وضعه سابقاً، كما أصبح للشريف نفوذ على جدة، على الرغم من أنها مقر للسنجقية التي أوجدها العثمانيون في الحجاز منذ بداية عهدهم. وحتى بعد أن ألحق إقليم الحجاز بالإدارة المصرية، فإن الشريف استمر في إدارته بقسم التنظيم بشقه الحضري المختص بالمدن والقبلي المتعلق بشئون البادية.

ففي جدة أعاد الشريف تعيين وزيرها محمد بن راجح بن شميلة الحفصي عام (924 هـ - 1518 م) ، وأبقى علي بن الجنيدب في منصب والي مكة، وناب عن الشريف في المدينة المنورة ابن عمته فارس بن شامان الحسيني، على سابق عهده وكان للمحتسبين وأصحاب السوق التابعين للشريف نشاط ملموس في مكة وجدة.

وقد مثلت سنجقية جدة النفوذ السياسي الرسمي والعسكري في الحجاز، وكان لها إلى جانب ذلك دور إداري، ومالي مهم تنفذه مجموعة من الموظفين التابعين لسنجقها، وأبرزهم في عهد السلطان سليم الأول، القاضي زين الدين الذي ولى الإشراف على عدة وظائف مالية وإدارية أهمها الحسبة، والتي كانت عصب دخل مكة.

كما كان السنجق يتولى تعيين موظفي الحرم ويشارك في تيسير أداء الحجاج لمناسكهم وفي الإشراف على المشروعات الإنشائية في الحجاز، فكان أولها تعمير مقام المذهب الحنفي في الحرم الشريف نظراً لكون هذا المذهب هو مذهب الدولة العثمانية الرسمي، ثم أعمال الصيانة لبعض الأماكن الأخرى بمكة، وأبرز اختصاصاته مراقبة استيفاء رسوم جمرك جدة، وصرف رواتب الموظفين والقضاة، والصرف على المنشآت والإصلاحات، لذلك كان كثير من الخلافات مع السلطة بمصر، والشريف بمكة حول هذه الإنفاقات.

وفي الجانب العسكري، لم يفرض العثمانيون على الحجازيين الالتزام بالتجنيد الإجباري، أو بالمشاركة مع الدولة في حملاتها الخارجية، عدا ما ألزم به الشريف بركات تجاه اليمن والهند، وكان لشريف مكة حامية عسكرية قدرت في وقت من الأوقات بخمسمائة جندي، وقد ذكر فيما سبق أنه لم يكن بإمكان أي طرف من الأطراف زيادة أتباعه زيادة كبيرة بسبب قلة الموارد والخوف من التمرد

والانسلاخ عن جسم الدولة العثمانية، وحصرت مهام الجند النظامي التابع للشريف في حمايته الشخصية والإسهام في حفظ الأمن في المدن، فكان حاكم مكة من قبل الشريف في بداية العهد العثماني هو القائد مبارك بن بدر، وحاكم جدة هو القائد جوهر العراقي. وأما حملات الشريف ضد القبائل فقد كان جنوده من رجال القبائل الموالية له، ومن المتطوعين من أهل المدن وليسوا من فرق الجند النظامي السابق ذكرهم.

أما الفرق العسكرية المصاحبة لقافلة الحج، فكانت مهمتها حماية الحجاج على طول الدرب من هجمات العربان واللصوص، حيث كان لها دور كبير في مكة إذا حدث ما يستدعي ذلك، مثال ذلك يقول الجزيري :

" ... فحينئذ سطا عساكر الشريف على قتل من وجدوه من الأورام سواء كان عسكراً أو حاجاً فقتل منهم إنكشاريين وتاجر رومي دلال "

أما عن الأحوال الاقتصادية لأهل الحرمين فقد تحسنت عن ذي قبل لزيادة العثمانيين على الوضع المعيشي الذي وضعه المماليك، حيث زادت المساعدات والمخصصات المالية، وبدأ العثمانيون كذلك في إرسال مساعدات عينية. إلى جانب ما كان يرسل من مصر من خلال الأوقاف المخصصة للحرمين الشريفين؛ وذلك للتخفيف من معاناة أهل الحرمين. وهكذا تعددت أبواب الصرف بمصر على الحرمين الشريفين في العصر العثماني، فقد كرست مصر معظم ريع الخزينة المصرية والخزينة الإرسالية وريع أوقاف الحرمين الشريفين في مصر من أجل توفير تلك المصروفات الواجب إرسالها كل عام إلى الحرمين الشريفين إلى جانب ما كان يأتي من العراق والشام ومع ذلك كان يعاني الحجاز الكثير من المجاعات وحالات غلاء الأسعار، لذلك حرصت الدولة العثمانية على تخصيص رواتب ومنح لشريف مكة تأتيه بصحبة الصرة سنوياً.

أما من الناحية القضائية فقد أسس العثمانيون نظاماً قوياً للقضاء، وكان نافذ الكلمة في شئون الحجاز سياسياً وقضائياً ومالياً. ويرجع ذلك لكون هذه السلطة مستقلة وتعين القاضي كان يأتي من إسطنبول مما أعطاهم الحرية في تطبيق أحكامهم وإعلاء شأن كلمتهم، وكان لقاضي القضاة نواب على المذاهب الأربعة ويمثله قضاة تابعون له خارج مكة في المناطق التابعة لإمارة الأشراف.

أما الشريف فكان يشارك في الجانب القضائي بالبت في القضايا الحقوقية، والجنائية التي يلجأ إليها أصحابها طلباً للحكم بينهم فيها، وفي القضايا المستعصية، وفي الخلافات التي قد تنشأ بين القضاة أنفسهم.

وهكذا يتضح أن العثمانيين قد أدخلوا تغييرات ملموسة في جوانب كثيرة جعلت نفوذهم قوياً في الحياة العامة في الحجاز منذ بداية عهدهم، ولكن هذا التغيير لم يكن جذرياً لأنه قد جرت بوادر تعديلات أخرى مع مرور الوقت خاصة في عهد السلطان سليمان والشريف أبي نمي.

ثانيًا :
الحجاز في عهد السلطان سليمان القانوني والشريف أبو نمي

وافقت بداية عهد السلطان سليمان القانوني أخر فترة حكم الشريف بركات، التي كان فيها حريصاً على تجنب الاصطدام بممثلي السلطة العثمانية في الحجاز، وعلى البقاء على علاقته الحسنة بالعثمانيين، فأرسل كتاباً يهنئ فيه السلطان بفتح رودس عام ١٥٢١ م ٩٢٨ هـ ،ثم بنجاحه في القضاء على حركة جان بردى الغزالي الانفصالية في الشام عام ٩٢٧ م ١٥٢٠ م .

وقد مثل الشريف النفوذ العثماني في مكة وجدة، حين بقي موالـيا للعثمانيين خلال الحركة الانفصالية التي قام بها أحمد باشا في مصر عام ٩٣٠ هـ ١٥٢٣ م حيث عدّ أصحاب الحجاز تابعاً لهم، وأدخل تحت نفوذهم مستغلين تبعيته الإدارية لمصر، فأقصوا حسين الرومي عن سنجقية جدة، وحصروا نفوذه في الأعمال الانشائية في مكة فقط.

وهكذا نجد أن علاقة بركات بالعثمانيين في عهد سليمان القانوني استمرت قوية، كما مال تعامله مع الموظفين العثمانيين في الحجاز إلى الهدوء والود مقارنة بعهد سليم الأول التي اتسمت فيه صلات الشريف بسنجق جدة وأمراء الحج بالخلافات والمنازعات المتكررة.

تنازل الشريف بركات لابنه أبو نمي عن الشرافة عام ٩٢٦ هـ ١٥١٩ م، فكان يلقى أمراء الحج، ويتسلم من أمير الحج المصري مراسيم تجديد تعيينه سنويا يشاركه أخوه ثقبة، ولذلك فإن وفاة الشريف بركات في ذي القعدة عام ٩٣١ هـ ١٥٢٤ م ،ولم تحدث تغييراً في الوضع، فأعيد تنصيب أبي نمي في موسم الحج على النحو المعتاد. واتبع أبو نمي سياسة والده الشريف بركات، وهي ضمان استخلاف ولده من بين منافسيه الكثيرين من أفراد أسرته، إلى جانب خوف الشريف أبي نمي من المسئولين العثمانيين في الحجاز.

ويظهر اهتمام العثمانيين بالحجاز، وتغلغل نفوذهم خلال القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين ، السادس عشر والسابع عشر الميلاديين بشكل ملحوظ ازداد وضوحاً في عهد انفراد أبي نمي بالحكم ومن أتى بعده في جانبين هما.

أولاً:

تكثيف الأنشطة الخيرية والعمرانية في المدينتين المقدستين وعلى طول طرق الحج، وتنفيذ هذه المشاريع تطلب تواجد الكثير من المسئولين العثمانيين والخبراء والفنيين الذين كانوا يقيمون في الحجاز بصفة مؤقتة لمهمة عارضة كتوزيع المساعدات، أو بشكل دائم للإشراف على إقامة منشآت أو تحسين بعض المرافق كعين عرفة، كما كان يساهم هؤلاء في أحداث الحجاز ويتطلب تدخلا سريعاً لمعالجتها مما قوى النفوذ العثماني في المنطقة.

ثانياً:

عمّ التطوّر في النواحي السياسية والإدارية والقضائية والعسكرية والمالية، وهي تطورات جاءت متوائمة مع السياسة العثمانية العليا ومحققة لأهدافها في المنطقة، وأهمها الاحتفاظ برعاية الأماكن المقدسة دون منافسة، إلى جانب حمل لواء زعامة المسلمين.

فمن الناحية السياسية، راعى العثمانيون العوامل المؤثرة في تاريخ الحجاز فأبقوا للأشراف إمارتهم في مكة، ولم يغيروا من وضعهم السياسي والمعنوي الذي كان المسلمون يطالبون لهم به، كما أبقوا على ما توارثوه على مدى عدة قرون، كما حرصوا على استمالتهم كقوة محلية قوية، قد تؤدي استثارتها ضد العثمانيين إلى إعاقة تحقيق الهدف العثماني.

لذلك أصدر السلطان العثماني أمراً في عام ٩٥٨ هـ ١٥٥١ م بتعيين الشريف أبي نمي سنجقاً حاكما في الحجاز، وقد فسر المكيون ذلك الإجراء بأنه تقوية لمركز الشريف إزاء أمراء الحج، بعد أن كثرت اصطداماته بهم. لكن أشراف مكة لم يكونوا غافلين عن أن هذا الإجراء انتقاص من استقلاليتهم. حيث ظل وضعهم على ما كان عليه في تقاضي رواتب سنوية. وزاد تخوفهم إن تعرضت نسبة دخلهم من جمرك جدة تراوح بين الوقف والنقص والزيادة.

أما من الناحية الإدارية فقد أصبحت إمارة مكة وحدة مستقلة ضمن التقسيمات الإدارية العثمانية. وتركت لها تدبير شئون حكمها دون تدخل من العثمانيين. كما أصبح لشريف مكة أسمى مقام في التشريفات التي تقام في العاصمة إسطنبول، حيث كان مركزه أعلى من مرتبة الوزير بمرتبة واحدة. وهو يلي مركز الصدر الأعظم مباشرة.

أما من الناحية العملية فقد طبق النظام الإداري العثماني على كل من جدة حيث أصبحت مركزاً لولاية الجيش، والمدينة المنورة بعد أن بني لها سور لحمايتها عام ٩٣٩ هـ ١٥٣٢ م أصبحت منطقة سنجقية عين لها والي لم يتهاون السلطان سليمان القانوني في وجوده أو في الانتقاص من سلطته.

واعتبرت ينبع ناحية تولى أمر القضاء فيها قاضي عثماني مستقل لا يتبع قضاة مكة ولا المدينة. وقد أقيم فيها حصن أصبح من معالمها المعروفة، وذلك نظراً لأهميتها كميناء للمدينة المنورة. وعدت باقي المحطات المهمة على طرق الحج مناطق عسكرية، حصنت ورتبت مجموعات من الجنود لحمايتها، وكل هذه المناطق تتبع مصر إدارياً ومالياً أي في الإشراف على تعيين غالب موظفيها عدا المناطق التابعة لجدة.

كما امتاز الحجازيون بالإعفاء من التجنيد أو الخدمة العسكرية فلم تطبق الدولة العثمانية على إقليم الحجاز بل تم تكليف القبائل القاطنة على طول طرق الحج بحماية قوافل الحجاج مقابل مخصصات مالية تصرفها لهم الدولة.

يتضح مما سبق، أن السلطان سليمان القانوني وضع نظاماً لحكم الحجاز شمل جميع النواحي، طبقت فيه الأنظمة العامة للدولة إما مباشرة وإما عن طريق والي جدة وإما بما لمصر من سلطة مالية وإدارية على الإقليم،لكن التدهور الذي أخذ يدب في كيان الدولة منذ أواخر عهد السلطان سليمان أدى إلى ضعف القبضة العثمانية على الإقليم بعد القرن العاشر الهجري ، السادس عشر الميلادي،حيث بدأ تدخل كثير من الشخصيات في البلاط السلطاني في إدارة الدولة وتسيير مرافق الدولة لصالحها.

ورغم ذلك استمرت علاقات إمارة مكة بالعثمانيين هادئة يسودها التفاهم رغم تغير السلطة عندما تولى الحسن بن أبي نمي الحكم عام ٩٩٢ م ١٥٨٤ م .

لم يكن حال مكة في القرن الحادي عشر أقل شأناً عما كانت عليه في القرن العاشر، فبالرغم مما كان يثيره الأشراف بين الفينة والأخرى من فتن

إلا أن الشريف تمتع بقدر كبير من الاستقلالية في اتخاذ القرارات، وبلغت النفوذ إلى حد وصف معه هذا القرن بازدياد سلطة الشريف ففي عهد الشريف إدريس بن الحسن ١٠١٢ إلى ١٠٣٤ هـ ، ١٦٠٣ إلى ١٦٢٤ م حيث بسط نفوذه على كل أرجاء الحجاز لدرجة وصول نفوذه إلى الأحساء.

ثم شاب دور الأشراف شيء من الضعف طغت فيه السلطة العثمانية على سلطة الشريف، لدرجة أن القائد التركي قانصواه الموجه إلى عزل الشريف أحمد بن عبد المطلب في موسم عام (١٠٣٩ هـ - ١٦٢٩ م) ، وهو في طريقه إلى اليمن، ووضع يده على عموم واردات ميناء جدة من الرسوم الجمركية.

والأمثلة كثيرة على تجاوزات ولاة جدة العثمانيين، ولكن هذه التجاوزات لم تكن تجدي نفعاً لفرض سيطرتهم أمام إصرار الأمراء الأشراف على ممارسة كامل صلاحيتهم.

على أنه من المفيد أن نذكر أن لعبة الشد والجذب بين أمراء الأشراف وولاة العثمانيين طوال القرن الحادي عشر الهجري لم تهدأ نتيجة لكثرة الاضطراب والصراع بين الأشراف أنفسهم لتولى منصب الشرافة، حيث وجدوا ذلك فرصة ملائمة لبسط سيطرتهم على مجريات الأمور في مكة، كما وجدوا أنه من المناسب أن يتولى منصب الشرافة أمير ضعيف ميال إلى السلم للسيطرة على مقدرات البلاد الحجازية كلها، ولكن عندما يتوفر أمراء أقوياء فإن كل محاولة تصدر من جانب هؤلاء الولاة للتدخل في شئون البلاد يكون مصيرها الفشل الذريع.

أما منصب القضاء فاستمر في يد المكيين إلى عام ٩٤٣ هـ ١٥٣٦ م، حيث أخذ القضاة يصلون من اسطنبول لتولي منصب القاضي الأول في مكة، واستمر منصب القضاء بيد الأتراك العثمانيين طوال العهد العثماني، وقد حاول المكيون استعادة منصب القضاء ولكن جهودهم باءت بالفشل، وكان القاضي يعين لمدة سنة يبدأ تاريخ تعيينه اعتباراً من يوم ١٢ ربيع الأول من كل عام، وكان قدومه إلى مكة بصحبة قافلة الحج الشامي، ومكانه في مقدمة القافلة؛ لمكانته كقاضي لبلد الله الحرام.

والحقيقة أن قضاء مكة تميز بميزة مكانة البيت الحرام عن باقي القضاة في باقي الأقاليم العثمانية وخاصة في العاصمة إسطنبول؛ لذلك كان القضاة في مكة المكرمة يتمنعون في قبول هذا المنصب؛ لبعد مكة عن العاصمة والدخل الضعيف ولتخطي هذه العقبة، أصدرت الدولة العثمانية مطلع النصف الثاني من نهاية القرن الحادي عشر الهجري، وبالتحديد في عهد السلطان محمد الرابع (١٠٥٨ إلى ١٠٩٩ هـ) ، (١٦٤٨ إلى ١٦٨٧ م) قانوناً يجيز للقضاة الذين سرحوا لسبب أو آخر من قضاء مكة أن يعاد تعينهم في قضاء إسطنبول، ويتقاضون مخصصات تماثل مخصصات قاضي إسطنبول المالية، وعقب صدور هذا القانون كثر الراغبون في قضاء مكة بعد أن أصبح ذا جاذبية خاصة.

ولكن بمرور الوقت بدأ القضاء يفقد فاعليته، وأصيب بحالة من الضعف وخربت ذمم القضاة، وأصبح القاضي ألعوبة في يد الشريف الذي سيره

وفق رغبته، وفي يد المترجم الذي يحور في مفهوم القضايا لمن يدفع، خاصة إذا علمنا أن وظيفة المترجم كانت شبه مستديمة.

ثالثًا :
الحياة الإجتماعية

انفرد أهل مكة المكرمة بعادات وتقاليد ممتزجة من الشعوب الإسلامية المختلفة، لما لها من مكانة إذ يقصدها سنوياً آلاف المسلمين لأداء فريضة الحج. وهؤلاء يحملون عادات وتقاليد موطنهم، ومنهم من يبقى للمجاورة التي قد تطول أو تقصر، فهذا أدى إلى امتزاج ما حملوه معهم مع ما وجد لدى أهل مكة من عادات وتقاليد، فأفرز هذا نوعاً من العادات اختص بها أهل مكة المكرمة.

وتميز أهل مكة المكرمة بأشكال عدة من العادات، وهم الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والسياسية، منها ما هو حسن ومنها ما هو سيء، منها ما يأخذ الطابع الموسمي، ومنها ما يفرضه وقت حصول الحدث، والجدير بالذكر أن هذه العادات والتقاليد مثلت لديهم جزءاً من حياتهم اليومية، ونشأت تلقائياً ومارسوها دون تكلف، وكأنها إحدى واجباتهم اللازمة إذ تعد جزءاً من تراثهم الاجتماعي غير المكتوب.

- **مظاهر الحياة الاجتماعية**

١ – الزواج :

يعد الزواج من المناسبات التي يحرص فيها الجميع على إظهار الفرح والاحتفال بها كل حسب طاقته، فأثرياء مكة يستمر عندهم الاحتفال سبعة أيام إذ يخصص اليوم الأول لإرسال المؤذنة والمؤذن أو أكثر للدعوة لهذه المناسبة، والبدء بتهيئة المكان المراد إقامة العرُوس فيها بإحاطته بالتيازير، ويخصص اليوم الثاني لعقد القران ويكون إما في منزل والد العروس، أو في الأحواش والباحات القريبة منه، ويقدم العريس المهر إضافة إلى مقدارٍ من سكر النبات المكلل بأوراق الذهب أو الفضة الخفيفة. أما اليوم الثالث، فتنصب الفازة، وهي مكان مرتفع يخصص لجلوس أهل العريس، تغطى أرضيتها بالسجاد وهو يشبه خشبة المسرح وهذا اليوم يسمى ليلة العرس، والليلة الرابعة تسمى الغمرة، وفيها يزف العريس إلى منزل عروسه لإعطائها مالاً لشراء ما تحتاجه من الحلي الذهبية، وفي الليلة الخامسة يتم فيها دخول الزوج على زوجته في بيت أهلها ويبقى لديها إن كانت ثيباً ثلاثة أيام، وإن كانت بكراً سبعة أيام، ثم بعدها يحملها في زفة إلى منزله بالمغاني والمطربين، أما صبيحة اليوم السادس، فيقسم العريس أموالاً على أهل عروسه ويتقاطر المهنئون في هذا اليوم واليوم السابع للتهنئة.

رغم هذا الشرف والبذخ المصاحب لحفلات الزواج هذه وجد من أهل مكة من يقتصر على العقد والدخول في يومه ويحمد له ذلك، أما الأعاجم المقيمون بمكة فلا يختلف احتفالهم بالعرس كثيراً عن أهل مكة إلا في وضع جهاز العروس أمام المدعوين لمشاهدته ودخول الزوج على زوجته في بيته.

٢ – الولادة :

يحتفي والد المولود به منذ اليوم الأول، فيأتي أبوه أو جده فيؤذن في إحدى أذنيه ثم يكبر في الأخرى ويسمونه، وفي اليوم السابع من مولده يدعى لفيف من الأقرباء والجيران حيث تعد الشموع،والحلوى ويعمل للمولود زفة

بالشموع من الأطفال، وعندما يبلغ من العمر أربعين يوماً تذهب به أمه وبعض أقاربها إلى المسجد الحرام رغبة في الخير والبركة من الله له.

٣ – المأتم :

فكان أهل مكة إذا مات الميت ولاسيما من علية القوم كالشريف، فمثال ذلك ما ورد عند ابن فهد في وفاة الشريف محمد بن بركات، حيث قال ابن فهد " ولما وصلوا به مكة ضجّت البلاد وغلقت الأسواق وقرئت الرباع ستة أيام بالمسجد الحرام صباحاً ومساءً".

وكان إذا مات الميت يقرأ القرآن الكريم ويهدون ثوابه إلى روح الميت، وعند وفاة السلطان سليم الأول وزعت الصدقات وقرئت في الحطيم ختمة شريفة حضرها الأمراء والقضاة والفقهاء والأعيان وأهدي ثوابها للسلطان، وقرر الأمير مصلح الدين ثلاثين نفراً يقرأ كل واحد منهم جزء في كل يوم يهدى ثوابها إلى السلطان سليم.

وعندما توفي الشريف هزاع طيف به أسبوعا حول الكعبة كعادة سلفه وبني على قبره قبة.

وكان العلماء في ذلك الوقت يعلمون عدم صحة هذا الأمر لكنهم اعتادوا على ذلك، ويدل على ذلك ما ذكر في عام ٦٦١ هـ ١٢٤١ م عندما توفي الشيخ سليمان بن خليل العسقلاني طيف به حول الكعبة قبل أن يصلى عليه، فكان حاضر الشيخ أبو العباس الميورقي، فسأل ابن أخي الشيخ سليمان الفقيه محمد بن عمر عن دليل شرعي في هذا العمل، فأجابه بأن العادة جرت للأشراف من البيت الحاكم، ومن عظم قدره من الناس ولهذا هم يقومون به تقليداً.

وأما بناء القباب على القبور فهي أمور مخالفة للشريعة الإسلامية التي تدعوا إلى عدم رفع القبر بالبناء لما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله فيما يرويه عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

"أن لا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته ولا تمثالاً إلا طمسته"

رواه أحمد والنسائي والترمذي.

ولم يرد عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - الطواف بالميت أو بناء القباب أو قراءة القرآن على الميت.

٤ – عاداتهم في مواجهة الحر :

أ – النوم فوق الأسطح في أشهر الحر

الحرارة في مكة شديدة والناس ينتقلون في الشوارع من جانب إلى جانب بحثاً عن الظل والسكان ، خاصة الرجال ، ينامون عادة على أسطح المنازل تلمسا لنسمات الهواء، أو في الشوارع أمام دورهم، وبعضهم يضعون فراشهم فوق حصر رقيقة أمام منازلهم، وبعضهم يضعون دككا وتتماسك أجزاء هذه الدكة بحبال مشدودة شداً شديداً ويضعون فرشهم فوق هذه الدكة، وهم يرشون الشارع بالماء قبل وضع فراشهم للنوم.

ب – قضاء الصيف بالطائف وما حولها من الأودية

تميّزت الطائف بموقع مرتفع ساعد على اعتدال مناخها، إضافة إلى خصوبة أرضها ووفرة مياهها، ولقربها من مكة ارتبطت معها ارتباطاً اجتماعياً واقتصادياً منذ القدم، فكانت المكان الأثير للتصييف بها هرباً من حر مكة في أشهر الصيف، وامتلك بها أغنياء مكة وأمرائها الدور والضياع والبساتين ذات الفواكه المختلفة، وتبعاً لذلك كانت إقامتهم بها قد تطول أو تقصر؛ لإدارة أملاكهم ورعايتها، ولم يقتصر التصييف على الطائف فقط بل شمل العديد من الأودية القريبة من مكة مثل الهدا وأرض حسان، وأرض خالد، نخلة الشامية، وكانت هذه العادة قاصرة على القادرين فقط من أهل مكة أمّا فقراؤها ومتوسطو الحال، فتحدثنا عنهم في النوم على الأسطح.

٥ – الطعام والشراب :

تنوعت الأطعمة التي يتناولها المكيون نظراً لكثرة الأجناس بها فمن أصناف الطعام اللحم المجفف من ذبائح أيام النحر نوعاً من الغذاء الذي يعتمد عليه المكيون كثيراً، ويستمر معهم أيام السنة، والحال نفسها على الفواكه التي اقتصر توافرها في الأسواق المكية المنتشرة والتي يفد إليها الكثير

من منتجات القرى المجاورة لمكة والبعيدة عنها خاصة أيام الحج، إلى جانب عادة بعض الحجاج الذين يشترون الغنم ويصعدون لأكلها في جبل أبي قبيس زاعمين أن ذلك يقي فاعله من وجع الأسنان والرأس.

كما يقوم المكيون بعمل احتفالات، فيحضرون الطباخين الذين يقدمون الخرفان حسب حجم المناسبة ومعها أنواع الحلوى، كما انتشرت الأفران في ضواحي مكة لسد احتياج سكان الحي، وقد كانت ربات البيوت والإماء يقمن بعجن دقيقهم في منازلهم ويعملونه على شكل أقراص مختلفة الأحجام توضع على لوح من الخشب وتغطى بقطعة من القماش ثم يذهب بها الخادم أو الصبيان إلى الفرن لتخبز، وكان الفران يأخذ مقابل ذلك مبلغاً زهيداً، ونظراً لعدم وجود أفران بالمنازل كان صاحب الفرن يقوم بخبز مجموعة من الأطعمة المكية مثل المعمول، وهو قطعة من العجين على أشكال وأحجام مختلفة تحشى بالتمر ويقوم بالنقش عليها بمنقاش خاص، وكانت تؤكل في المناسبات مثل العيدين، والمشيوي وهو ما يعرف في مكة بالجزر اليماني، وكان يعرف عند بقية العرب بالبطاطا، ومن المأكولات التي تخبز في الأفران العيش أبو اللحم والكنافة وخلافه، إلى جانب نوع آخر من المعمول المخبوز بالحلوى ويسمى كل واشكر.

أما في المساء فكان أهالي مكة يتناولون الأطعمة الخفيفة، كالبيض والفول والفطائر، وكان يقدم مع طعامهم الكثير من أنواع الفواكه، كالعنب والرمان والخوخ والمشمش والتفاح والتين، وغيرها من الفواكه التي تجلب من الطائف ومن سائر جهاتها.

ولطبيعة مكة الصحراوية والجبلية، فلم يكن من السهل الحصول على الماء؛ لذا حرص السلاطين والولاة على تسهيل وصوله إلى أهالي مكة، وكان الماء يصل إلى البيوت عن طريق السقاة حيث ينقلونه في قرب من الجلد ونحوه، ويحفظ في البيوت في أزيار من الفخار، ويشربون في دوارق من الفخار مزينة بنقوش جميلة بارزة ويوضع فوقه كأس للشرب إمعاناً في النظافة ويطيبون ماء الشرب بالزهر والكادي وماء الورد المصطكي، ومن المشروبات التي كان أهالي مكة يفضلونها شراب السويق والسكر، إلى جانب شراب عصير الرمان والليمون والتوت والزبيب والتمر هندي.

وعـرف الـمكيون شرب الـقهوة والتي انتشر اسـتعمالـها في أوائـل الـقرن العاشر الهجري، وإن مبتكر القهوة هو أبو بكر بن عبد الله الشاذلي المعروف بـالـعيدروس، وكان أصـل اتـخاذه لـها أنـه مـر في سـياحـته بشجـر البن بـالـيمن فاقتات من ثمره حين رآه متروكاً مع كثرته، فوجد فيه تجفيفاً للدماغ واجتلاباً للسهر وتنشيطاً للعبادة. فاتخذه قوتاً وطعاماً وشراباً وأرشد أتباعه إلى ذلك، ثم انتشرت في اليمن، ثم في بلاد الحجاز، حيث اشتهر شربها بمكة في المسجد الحرام وغيره بحيث لا يعمل ذكر أو مولد إلا بحضورها، وفشت بالمدينة الشريفة حيث كان الناس يطبخونها في بيوتهم، إلى جانب انتشار القهاوي بين مكة والطائف كما وجد منها في الطريق إلى جدة ثماني قهاوي.

فكان هذا الأمر مما شغل الناس في ذلك العهد شغلاً حمل كثيراً من العلماء لمواجهة انتشارها، وعلماء آخرون أجازوا شربها، لدرجة قام الأمير خاير بك المعمار باش مكة ومحتسبها إذاك على إبطالها من الأسواق، ومنع الناس من شربها، وصدر مرسوما سلطانياً بالمنع من شربها وبيعها وشدد في ذلك، كل ذلك دفع الشيخ الجزيري لكتابة مخطوط حول القهوة باسم عُمدةُ الصفوة في حل القهوة ألفه عام ٩٦٦ هـ ١٥٥٨ م. وتقع المخطوطة في ٨٧ ورقة.

رابعًا :
العادات الدينية والعلمية

أ – الكتاتيب:

انتشرت الكتاتيب بالحجاز، ويشترط أن تكون متسعة جيدة التهوية وقريبة من سكن من يدرس فيها، ويعين فيها مشرف مهمته إيصال صغار التلاميذ، ويمتد الدوام اليومي في الكتاب من طلوع الشمس إلى العصر على أن يتخلل هذه المدة فترة راحة، وكانوا يلحقون التلاميذ بالكُتاب في سن مبكرة حدود الرابعة من العمر، بحسب إمكان التلميذ، وتنتهي الدراسة بحفظ القرآن الكريم، ويقام للطالب الذي أنهى الحفظ احتفال يسمى الإحرافة يتوسع الناس في إظهار البهجة فيها عادة بحسب مقدرة أهل الطالب المادية.

ب – زيارة جبل حراء:

الذهاب إلى جبل حراء من جملة العادات الدينية والعلمية وتتم برفقة العلماء ويشرعون في تدريس سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - هناك.

ج - الأعياد الدينية:

أحيا المكيون أعيادهم الدينية وأهمها عيد الفطر المبارك، ففيه يتجه معظم السكان وعلى رأسهم الشريف والوالي العثماني والعلماء إلى المسجد الحرام، وقد لبسوا أجمل ما لديهم من ثياب، فيؤدون الصلاة ويستمعون إلى الخطبة، ثم ينطلقون إلى زيارة الأقارب، وتناول الفطور عندهم، أما عيد الأضحى، فقد كان مناسبة في مكة ليس كغيرها لأنه يتزامن مع فريضة الحج، فكان اشتغال المكيين بالحج وخدمة الحجاج يحول في الجملة من الاحتفال به كاحتفالهم بعيد الفطر.

د – التبرك بالأولياء :

وأكثر ما ظهر في الحياة الاجتماعية في مكة في فترة المخطوط هو انتشار الغلو في التصوف، الداعي إلى التوكل وتعميمه، فقد كثرت الزوايا وتضاعف عددها، وقصد الصوفية المسجد الحرام جماعات يرددون أدعيتهم آناء الليل وأطراف النهار، ولم يقتصر التأثير بهم على العامة، وإنما تأثر بهم الخاصة أيضا فتبعوهم في تجمعاتهم وقلدوا ملبسهم، وهؤلاء المتصوفة او يسمى بـ الدراويش يعيشون على صدقات الآخرين ويلبسون عباءات صوفية بيضاء، وغطاء رأس طويلاً من صوف أبيض، ويضعون على ظهورهم فروة خروف أو جلد عنز ليتخذها فرشا للنوم، وأكمامهم عريضة وطويلة، وعادة ما يحملون مسابيحهم حول أعناقهم أو حول أذرعتهم، بينما يحملها آخرون في جيوبهم. وكثرت كتب التاريخ بأخبارهم والخوارق والكرامات او الخزعبلات الخاصة بهم والتي كثيراً ما تدعو إلى الانزواء وإيثار العزلة والسلبية، مما كان له دور كبير في السكون والاستسلام.

خامسًا :
الحياة الثقافية

ازدهرت الحركة الثقافية في مكة أبان العصر المملوكي، ومن بعده العصر العثماني وهذا يرجع إلى اهتمام السلاطين المماليك والعثمانيين بالحجاز نظراً لوجود الحرمين الشريفين إلى جانب رحلة العلماء من بقاع العالم الإسلامي إليها فقد اهتم السلاطين بإنشاء معاهد ومؤسسات ورصدت الأوقاف، وتخصيص الرواتب للصرف على شئون القائمين عليها، ولعل من أبرز تلك المؤسسات الكتاتيب والمدارس والمكتبات، وذلك بالإضافة إلى مؤسسات التعليم المساعدة الأخرى مثل الأربطة والتكايا والزوايا، بالإضافة إلى مؤسسات أخرى.

من خلال هذه الأماكن ازدهرت الحركة العلمية وتخرج العديد من العلماء فازدهرت العلوم منها علوم القرآن ويتمثل في القراءات والتفسير، وكذلك علم الحديث والنمو والفقه بمذاهبه الأربعة لذلك ازدهر علم القراءات وبرز العديد من العلماء مثل الشيخ شمس الدين محمد الحجازي والشيخ الجليل الحافظ نجم الدين الغيطي والشيخ المرشدي، ومن المحدثين في الحجاز الشيخ الفاكهي وهو الإمام العلامة الشيخ أبو السعادات محمد ابن أحمد بن علي الفاكهي المصري الأصل، ولد عام ٩٢٣ هـ ١٥١٧ م، وأخذ العلم بمكة عن كوكبة من العلماء منهم الشيخ أبو الحسن البكري والشيخ ابن حجر الهيتمي، وعلماء آخرون.

أما بالنسبة للأدب فقد ازدهر ازدهاراً كبيراً وذلك لعدة أسباب متمثلة في الشوق إلى الحرمين، إلى جانب كثرة مجالس الأشراف بعد صلاة العصر والعشاء، فكانوا يتدارسون في مجالسهم كل أغراض الأدب، فمن هؤلاء الشعراء الشريف أبي نُمي محمد بن بركات شريف مكة المكرمة ٩١١ إلى ٩٩٢ هـ، وهو شاعر مجاهد صامد، وقد قال شعره وهو مسجون بمصر حين لمع له برق الحجاز وأهاج حنينه.

ومن العلماء أيضا الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم باغريب الحضرمي الشافعي، ولد بجدة ومات أبوه وهو صغير، ثم رحل إلى شحر وأقام بها سنتين ثم عاد إلى مكة وتوطنها وطلب العلم وتجرد له ولازم الشيخ عبد الله باقشير في دروسه وتفقه به وحضر دروس الشيخ محمد البابلي والشيخ عيسى بن محمد المغربي في الحديث وللغة العربية وأجازه شيوخه وتصدر إلى التدريس في المسجد الحرام في محل شيخه عبد الله بن سعيد باقشير وكان اعتناؤه بالفقه الشافعي، توفي بمكة ودفن بالمعلاة في ثامن عشر ذي العقدة ١٠٨٠ هـ ١٦٦٩ م.

وكذلك الشيخ أحمد بن أبي بكر بن سالم شيخان باعلوى ولد بمكة في رجب ١٠٤٩ هـ ١٦٣٩ م، وبها نشأ وتربى وحفظ القرآن الكريم وألفية الحافظ العراقي في أصول الحديث، وألفية ابن مالك وأجازه والده، ولازم الشيخ عبد الله باقشير وأخذ عن الشيخ عبد العزيز الزمزمي وغيرهما كثير، وقام بالتدريس بالمسجد الحرام وألف عدة رسائل، واختصر تاريخ القرطبي المسمى بالبرق اليماني وزاد فيه زيادات، وتوفي في ١٧ ربيع الثاني ١٠٩١ هـ ١٦٨٠ م .

إلى جانب ذلك ظهور أسر مكية كان لها شأن ثقافي في القرن الحادي عشر الهجري مثل آل الرشيد، وآل القطبي، وغيرهم من أسر العلم والفضل التي توارثت العلم عدة قرون، ومن العجيب أن معظم هذه الأسر انقرض بعد القرن الحادي عشر الهجري شيئاً فشيئاً حتى لم يعد لها عقب في العصر الحديث ، ويتشابه الحال مع بعض الأسر المدنية وللمزيد حول هؤلاء العلماء يكفي تصفح كتب التراجم مثل المحبي في خلاصة الأثر، وعبد الله مرداد في نشر النور والزهر.

على أن أبرز العلوم في القرن العاشر والحادي عشر الهجري كان بحق علم التاريخ، إذ ظهر فيه طائفة كبيرة من المؤرخين تركوا لنا تراثاً ضخماً بدأها الشيخ الفاسي بموسوعته التاريخية بعنوان العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، وكتاب شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ويعد الفاسي من أغزر المؤرخين الذين كتبوا عن تاريخ مكة إنتاجاً وأقومهم منهجاً وأوسعهم علماً، وقد استفاد جميع من أتى بعده من مؤرخي مكة أمثال قطب الدين النهروالي صاحب المؤلفات الكثيرة، والسنجاري صاحب منائح الكرم، وكذلك ابن فضل الله الطبري، وأيضاً علي بن عبد القادر الطبري صاحب الأرج المسكي والعصامي صاحب النجوم العوالي، وغيرهم كثيرون.

الفصل الثاني : عن المؤلف

أولًا : اسمه ، نسبه ، كنيته ، مولده ووفاته
ثانيًا : شيوخه وطلبه للعلم وتلاميذه
ثالثًا : آثاره العلمية ومؤلفاته
رابعًا : عقيدته ومذهبه الفقهي
خامسًا : الكنب التي ألتفت في تاريخ مكة واستفاد منها المؤلف وهي موارد له

أولًا :
اسمه ، نسبه ، كنيته
مولده ووفات

أجمعت كثيرٌ من المراجع أن اسمه هو عبد الهادي بن محمد صالح الطاهر المكي، من سكان مكة المكرمة مولداً ونشأة وهذا هو الراجح؛ لأنه ذكر ذلك في مقدمة كتابه الدر الفاخر. إلا أن بعض المصادر ذكرته بعبد الوهاب.

- مولده:

لم نستدل على تاريخ مولده، كما لم يذكر شيء عن حياته ونشأته، ومما يدل على علم عبد الهادي أنه حفظ القرآن الكريم، وأخذ العلم على يد شيوخ الحرم لكونه من أبناء مكة المكرمة.

- وفاته :

توفي رحمه الله بمكة في رابع محرم الحرام عام ١١٣٨ هـ (القرن الثاني عشر الهجري)، ودفن بالمعلاة.

ثانيًا :
شيوخه وطلبه للعلم
وتلاميذه

نشأ عبد الهادي في جو من العلم حيث كان الحرم المكي يموج بالعلماء على كافة المذاهب الفقهية، فانطلق عبد الهادي ينهل من علماء الحرم سواء كان العالم فقيهاً أم مؤرخاً أم أديباً؛ لذلك ظهر هذا العلم في مؤلفاته الأدبية والتاريخية إلى جانب ذلك وصل بعلمه إلى أن تولى إمام وخطيب المسجد الحرام إلى جانب توليه إمامة المقام الشافعي.

وهذا العلم لم يأتِ من فراغ، بل أتي على مثابرة وأخذ العلم على يد أجلاء وأكابر شيوخ الحرم المكي وخلافه، ولكن للأسف لم يفصح عبد الهادي عن شيوخه إلا في حالات نادرة، أو يذكرهم بلفظ تحتار فيه، مثال ذلك

1- الشيخ علي ابن مولانا القاضي عصام الدين. يقول عنه عبد الهادي : "مولانا وشيخنا وقدوتنا وعمدتنا"

ومن هذا يفهم أن الشيخ علي درّس عبد الهادي؛ لذلك أثنى عليه عند وفاته وذكره بلفظ مولانا وشيخنا.

2- أحمد بن أبي بكر شيخان المولود في مكة عام ١٠٤٩ هـ والمتوفي عام ١٠٩١ هـ، وبالنظر إلى سنة وفاة عبد الهادي نجده توفي عام ١١٣٨ هـ أي أنه عاصر هذا الشيخ الجليل، ومن الممكن أن يكون قد أخذ عنه العلم لذلك وصفه بمولانا.

3- ابن فضل عبد الله الطبري ، ١٠٨٤ هـ ، والدليل على كون ابن فضل الطبري شيخه أن عبد الهادي نقل أغلب ما ذكره ابن فضل في المخطوطة التي نتناولها بالتحقيق، إلى جانب وفاته التي كانت آخر القرن الحادي عشر، وعبد الهادي توفي في أول القرن الثاني عشر، أي أن وفاة عبد الهادي لم تكن بعيدة عن ابن فضل الطبري؛ مما يجعلنا نعتبر بأخذ عبد الهادي عن ابن فضل الطبري أغلب علمه، وتتلمذ على يديه كما نجد مدى التأثر في كتابات عبد الهادي من شيخه ابن فضل.

4- عبد الملك العصامي ، ١١١١ هـ ، والذي يجعلنا نحتمل أن يكون عبد الملك العصامي شيخاً لعبد الهادي أمران:

- الأول: أن العصامي توفي قبل عبد الهادي بسبع وعشرين سنة مما يجعلنا نقول أن عبد الهادي أخذ علمه على يد هذا الشيخ.
- الثاني: مدى ما أخذه عبد الهادي من كتابات العصامي سواء أشار إليها أم لم يشر، ولكن بالرجوع إلى العصامي نجد مدى استفادة عبد الهادي من العصامي ونقله المباشر منه.

5- عبد القادر بن أبي بكر ، ١١٣٨ هـ ، توفي في نفس عام وفاة عبد الهادي، ومن خلال رصدنا لحياة هذا العالم يقاس عليه ما حصله عبد الهادي من علم بالحرم المكي، حيث كان الحرم يموج بعلماء أفاضل من مصر، والشام، والروم والمغرب، والهند، واليمن والعراقين، لذلك نجد عبد الهادي يقول

" أخذ عن مشايخ الإسلام بالبلد الحرام "

وبذلك يكون عبد الهادي أحد علماء عصره وفقهائه، أخذ علمه عن أكابر العلماء والفقهاء في ذلك الوقت حتى غدا أحدهم مما جعله جديراً بخطابة وإمامة المسجد الحرام، وإمامة المقام الشافعي وهذا لا يتولاه إلا كل فقيه ضالع في أمور الدين يلم بالعلوم الشرعية والأدبية وكثيراً ما عالج في كتابه بعض الأمور.

تتبّع البحث العلماء الذين عاشوا في القرن الثاني عشر الهجري فلم يجد أحد تتلمذ على يد عبد الهادي خلال هذه الفترة، وذكر اسمه صراحة، ولم تبرز المصادر له تلاميذ في التدريس والتعليم بمكة خلال حياته، وربما يكون عدد كثير من طلبة العلم الذين أخذوا عنه ولكن لم يتضح إلا ذكر ابنه محمد صالح بن عبد الهادي الطاهر. فقد اعتنى به والده ونشأه تنشئة علمية، وشجعه على تحصيل العلوم حيث بلغ مكانة في العلم إذ أصبح إماماً وخطيباً للمسجد الحرام وظل على ذلك حتى وفاته سنة ١١٤١ هـ ودفن بالمعلاة.

ثالثًا :
آثاره العلمية
ومؤلفاته

وبعد البحث والتحري في الفهارس وعدد من المكتبات لم نعثر لعبد الهادي عن مؤلفات إلا من خلال تحقيقنا لكتاب الدر الفاخر، واتضح لنا من أقوال عبد الهادي أن له كتاب في الرد على الرافضة باسم آلاء ساعة لأشراط الساعة، حيث قال فيه ورددنا عليهم بما فيه الكفاية حيث ألقمناهم الحجر وبينَّا عجزهم، ذكره عبد الهادي ضمن أحداث في كتابة الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر ، ولم نتمكن من الحصول عليه.

وكذلك ديوان شعر، ذكر في الدر الفاخر باسم الدر المكنون والجوهر المثمون ضمن أحداث عام ٧٩٨ هـ، حيث قال :

" وإذا أردت الاستفادة فعليك بكتابنا الدر المكنون والجوهر المثمون، ولم نتمكن أيضاً من العثور عليه. والغريب أننا لم نعثر على أي أثر لعبد الهادي من الآثار الفقهية رغم كونه إمام المقام الشافعي".

أما كتابه الثالث وهو "الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر" وهو موضوع بحثنا. والذي وجدت منه النسخة الوحيدة في مكتبة الحرم المكي الشريف (صورة مصورة منها في معهد البحوث في جامعة أم القرى).

رابعًا :
عقيدته ومذهبه
الفقهي

كانت عقيدة عبد الهادي هي عقيدة السلف الصالح التي نشأ عليها في جو مفعم بالعلم، وكان لقربه من الحرم المكي وسكنه بمكة المكرمة أثر كبير على حياته فعاش يعيش متأثراً بأقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم ، لذلك نجده يستشهد في كتابه بالأحاديث النبوية في كثير من المواضع والمناسبات التي كان يشاهدها في حياته ويدونها نقلاً عمن سبقه من المؤرخين المكيين وغيرهم.

وكان موقفه واضحاً من إنكار العادات والتقاليد المنافية للدين الحنيف السمح، وحيث أن المؤرخين الذين ترجموا لعبد الهادي لم يتطرقوا لعقيدته، إلا إنهم ذكروا أنه كان شافعي المذهب، حيث تفقه بمذهب الإمام الشافعي وفقهه. وكانت مكة أثناء حياته تزخر بكثير من علماء الشافعية،وكانوا أكثر انتشاراً من غيرهم من مذاهب أهل السنة والجماعة، حيث كانت لهم مكانة عالية وتأثير كبير في توجيه طلبة العلم؛ وذلك من خلال دروسهم التي يتلقونها في الحلقات العلمية المتعددة في المسجد الحرام بالإضافة إلى الكتب

المتعددة والفتاوى الكثيرة التي أفردوها في مصنفاتهم في علم الفقه وأصول الحديث وعلومه.

ومن العادات التي انتشرت في مكة المكرمة عادة الطواف بالشريف إذا مات سبعة أشواط حول الكعبة كأسلافه، والنياحة على الميت. وأيضاً التوسل، وتقبيل الأرجل، وطلب الشفاعة أو النفع من العباد الصالحين، وتعليق الرقى والتمائم ، وغيرها كثير من الأمور المنكرة والتي شاعت في تلك الفترة والتي أفرد لها بعض من المؤرخين جانبا من حديثهم وهذا يوضح لنا انتشار مثل تلك البدع والخرافات ولم تجد من يعارضها أو يدعو للكف عنها لأنها مخالفة للعقيدة الإسلامية السمحة.

كما تتجلى عقيدة عبد الهادي في رده على الرافضة وعثرتهم الجسيمة في كتابه: ألا ساعة لأشراط الساعة، حيث قال :

" وقد رددنا عليهم بما فيه الكفاية، ولنبسط هنا في ردهم القول: فيكون كتابنا في كشف عجزهم، وقطع شأفتهم وقلع شجرتهم "

وهذا يدل دلالة واضحة على سلامة عقيدة الشيخ المؤرخ عبد الهادي وإنكاره لمثل هذه الأمور المنافية للعقيدة الإسلامية الصافية، وتمسكه بمذهب أهل السنة والجماعة.

خامسًا :

الكتب التي ألتفت في تاريخ مكة
واستفاد منها المؤلف وهي موارد له

مما لا شك فيه أن عبد الهادي قد بذل جهداً كبيراً، وقدم خدمة جليلة بجمع معلومات واسعة ومهمة، من عدة مصادر صرح ببعضها ولم يصرح بالبعض الآخر، ولهذا يعتبر هذا المخطوط مصدراً أصلياً مهماً في تاريخ مكة في القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين، إلا أن بعض من ذكر المؤلف أسماءهم لم أستطع الوقوف على كتبهم لفقدانها. وأسماء المصادر ومؤلفوها سوف نستعرضها وهي كما يأتي

أولاً : الطبري

عبد القادر بن محمد بن يحيى بن مكرم الطبري المكي الحسيني، ولد بمكة، وقيل بالطائف في ٢٧ صفر عام ٩٧٦ هـ ١٥٨٨ م، وتوفي عام ١٠٣٣ هـ ١٦٢٤ م ، وأخذ من شيوخ مكة حتى برع في الفقه والحديث والأدب والتاريخ، كانت علاقته وطيدة بأمير مكة حسن بن أبي نمي، فجعل أغلب مؤلفاته برسمه وخدمة لخزانته. له العديد من المؤلفات التي اعتمد عليها المؤرخون و منهم عبد الهادي. من هذه المؤلفات:

١- حسن السريرة في حسن السيرة : هو شرح وضعه المؤلف للسيرة النبوية المنظومة التي ألفها ... وصف فيه الشريف حسن بن أبي نمي وأعماله

وإصلاحاته الاجتماعية بمكة المكرمة.. وقد اعتمد عليه المؤلف في موضع واحد وهو :

"ولما أفاضت الخلافة إلى سيدنا الحسن وهي تجر أذيالها وناطت في سعادته أذيالها ولم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها، ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلزالها".

٢- نشأة السلافة بمنشآت الخلافة: من أهم كتب عبد القادر الطبري التاريخية وقد استفاد منه عبد الهادي في موضع واحد وهو :

"وأخبرني من أثق به أنه كان تحته ذلك اليوم فرس تسمى الجرادة، وأنه أقحمها الخندق الذي حفرته الأتراك حول سور المعلاة وهو بمفرده يضرب في الجيش بسيفه فانهزم وهو يضرب بهم حتى أبعدهم فذرع بعد ذلك عرض الخندق فكان سبعة أذرع".

٣- الأساطين في حج السلاطين : ويسمى أساطين الشعائر الإسلامية وفضائل السلاطين والمشاعر الحرمية. ألف سنة ١٠٣١ هـ.

٤- درة الأصداف السنية في ذروة الأوصاف الحسنية : في مدح الشريف حسن بن أبي نمي أمير مكة المكرمة.

٥- عيون المسائل من أعيان الرسائل: هو كتاب مشتمل على زبدة أربعين عَلماً.

٦- وشرح قطعة من ديوان المتنبي سماها "الكلم الطيب على كلام أبي الطيب"، منه نسخة بدار الكتب المصرية رقم ١٣٦٩ أدب.

ثانياً : الطبري

علي بن عبد القادر بن محمد بن يحيى الطبري الحسني المكي ولد بمكة المكرمة، وهو ينتمي إلى عائلة الطبري الشهيرة بالعلم والمجد وتوليها الوظائف

الدينية والسياسية الكبيرة بمكة. أخذ عن والده عبد القادر وعن غيره من علماء عصره حتى بلغ درجة أهلته إلى القيام بوظيفة الإفتاء والتدريس بالحرم المكي وتولى إمامة المقام الإبراهيمي وتوفي عام ١٠٧٠ هـ ١٦٦٠ م ، ألف كتباً في التاريخ استفاد منها عبد الهادي منها الأقوال المُعلمة في وقوع الكعبة المعظمة.

ثالثاً : الطبري:

أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري الحسني المكي الشافعي، محب الدين. ولد بمكة عام ٦١٥ هـ ١٢١٨ م ، وجمع العلم من أقطاب القرن السابع، كان المُقير، وابن الجميزي، وابن القبيطي، وغيرهم من علماء الأمصار، وتعددت اختصاصاته فألف في التفسير وغريب القرآن وترتيب السور، وكتب كثيرة في الفقه الشافعي والتاريخ، أخذ عنه كبار طلبته العلم في عصره كالذهبي، والبرزالي، وأبي حيان النحوي، وجمال الدين بن ظهيرة، وغيرهم. توفي في مكة عام ٦٩٤ هـ ١٢٩٥ م.

ومن المؤلفات التي استفاد منها عبد الهادي :

استقصاء البيان في مسألة الشاذروان

رابعاً : الهيتمي

أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي المكي شهاب الدين، ولد بمحلة أبي الهيتم بمحافظة الغربية بمصر عام ٩٠٩ هـ ١٥٠٤ م وتوفي ٩٧٤ هـ ١٥٦٧ م ، وسمي بابن حجر؛ لأن جده كان يلازم الصمت غالباً، انتقل للقاهرة وأخذ على كبار فقهاء الشافعية مثل زكريا الأنصاري وعبد الحق السنباطي وغيرهم .

قدم مكة حاجاً مرتين ، عام ٩٣٣ هـ وسنة ٩٣٧ هـ ، وعاد إليها عام ٩٤٠ هـ ليقيم بها مع أهله ويقضي بها ٣٤ سنة من حياته. خلالها ألف الكثير من

الكتب ذات الطابع الفقهي أو العقدي والاجتماعي مما لا غنى عنه للباحث في تاريخ تلك المرحلة، لذلك اعتمد عليه عبد الهادي خاصة كتابه.

١- المناهل العذبة في إصلاح ما وهي وتشعب من الكعبة. ألف هذا الكتاب في رد من عارض إعادة بناء سقف الكعبة. وقد نقل عبد الهادي عنه في موضع هو:

" ولهذا السؤال وما معه من العروض أرسل إلى صاحب مصر صحبة أحمد جاوش جماعة خمسين أغا ومعه علي النويري سنجق دار اليمن وكان خروجهم من مكة الإثنين الرابع والعشرين من شعبان"

إلى جانب كتب أخرى استفاد منها عبد الهادي وهي:

٢- تحفة الزوار، إلى قبر النبي المختار .

خامساً : ابن فهد

النجم عمر بن محمد بن محمد بن فهد القرشي المكي، ولد بمكة عام ٨١٢ هـ ١٤٠٩ م، ونشأ بها، تعلم على يد أبيه حيث حفظه القرآن الكريم، ثم وجهه إلى دراسة الفقه والنحو، ولما صلب طوله تطلعت نفسه إلى حضور مجالس العلم ولقاء الشيوخ والأخذ عنهم فرحل لمصر والشام وغيرها، إلى أن رجع إلى مكة عام ٨٣٠ هـ ١٤٢٦ م، ثم يعاود الرحلة مرة أخرى ويلازم شيخه ابن حجر العسقلاني ويرجع مكة ويلازم المسجد الحرام للتدريس والتأليف حتى توفي عام ٨٨٥ هـ ١٤٨٠ م، وله عدة مؤلفات في التاريخ استفاد منها الكثير من المؤرخين منهم عبد الهادي.

إتحاف الورى بأخبار أم القرى

وقد اعتمد عليه المؤلف في موضع واحد وهو : " في حوادث ست وعشرين فيها اعتمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي الله عنه- من المدينة، فأتى مكة ليلا فدخلها، وطاف وسعى وحلّ (تحلل) قبل أن يصبح، ورجع إلى المدينة وأمر بتوسيع المسجد الحرام، وابتاع دوراً ووسعه وبناه بالأروقة، وكان هو أول من أتخذ للمسجد الأروقة، وكلمه أهل مكة في أن يحولوا الساحل من الشعيبة، وهو ساحل مكة قديماً في الجاهلية، إلى ساحلها

اليوم وهي جدة لقربها من مكة، فخرج عثمان إلى جدة يرى موضعها وأمر بتحويل الساحل إليها، ودخل البحر واغتسل فيه وقال: إنه مبارك، وقال لمن معه ادخلوا البحر للاغتسال ولا يدخله أحد إلا بمئزر ثم خرج من طريق جدة إلى عسفان وصارت جدة بندر إلى الآن ".

سادساً : ابن فهد

عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد: العز بن النجم بن فهد ولد بمكة في ١٦ من شوال عام ٨٥٠ هـ ١٤٤٦ م وكان أبوه بمصر، واعتنى به والده فاستجاز له كبار علماء عصره كابن حجر العسقلاني والشيخ علي أبي الفتح المراغي وغيرهم كثير ورحل في طلب العلم إلى مصر والشام والقدس وغيرها من البلدان ورجع لمكة فأخذ عنه عدد من العلماء منهم ولده جار الله بن فهد، لم يتولى وظائف دينية سوى خازن للكتب بمرسوم سلطاني. أغلب تأليفه في الحديث والتاريخ، وقيل أنه توفي عام ٩٢٢ هـ ١٥١٧ م. ومن أهم كتبه هي :

١- غاية المرام بأخبار البلد الحرام، توفي قبل إكماله فاستكمله ولده، استفاد عبد الهادي في تأليفه من هذا الكتاب في موضع هو قال ابن فهد

" ولما وصلوا به إلى مكة ضحت البلاد وغلقت الأسواق وقرئت الرباع ستة أيام بالمسجد الحرام صباحًا ومساء بحضرة الأشراف والقضاة والفقهاء، وغيرهم وأنشد الشعراء فيه المراثي الحسنة رحمه الله تعالى على توام الأزمنة ".

٢- بلوغ القرى في إتحاف الورى

سابعاً : ابن معصوم

علي بن أحمد بن محمد الحسيني المعروف بعلي خان بن ميرزا أحمد والشهير بـ ابن معصوم. ولد بـ مكة ورحل للهند وتوفى بشيراز سنة ١١١٩ هـ ١٧٠٧ م ، وله عدة مؤلفات منها سلافة العصر التي اعتمد عليه عبد الهادي.

سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مِصر، طبع طبعة قديمة بمصر على نفقة عزيز بك زند قام بنشرها أحمد ناجي الجمالي، ومحمد أمين الخانجي الكتبي وأخوه عام ١٣٢٤ هـ في ٦٠٧ صفحة، وقد استفاد منه عبد الهادي في مواضع عديدة وترجم له علي بن معصوم في السلافة:

"ما صورته القاضي تاج الدين بن أحمد المكي المالكي فاضلاً طوى على الفضل ديمه وأديب شرب فن الأدب حديثه وقديمه استخدم الكلام حره ورقيقه".

ثامناً : الحلبي

علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي. السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون، طبع هذا الكتاب في ثلاثة أجزاء بدار المعرفة ببيروت، وقد استفاد عبد الهادي من هذا الكتاب في موضع واحد وهو

"بعد ذكر هدم الكعبة، والحق أن الكعبة لم تبن جميعها إلا ثلاث مرات ، الأول بناء إبراهيم الخليل - عليه الصلاة والسلام - ، والثاني بناء قريش، وكان بينهما ألف سنة وستمائة وخمس وسبعون سنة، والثالث بناء عبد الله بن الزبير، وكان بينهما نحو اثنين وثمانين سنة. وأما الملائكة وآدم وبناء شيت لم يصح، وأما بناء إبراهيم، والعماليق وقصي فإنما كان ترميما ، انتهى "

تاسعاً: الخفاجي :

أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي المصري ٩٧٧- ١٠٦٧ هـ ١٥٦٩- ١٦٥٩ م.

نسبته إلى قبيلة خفاجة، ولد ونشأ مصر، ورحل إلى بلاد الروم واتصل بالسلطان مراد العثماني فولاه قضاء سلاينك ثم قضاء مصر ثم عزل فرحل إلى الشام وحلب وعاد إلى بلاد الروم، فنفي إلى مصر واستقر بها إلى أن توفي. من أشهر كتبه، ريحانة الألبا والتي استفاد منه عبد الهادي.

ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، هو كتاب ترجم به معاصريه على نسق يتمة الدهر، واستفاد منه عبد الهادي في موضع واحد في ترجمة الشريف حسن ،

" وقد كان انتهاء صعود الشرف بأرض الحجاز بالشريف حسن، و بالمغرب بمولاي أحمد، وبالروم السلطان مراد خان، ونحن الآن لا ندري ما يراد ولا ما يراد بين قوم مجانين، فالجواد دون الحمار المصري، وأبو جهل يعظ الحسن البصري ، انتهى " .

عاشراً : النهروالي

قطب الدين محمد بن علاء الدين أحمد بن محمد بن قاضي خان النهروالي المكي الشهير بالقطبي ، ولد عام ٩١٧ هـ ١٥١١ م في مدينة لاهور ، ولا يعرف متى انتقل إلى الحجاز؟ وكان له صلة بعطاء عصره في مكة وغيرها من البلدان، حيث سافر إلى مصر وتلقى العلوم على يد شيوخها، ثم سافر إلى الشام واسطنبول حتى بلغ من الثقافة درجة أهلته لتولي منصب الإفتاء في مكة إلى جانب العطاء، وتوفي ٩٩٠ هـ.

١ – الإعلام بأعلام بلد الله الحرام :

يعتبر هذا الكتاب من أهم المصادر المؤرخة لمكة في النصف الثاني من القرن العاشر لذلك رجع له عبد الهادي. قال القطب الحنفي

" ولا يصح وقف ذلك القصر لأنه في المسجد وكذلك المسكنان، لأن أكثرهما في أرض المسجد الحرام وبني أيضاً ميضأة خارج باب إبراهيم على يمين الخارج من المسجد الحرام قلت هي باطلة الآن ".

٢ – البرق اليماني :

واستفاد منه عبد الهادي في عدد من المواضع منها : أن أويس الكاشف أمير الحاج الشامي، دخل مكة وبعث بالخلعة إلى الشريف، ولم يحج مولانا الشريف ذلك العام، واعتذر إلى الأمراء بخوف الفتنة من عسكر سليمان، ولما

تم الحج ركب سليمان وخير الدين السفن طالبين اليمن، وخبرهم في البرق اليماني في الفتح العثماني لمن أراد ذلك.

حادي عاشر : الطبري

محمد بن علي بن فضل بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن مكرم محمد الطبري الحسيني المكي. ولد بمكة حوالي عام ١١٠٠ هـ ١٦٨٨ م، أخذ العلم عن علماء عصره مثل عبد الله بن سالم البصري، وعبدالقادر الصديقي، وإدريس الشماع وغيرهم، تولى إمامة المقام الإبراهيمي، ودرس بالحرم الشريف فأخذ عنه الناس من الحجاز ومن الآفاق منهم ، محدث تونس محمد بن علي العزياني وغيره كثير. ألف عدة مؤلفات في الأدب والتاريخ وتوفي بمكة عام ١١٧٣ هـ ١٧٦٠ م. له مؤلفات في التاريخ منها :

١- إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن:

وهو تاريخ مكة المكرمة، رتبه المؤلف على نظام الحوليات وضمنه الكثير من الحوادث والأخبار والتراجم. وكان مصدراً أساسياً لعبد الهادي في مؤلفه. لذلك اقتبس منه الكثير. مثل :

" وفي سنة ثماني وخمسين وتسعمائة أمير الحاج محمود باشا سولت له نفسه الهجوم على شريف مكة أبي نمي يوم عيد النحر وقتله هو وأولاده في ساعة واحدة، وسببه أنه جاء قبل هذه المرة داوود باشا صاحب مصر بخلع إلى الشريف المذكور ... فنادى بمنى أن الشريف معزول، فلما بلغ الأعراب ذلك استغنموا نهب الحجاج ".

ونلاحظ أن عبد الهادي نقل بالسنين من ابن فضل الطبري متسلسلة حتى نقل أشعارها. مثال ذلك :

"وفي سنة خمس عشر وألف خرج الشريف محسن مغاضباً لعمه الشريف إدريس".

ونجد في بعض الأوقات يغير عبد الهادي في صياغة الجمل ويضيف بعض ملاحظاته وبعض الصيغ مثال ذلك :

" فلما وصل إلى المعلاه عدل عن نزوله المعتاد، ونزل من سوق الليل، ونزل إلى بيته واعتدت عساكر حسن باشا للحصار ، وجعلوا المدافع على باب السدرة، وباب الباسطية ومن جهة باب الشبيكة وجهة سويقة واقتضى الحال تحريز مولانا الشريف أيضاً ".

ثاني عشر : السنجاري

علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري ولد السنجاري في مكة عام ١٠٥٧ هـ ١٥٤٧ م، نشأ المؤلف وترعرع في بيت علم وأدب رفيع فقد عرفت أسرته بالجاه والعلم والثراء، ودرس على عدة علماء منهم محمد بن عيسى بن إبراهيم بن أبي سلمة، والشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد اللطيف المصري البشبيشي، والشيخ الشلي باعلوى الحضرمي الشافعي، وآخرون وعمل بالأدب والخطابة وتولى إمامة الحرم، توفي السنجاري عام ١١٢٥ هـ ١٧١٦ م بمكة ، ومن مؤلفاته :

١- منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم :

هو كتاب مهم في تاريخ مكة المكرمة، سار فيه على منهج الحوليات وبلغ فيه إلى أخبار سنة ١١٢٤ هـ ١٧١٥ م أي قبل وفاته بسنة واحدة. واستفاد عبد الهادي من مؤلفاته في عدة مواضع منها

" فاجتمع أهل الرأي من رؤساء مكة مع الأمير خير الدين حضره سنجق جدة ".

كما نجد أن عبد الهادي يقدم ويؤخر في بعض الفقرات التي اقتبسها من السنجاري ولكن الأحداث هي نفسها إلى جانب إضافة بعض الإضافات التي تضفي على الحديث شدة المأساة مثال ذلك :

"وفي سنة خمس وستين وتسعمائة كانت سنون تقارب سنين يوسف عليه السلام شدةً، فانقطعت العيون إلا عين عرفة فإنها لم تنقطع، إلا أنه قل

جـريـانـها في تـلك السنين، ولـما عـرضـت الأحـوال إلـى الأبـواب السـلطانـية السليمانية فأمر بتدارك ذلك بأي وجه يكون".

كما اقـتبس الكثير مـن الـسنجاري مـع تصرف في بـعض الاقـتباسـات إلى جانب الاختصارات ومثال ذلك :

" وفي اليوم الثالث من ذي الحجة بعث مولانا إلى محمد شاووش أن يرتفع عن طريق العرضة هو ومن معه من العساكر يوم خروج الشريف إلى لقاء الأمير فامتنع من ذلك فعند ذلك ظهر لمولانا الشريف عروضه ".

ثالث عشر : العصامي

عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي الشافعي. ولد بمكة عام ١٠٤٩ هـ ١٦٣٩ م من عائلة مكية عرفت بالعلم، وتوفي عام ١١١١ هـ ١٦٩٩ م، درس على يد علماء عصره حتى أجازوه، فتصدر للتدريس بالمسجد الحرام عهدا طويلا مع انكبابه على تأليف الكتب الشرعية واللغوية والتاريخية التي استفاد منها عبد الهادي مثل

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، بدأ العصامي تأليفه عام ١٠٩٤ هـ ١٦٨٢ م وأنهاه عام ١٠٩٨ هـ ١٦٨٦ م، وألحق به بعد ذلك أخباراً عن حوادث ذي القعدة ١٠٩٩ هـ ١٦٨٧ م، وحاول أن يجعل كتابه تاريخاً واسعاً نسبياً لما يتعلق بمكة المشرفة من التاريخ القديم وتاريخ الإسلام والدولة الكبرى التي لها علاقة سياسية بمكة في عهد المؤلف لذلك كان هذا الكتاب يشبه موسوعة في تاريخ مكة فاستفاد منها عبد الهادي في كتابة في عدة مواضع منها

" وفي هذه السنة المذكورة – ١٠٧٨ هـ - كان بمكة غلاء شديدة".

ونجد عبد الهادي يقتبس من العصامي ولكن بتصرف مثال ذلك :

" وفي موسم هذه السنة - ١٠٨١ هـ - عند ورود أمير الحج المصري إلى مكة خرج إليه مولانا الشريف سعد وأخوه الشريف أحمد فأخلع عليهما بالزاهر ووصل مع الأمير الشامي خلعتين أيضاً ".

ومثال آخر على اقتباس عبد الهادي من العصامي :

" وفي أول سنة اثنين وثمانين وألف توجه حسن باشا مع الحج المصري جريحاً إلى المدينة وبها ولى إمارة مكة مولانا السيد أحمد الحارث ".

رابع عشر : داود الأنطاكي

هو داود بن عمر الأنطاكي ولد بأنطاكية ٩٥٠ هـ ١٥٤٣ م، عالم بالطب والأدب، وكان ضريراً، انتهت إليه رئاسة الأطباء في زمانه، حفظ القرآن وقرأ المنطق والرياضيات، ودرس اللغة اليونانية ووصل إلى دمشق وهاجر إلى القاهرة، ورحل إلى مكة فأقام بها حتى توفي في آخرها وكانت وفاته سنة ١٠٠٨ هـ ١٥٩٩ م.

تذكرة داود

استفاد منها عبد الهادي في هذا القول :

" وكان أكملها كذا خرج من بطن أمه فمن فطنته أنه اجتمع بشريف مكة حسن بن أبي نمي والتمس تقبيل يده ".

خامس عشر : ابن فهد

جار الله محمد عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد المكي الهاشمي أبو الفضل محب الدين، هو جار الله بن العز بن النجم بن التقي بن فهد ٩٥٤ هـ ١٥٤٧ م ولد بمكة ليلة ٢٠ رجب ٨٩١ هـ ١٣٩١ م اهتم والده منذ نعومة أظافرة فأحضره على أكابر الشيوخ وهو في الرابعة من عمره من هؤلاء الشيوخ السخاوي، كما أخذ عن والده، ثم قام بعدة رحلات طلباً للعلم فزار القاهرة، واليمن، ودمشق وبها التقى بالمؤرخ ابن طولون، وفي عام ٩٢٨ هـ ١٥٢١ م رحل جار الله إلى بلاد اسطنبول، ثم عاد إلى مكة عام ٩٣٤ هـ ١٥٢٧ م وألف جار الله الكثير من الآثار التاريخية وغيرها توفي بمكة عام ٩٥٤ هـ ١٥٤٧ م ومن الكتب التي اعتمد عليها عبد الهادي هي

غاية الأماني والمسرات لعلو سلطان الحجاز أبي زهير بركات، وهو في فضل أهل الكساء.

سادس عشر : السمرقندي

محمد بن الحسين بن عبد الله الشريف الحسيني السمرقندي المكي ، كان حياً عام ٩٩٤ هـ ١٥٨٥ م ، لم نعثر على ترجمة في المصادر القديمة، ولم يذكر عبد الهادي اسم كتاب السمرقندي الذي اقتبس منه وبالبحث ترجح أنه رجع إلى

إتحاف مولانا الحسن، بأخبار ملوك الزمن، ذكره السنجاري بهذا الاسم، ثم ذكر كذلك باسم تاريخ خلفاء الزمن، وملوكه وولاية السالكين أحسن سنن ذكره العصامي بهذا الاسم، ونقل السنجاري والعصامي من هذا الكتاب. وكذلك عبد الهادي، وللأسف لم يذكره ضمن كتابه لذلك رجحنا أن يكون هذا الكتاب هو الذي نقل منه عبد الهادي مثل من سبقه، فمن اقتباسات عبد الهادي يقول

" وبعد موت الشريف هزاع وقد عقد مجلس بالحرم الشريف حضره القاضي أبي السعود بن صلاح الدين بن ظهيرة، والقضاة والحكام والأمراء من العرب والأتراك وفيهم الشريف جازان وشيخ طائفة زبيد وأعيان الشرفاء الكرام وتفاوضوا فيمن يليق بإمارة مكة ".

سابع عشر : الموصلي

خضر بن عطاء الله الموصلي المكي ١٠٠٧ هـ ١٥٩٨ م، من الأدباء اللغويين، ورد على مكة فأصبح من كبار أدبائها وعلمائها وكتب الشعر الرائق واشتهر بمعرفة اللغة والنحو والمعاني، قربه الشريف حسن بن أبي نمي وبالغ في إكرامه، وألف الشيخ خضر باسم الشريف العديد من كتبه من أهمها

الإسعاف بشرح أبيات القاضي والكشاف. عام ٩٤٤ هـ ١٥٣٧ م، وهو من الكتب التي لم تكتحل عين الدهر لها بنظر ورجع إليها عبد الهادي.

ثامن عشر : الصديقي

محمد بن محمد بن علان البكري الصديقي الشافعي المكي. ولد بمكة عام ٩٩٦ هـ ١٥٧٧ م ونشأ بها فقيراً ناسخاً للكتب وتعلم حتى تصدر للإقراء وعمره ١٨ سنة، وتصدر للإفتاء وعمره ٢٤ سنة، أخذ عن علماء كثيرين منهم المؤرخ عبد الملك العصامي، وعن الوافدين إلى الحرمين من العلماء، تعددت اختصاصاته العلمية فألف في علوم كثيرة منها التفسير، والعقيدة، والفقه، والنحو، والتاريخ، كان محمد علي بن علان من أهم مؤرخي عصره في مكة وأغلب غايته متجهة إلى الحرم المكي، توفى محمد بن محمد بن علان عام ١٠٥٧ هـ ١٦٤٧ م، وقد أخذ عن ابن علان كثير من مثقفي عصره ومن أتى بعده مثل عبد الهادي خاصة كتاب.

نشر ألوية الشريف بالإعلام والتعريف بمن له ولاية عمارة ما سقط من البيت الشريف، وسبب تأليفه هي إن البيت لما سقط سأل الشريف مسعود ، صاحب مكة إذ ذاك ، العلماء عن حكم عمارته فأجابوه بأنه فرض كفاية على سائر المسلمين والشريف ولشريف مكة تعاطي ذلك وإنه يعمره، ورصد محمد بن محمد الجدل الذي سار حول ذلك، من هنا استفاد عبد الهادي في كتابه ما دار حول هذا.

تاسع عشر : ابن يعقوب

تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم المالكي المكي المعروف بابن يعقوب. ولد بمكة وأخذ عن شيوخها كعبد القادر الطبري وعبد الملك العصامي، درس بالمسجد الحرام وتولى القضاء والخطابة، وتولى كتابة الرسائل الديوانية باسم شريف مكة إلى السلطان العثماني وغيره. وتوفي عام ١٠٦٦ هـ ١٦٥٥ م، ولم يذكر عبد الهادي اسم الرسالة التي نقل عنها.

عشرون : ابن شيخان

أحمد بن أبي بكر بن سالم بن شيخان باعلوي المكي، ولد بمكة عام ١٠٤٩ هـ ١٦٣٩ م ونشأ بها ولازم أباه وأتقن كثيراً من الفنون، درس بالحرم وكتب الشعر وألف عدة رسائل، من أهم كتبه التي نقل عنها عبد الهادي هي

مختصر تـاريـخ الـقطب النهـروالي المسمى بـالبرق الـيماني، اختصره وزاد فـيه زيادات.... وتوفي أحمد بن أبي بكر عام ١٠٩١ هـ ١٦٨٠ م.

الفصل الثالث : عن المخطوط

أولًا : التعريف بالمخطوط وأهميته
ثانيًا : وصف النسخة الخطية للمخطوط
ثالثًا : نسبة المخطوط لمؤلفه
رابعًا : منهج المؤلف في المخطوط
خامسًا : منهج التحقيق

أولًا :
التعريف بالمخطوط
وأهميته

بعد البحث والسؤال في المراكز العلمية، وكتب فهارس المخطوطات تبين لي أنه لم يوجد لهذا المخطوط سوى نسخة واحدة بمكتبة الحرم المكي الشريف كتبت بخط معتاد تحت رقم ٣٤٨٣ تاريخ ١٢٤ ورقه مقاس ٣٢ب٢٢ سم ومصورة على الفيلم ورقمه في المكتبة ٠٢٣٧٨ وفي كل ورقة وجهان ، أ ، ب ، وفي كل وجه ما بين ٣٣ سطر و٣٩ سطر على أنه يوجد في بعض الأوجه ٣٢ سطر فقط، ويحتوي كل سطر من ٩ إلى ١٣ كلمة، وقد كتبت بخط نسخ جيد، وعدد الأوراق ١٢١ ورقة بدون المفقود في القسم الذي لم يتم تحقيقه والتي تبدأ من الورقة ١ وحتى الورقة ٤٠.

وتوجد نسخة مصورة من هذه المخطوطة بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى تحت رقم ٢٥٠ ضمن مجموعة التاريخ والتراجم عدد الأوراق ١٢١ ورقة مصورة طبق الأصل من النسخة الأصلية التي في مكتبة الحرم.

وقد قمت بالاستفادة من النسخة الموجودة في مكتبة الحرم المكي الشريف والمدون معلوماتها أعلاه.

ثانيًا :
وصف النسخة الخطية
للمخطوط

يبدأ المخطوط بالنصف من جهة اليسار حيث عنوان المخطوط مكتوب في وسط الهامش الأعلى وتوجد عليه أرقام ٣٤٨٣، ٢٣٨٧، بالصفحة الأولى التي على اليسار والصفحة اليمنى فارغة لا يوجد بها أي كتابة لذلك سار المخطوط من اليمين ب ثم على يساره أ.

بدأ المخطوط بمقدمة من ستة أسطر، ثم ذكر أنه اعتمد على ابن فضل الطبري الحسني، ومن غيره من التواريخ إلى أن يصل إلى دولة مولانا الشريف زيد فيرصد أحداثها بالمشاهدة إلى جانب أن عبد الهادي لم يذكر مكة في العصر الجاهلي بل بدأ بذكر سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وحكمه لمكة ثم ذكر أبا بكر وباقي الخلفاء الراشدين.

والمخطوط به رطوبة واضحة على صفحاته، ثم يشير المؤلف إلى أغلب الأعلام الواردة بالمداد الأحمر، إلى جانب وجود آثار ترميم في صفحة ٥٤ أكما يوجد شطب من المؤلف في أعلى صفحة ٤٤ أ نظراً لتكراره ووجود بعض

السقط. وبالرجوع إلى عدد صفحات المخطوط وجد عددها ١٢١ صفحة لوجود كلمة تمت في نهاية صفحة ١٢١.

- مميزات المخطوطة :

١- تتميز هذه النسخة باكتمال صفحاتها وعدم وجود نقص في صفحاتها.

٢- خطها جيد ومقروء، إلا أن هناك بعض الكلمات التي يصعب قراءتها أو مطموسة.

٣- كتبت بعض العناوين بالمداد الأحمر مما أوجد مشكل في قراءتها عندما صورت نتيجة عدم ظهور المدد الأحمر مع التصوير الأبيض والأسود.

٤- رواياته كاملة عندما يسرد الرواية.

٥- يندر بالمخطوط سقوط أحداث أو رواية.

٦- نادراً ما يوجد بها هوامش إلا في صفحة ٧١ ب عندما تدارك بإضافة بعض الكلمات فوضع علامة × واستكمل الكلام.

- المآخذ على المخطوطة :

١- هناك العديد من الأخطاء والأساليب الإملائية التي لا تتفق مع شخصية المؤلف خاصة وأن له نصيباً وافراً في الأدب، حيث نجده يشتمل على الكثير من الكلمات ذات اللهجة العامية مثل ، وطلعوهم – يخلوا وياه – عشمن – فقاله – فلقيو – يجيبوا، اندر وغيرها ، تم تصحيحها.

أما الأخطاء النحوية مثل ، سابع ذي القعدة – أخيه – باشة – اثنين وعشرين في شوال – فحاولوهم – إنكان – الثلاث رابع ذي القعدة – اسلطانية صحبت – محمد ابن عثمان – يخلوا لهم شيء – فلم أحد قدر – الثلاثة الأيام ، وتم تصحيحها وفق المنهج العلمي.

٢ – عدم وضع عناوين جانبية للموضوعات، والفصل بين السنين حتى نفهم أنها سنة جديدة من الأحداث، فترك المخطوط متشابكاً، ومتداخل الموضوعات في بعضها، حيث يصل الشعر بأحداث السنين، كما أنه لم يتحدث عن بعض السنوات مما تم الإشارة إليه في التحقيق.

٣ – عند ذكره للشعر لم يجعله مرتباً حتى نفهم أن هذا شعر .

وقد قمنا بمراجعة، هذه الأخطاء الإملائية والنحوية وقد تم تصحيحها والإشارة إلى ذلك في هوامش صفحات التحقيق.

ثالثًا :
نسبة المخطوط لمؤلفه

وجدنا على الورقة الأولى من المخطوط اسم الكتاب، وهو الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر، وكما وجدنا في الصفحة الأخيرة من المخطوط كلمة "تمت" وكانت في ورقة رقم ١٢١.

وقد كتب المؤلف – رحمه الله – اسم كتابه هذا في مقدمته التي ذكرها في أول المخطوط حيث قال :

" وسميته الدر الفاخر في خبر الأوائل والاواخر اقتداءَ بمن سلف من العلماء والمؤرخين الوارثين للعلم من الأنبياء والمرسلين "

كما وجدنا أن الحبيب الهيلة ذكره في كتابه التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري ،جمع وعرض وتعريف مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، فرع مؤسسة مكة المكرمة طبعة أولى ١٩٩٤ م، ص ٣٨٩ و ٣٩٠، وأيضاَ ذكره المعلمي في كتابه أعلام المكيين من القرن التاسع الى القرن الرابع عشر الهجري.

ومن خلال مقدمة عبد الهادي الطاهر في هذه المخطوطة يتضح نسبة المخطوط لمؤلفه، حيث ذكر ذلك بعد الحمد والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين، فيقول الفقير إلى الله تعالى الملتجئ بربه الغافر عبد الهادي بن محمد صالح الطاهر سنح لى أن أجمع تاريخا تذكرة لأولى الأبصار وعبرة لأولى الاعتبار .

رابعًا :
منهج المؤلف في المخطوط

يلاحظ عند توثيق معلومات عبد الهادي في كتابه ، الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر أنها متطابقة مع روايات ابن فضل الله الطبري ، إتحاف فضلاء الزمن، والسنجاري ، منائح الكرم ؛ لأن عبد الهادي بذل جهداً كبيراً في جمع روايات متفرقة من اتحاف فضلاء الزمن و منائح الكرم ليجعلها في مكان واحد أي جمع بين الروايات وجعلها في رواية واحدة، واستطاع بذلك أن يغطي جوانب الفترة التاريخية التي تناولها مرتبة ترتيباً حولياً، إلا أنه تجاهل أحداث بعض السنوات.

فقد عرض عبد الهادي مادته العلمية وفق منهج علمي يتصف بالدقة والأمانة والموضوعية، فقد كان ينقل الأقوال من مصادرها بألفاظها في أغلب الأحيان دون حذف أو إضافة، ويشير إلى قائلها ومن أمثلة ذلك ، قال الشهاب الخفاجي في كتابه الريحانة في ترجمة الشريف حسن

" وقـد كـان انـتهاء صـعود الشريف في أرض الـحجاز بـالسـيد الشريف، وبالمغرب بمولاى أحمد، وفي الروم السلطان مراد خان، ونحن الآن لا ندري ما يـريـد ومـالا يـراد بين قـوم مـجانيين، فـالـجواد دون الحـمار المصري، وأبـو جهـل يعظ الحسن البصري "

وكذا قول الإمام الطبري في النشأة :

" وأخبرني من أثق به أنه كان تحته ذلك اليوم فرس تسمى الجرادة، وأنه أقحمها الخندق الذي حفرته الأتراك حول سور المعلاة، وهو بمفرده يضرب في الجيش بسيفه وما انهزموا وهو يضرب بهـم حتى أبعدهم، فذرع بعد ذلك عرض الخندق، فكان سبعة أذرع "

إلى جانب ذلك كان عبد الهادي يقوم في بعض الأحيان بالتعريف ببعض الأعلام مثال ذلك المرشدي، والمقري، وابن علان، وغيرهم.

كما كان يميز الـعلم عـن غيره، فـيذكـر اسـمه وكـنيته ومـا يميزه عـن غيره باختصار، ومثال ذلك ، عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السنباطي القاهري الشافعي المكي، أحد العلماء العاملين، والأئمة الوارثين وشيوخ المدقيين، حامل لواء مذهب الإمام الشافعي على كاهله.

خامسًا :
منهج التحقيق

هناك رأيان في علم تحقيق المخطوطات العربية .

الأول : يرى الاقتصار على إخراج النص مجرداً من كل تعليق.

الثاني : يرى أنه من الأفضل توضيح النص بوضع الهوامش والتعليقات وإثبات الاختلافات، والتعريف بالأعلام والأماكن والمصطلحات، وشرح ما يحتاج إلى شرح وتوضيح.

وقد أخذ الباحث بالرأي الثاني لأسباب عدة منها:

١- ندرة النسخة حيث هي الوحيدة كما أنها لا تخلو من التصحيف والتحريف.

٢ – معظم المخطوطات العربية لم تصل إلينا بخط مؤلفها، وإنما هي بخط النُسّاخ المختلفين في مستوى الثقافة والمعرفة.

وقد اتبع الباحث في التهميش والتعليق على هذه النقاط :

. رغم قلة ورود الآيات القرآنية في المخطوط إلا أن الباحث أرجع الآيات التي وردت إلى سورها.

. تفسير ما يكون قد غمض أو شك في معناه من الكلمات (غريب الألفاظ)، بالرجوع إلى المعاجم اللغوية.

• الرجوع إلى المعاجم الجغرافية القديمة والحديثة في تحديد أماكن بعض المدن والقرى التي مر ذكرها في المخطوط

. متابعة الأبيات الشعرية التي وردت في المخطوط، حيث يرى استدراك الكثير من الأخطاء الإملائية واللغوية وتفسير معاني الكلمات الغامضة، كما تم تقويم الكثير مما حصل في القصائد من خلل في الوزن، وتمت الإشارة إلى الأخطاء الواردة في الحواشي.

. التعريف بالأعلام والجماعات والقبائل والكتب التي وردت في ثنايا المخطوط في الهامش بالقدر الذي يقوم النص وتيسير الوقوف عليه.

. تفسير بعض المصطلحات التاريخية والحضارية المختلفة الواردة في المخطوط.

• مقارنة النص ببعض الكتب التي أعتمد عليها صاحب المخطوطة مثل كتاب تاريخ مكة ، إتحاف فضلاء الزمن ، لمحمد بن علي بن فضل الطبري، وكتاب سمط النجوم العوالي للعصامي،وكتاب منائح الكرم للسنجاري وغيرها وهي كثيرة.

. أشرنا في الهوامش إلى مواضع الإنحراف والبدع والخرافات وإلى كل ما يخالف المنهج الإسلامي فيما تضمنه المخطوط.

. قام الباحث بوضع عناوين جانبية للكتاب ووضعها في الوسط أو على الجانب الأيمن .

- لحصر الإضافات أو النقص الطارئ على النص وضع بين المعكوفتين [ ] كما وضع بين المكعوفتين بداية الورقة.
- ما وضع بين القوسين كلمات خطأ.

ثانيًا :
قسم التحقيق

أحداث القرن العاشر الهجري

[أحداث عام 901 هـ]

في سنة إحدي وتسعمائة توفي السلطان قايتباي ، وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة إلا ثلاثة أشهر، في آخر يوم الأحد الثلاث بقين من ذي القعدة الحرام من السنة المذكورة وصلى عليه يوم الإثنين، ودفن في تربته التي بناها في الصحراء في حياته في الاستحكام والحسن والزينة، وبها مساكن للفقراء وأوقاف دائرة إلي الآن ليس بمصر أحسن تربة منها، كما حدثنا بذلك الثقات، وكان له مشهد عظيم لم يعهد لملك قبله، ولم يملك أحد من الجر اكسه قدر مدته، رحمه الله تعإلى. وتسلطن بعده ولده الملك الناصر أبو السعادات محمد، وكان شابا يغلب عليه الجنون والسفلة ولا التفات له إلى الملك . وله أفعال شنيعة وأحوال فظيعة وقتله عسكر أبيه .

[أحداث عام 903 هـ]

وفي سنة ثلاث وتسعمائة توفى صاحب مكة مولانا الشريف محمد بن بركات في يوم الثلاثاء الحادي عشر من محرم الحرام بوادي الظهران. وحمل إلى مكة، وصلي عليه ودفن بالمعلاة، وبني عليه قبة موجودة إلى الآن.

قال ابن فهد :

" ولما وصلوا به إلى مكة ضجت البلاد وغلقت الأسواق وقرئت الرباع ستة أيام بالمسجد الحرام صباحاً ومساءً بحضرة الأشراف والقضاة والفقهاء وغيرهم، وأنشد الشعراء فيه المراثي الحسنة (رحمه الله تعالى) على توالي الأزمنة. "

وكان جامعا لأشتات الفضائل حاويا لمحاسن الشمايل، بنى بمكة رباطاً للفقراء، وسبيلا بالنوارية في طريق وادي مر، وسبيلاً أيضا بطريق جدة، وأوقف على الرباط والسبيل أوقافا كثيرة، وهي بوادي مر شهيرة. وخلف من الأولاد ستة عشر ذكرا غير الإناث، منهم حميضة ورميثة وجازان وهزاع وقايتباي وعلي وراجح وبركات، فولي مكة مولانا الشريف بركات بن محمد، وقرئ توقيعه بالحطيم يوم الأربعاء ربيع الآخر عام تاريخه .

[أحداث عام 904 هـ]

وفي سنة أربع وتسعمائة خرج أبو السعادات محمد مستخفيا منفرداً عن عبيده وخدمه متباعداً عن خدمه وحشمه، وعد ذلك من غروره يريد الجيزة فكمن له عشرة من مماليك أبيه في خيمة على ممره، فلما وصل إليهم اغتنموا انفراده وخرجوا، له من الخيمة، ومسكوا لجام فرسه، وضربوه بالسيوف إلى أن قطعوه، وجاءوا به مقتولاً إلى القاهرة ودفنوه في تربة أبيه. وسلطنوا بعده خاله الملك الظاهر أبو النصر قانصوة الجركسي. وفي هذه السنة خالف الشريف بركات أخوه هزاع، وتحاربا، ثم اصطلحا، وسبب ذلك أن طومان لما

ولى مصر بعد جان بلاط طرد رجلاً من جماعة جان بلاط يقال له: قانصوه المحمدى، ويعرف بالبرج. فجاء إلى مكة فلم يلتفت إليه صاحب مكة الشريف محمد بن محمد بن بركات ولا قاضيها خوفا من السلطان طومان، فلما فقد طومان وتولى الغوري على مايأتى أرسل إلى قانصوة البرج بولاية الشام، فوصلت إليه في أول ذي القعدة وهو بمكة وجاء الشريف بركات والقاضي أبو السعود بن ظهيرة إليه، فلم يأذن لهما "كما قلت"التفاتهما إليه أولاً.

وكان الشريف هزاع بن محمد بن بركات بمكة فعامله قانصوه على أن يجعل له إمارة مكة، ويخلع أخاه بركات، وأمره بالخروج إلي ينبع فخرج في خمسمائة فارس، ونزلوا ينبع، وسيأتي بيان ذلك .[٤١/ب]

[أحداث عام 905 هـ]

[الصراع بين هزاع وبركات]

وفي سنة خمس وتسعمائة خلع الظاهر قانصوة،وتسلطن بعده الملك الأشرف جان بلاط، وخلع بعد ستة أشهر بالملك طومان باى، وما استكمل يوما واحدا إلا وهجم عليه العسكر وقتلوه، فما قدم أحد على السلطنة، وكانت الأمراء متواجدة، وكلهم يشير إلي بعضهم البعض بالجلوس على التخت . فاتفق رأيهم على أن يولوا قانصوة الغوري، لأنهم رأوه لين العريكة، سهل الإزالة، أي وقت أرادوا إزالته أزالوه، لأنه أقلهم مالاً، وأضعفهم حالاً، وأوهمهم قوة، فأشاروا عليه أن يتقدم فأبي، فألزموه بذلك، فقال :

" أقبل منكم بشرط ألا تقتلوني، فإذا أردتم خلعي من السلطنة أخبروني بما تريدونه، وأنا أوافقكم على ذلك، وأنزل لكم عن الملك، وأمضي حيث أريد. "

فعاهدوه على ذلك، فقبل منهم. وتسلطن قانصوة الغوري، وكان ذلك في سنة ست عشرة وتسعمائة، وفرح العسكر بولايته، لأنهم سئموا من تعدد السلاطين وسرعة انقضاء ملكهم، بل فرح العامة وأمنوا على أنفسهم وأموالهم

في الجملة وفي هذه السنة أرسل قانصوة بولاية الشام كما قدمنا، وأمر قانصوة للشريف هزاع بالخروج إلى ينبع كما قدمنا. فخرج في خمسمائة فارس، وكان والي ينبع يحيى بن سبيع الحسيني وكاتبوا السلطان في إمارة مكة المشرفة بمائة ألف دينار شريفي جديد. فأمر مولانا السلطان بتعين المقر البدري بن مزهر بإخماد هذه الفتنة. ثم إن قانصوة الغوري أرسل إلى أمير الحاج المصري سودن العجمي ودولات باى أمير أول يأمره أن يعطي المراسيم والخلع للشريف هزاع . ففعل ذلك أمير الحاج لما وصل إلى ينبع، وأتاه الشريف هزاع بكتاب طومان باى وتوجه مع الحاج إلى مكة، ومعه الأشراف بنو إبراهيم في نحو [مائة] فارس: فلما علم بذلك الشريف بركات خرج إلى وادي مر، والتقي الجمعان هناك، وتقاتلا فانكسر هزاع، وقتل من أصحابه نحو ثلاثين، فأعانه أمير المصري والحجاج على أخيه بالمال بذله إليه الشريف هزاع، فكثر المقاتلون على الشريف بركات، وقتل ابنه أبو القاسم وجماعة من العسكر، وأخذت صحفته بما فيها، وانتهكت الحرم والأطفال، فهرب الشريف بركات إلى جدة، ودخل والياً [على] مكة مولانا الشريف هزاع صحبة الحاج المصري. واضطربت أحوال الناس، ونهبت الأطراف، فضجت الناس، وطلعوا للشريف هزاع وأسمعوه ما شق عليه. فدخل عليه، عمه إبراهيم بن بركات، وأمره بالخروج معه إلى الشريف بركات. فخرج معه، وأصلح بينهما والتزم الشريف بركات أن يأخذ من الشريف هزاع ثلاثة الألف شريفي، فوافقه الشريف هزاع، ولم يحج الشريف بركات في هذا العام . وخرج من جدة إلى بدر، وأقام هناك بجموع جمعها، ثم إن الشريف هزاع لم يأمن أخاه، فخرج مع الحج المصري إلى ينبع، فانحاز إلى يحي بن سبيع أمير ينبع وغيرهم من زبيد أخوال أخيه جازان، وجمع هناك الجموع،فدخل الشريف بركات مكة لثمان بقين من ذي الحجة في السنة المذكورة ثم إنه تأهب لقتال أخيه هزاع، وأقبل هزاع نحوه فخرج للقائه، والتقيا بالبرقا في أول ضحي يوم الأحد تاسع جمادى الأولى سنة سبع وتسعمائة؛ فهزم عسكر الشريف بركات وقتل أخوه الشريف بركات بن

دعيج وجماعة من الأتراك وسبعة من آل بني نمي وخلق من الفريقين فتوجه الشريف بركات إلى الليث من جهة اليمن [٤٢/أ] فتبعه الشريف هزاع وجد خلفه ففاته، فلما فاته الشريف بركات رجع إلى جدة، وأقام بها وزيرا وحاكماً، وقرر أحوالهما ووصلت المراسيم والخلع من البحر على يد الأمير إلياس.

وطلع الأمير إلى مكة، فكان دخول الخلع يوم الثلاثاء الحادي عشر [من] الشهر [المذكور]، وقرأ المراسيم والبسه الخلعة واستمر بمكة، ثم توعك فخرج إلى وادي الآبار وهو مريض فتوفي بوادي الآبار في الخامس عشر [من] رجب وحُمل إلى مكة وصُلى عليه، وطيف به سبعاً على عادتهم ودفن بالمعلاة بقبة أبيه، فوُلِيّ مكة أخوه مولانا الشريف أحمد بن بركات الملقب بالجازاني، ودخل مكة [في] الخامس [من] رجب في السنة المذكورة، بمساعدة القاضي أبو السعود بن ظهيرة، وكان تدميره تدبيره رحمه الله تعالى .

قال السيد السمرقندي :

" وبعد موت الشريف هزاع وقع عقد مجلس بالحرم الشريف، حضر صدره القاضي أبو السعود بن صلاح الدين بن ظهيرة والقضاة والحكام والأمراء من العرب والأورام وفيهم الشريف جازان، ومالك بن رومي شيخ طائفة زبيد، وأعيان الشرفاء الكرام وتفاوضوا فيمن يليق بإمارة مكة، فقال مالك بن رومي: ما أمير مكة إلا جازان، في كلام تكلم به فسكت الحاضرون، فقال القاضي أبو السعود: من يليها إلا أن تكون في وجهه، فقال مالك بن رومي: جازان وبنو إبراهيم معه في ذلك. "

فنودي في شوارع مكة لجازان، ووليها ويحيى بن سبيع بمكة ومن معه، وصار الناس في حرج شديد، فبلغ الشريف جازان أن قدوم الشريف بركات إلى مكة في شعبان عام تاريخه فخرج من مكة إلى ينبع، ووردت المراسيم والخلع في أثناء الشهر للشريف بركات، والاعتذار إليه بأن ما وقع إنما هو مباطنة أمير الحاج لأخويه وأنه اعتذر بأنه خاف منهما على الحج من القتل والنهب فلبس مولانا الشريف بركات الخلعة الواردة إليه و[طاف بها] ثم إنه لما استقر أمره

قبض على قاضي القضاة جمال الدين أبو السعود بن ظهيرة في التاسع [من] رمضان العام المذكور .

وما ذاك إلا جماعة الشريف بركات ظفروا بكتب من القاضي المذكور إلى الشريف أحمد يستحثه إلى مكة بعد وفاة هزاع، فظفروا بها قبل أن يصل إليها الشريف أحمد، فأتوا بها إلى الشريف بركات . فعقد الشريف بركات له مجلساً ببيته، واستدعاه من درسه في التاسع [من] رمضان فاستمهل ولم يمهل. فلما حضر المجلس لم يقابله بما يعتاد من إكرامه والقيام، وأمره أن يجلس مجلس العوام، ثم أخرج كتابه وقرأه على الحاضرين من القضاة والأعيان وباش عسكر والمحتسب والشهاب اليعيني.

وسأل الجماعة له العفو، فلم يجابوا إلى ذلك، بل أقيم من المجلس، وأودع السجن وأخذت أمواله الظاهرة، وأمر ببيع عقاره فبيع غالبه، ثم خرج إلى القنفذة وأغرق في البحر هناك في يوم الجمعة ثاني عيد النحر من السنة المذكورة . ومولد هذا القاضي - رحمه الله تعالى - سنة ثمانمائة وتسع وخمسين، فنسأل الله السلامة.

وفي [هذه] السنة خرج الشريف بركات لقتال أخيه أحمد الجازاني إلى ينبع. فالتقيا [في] السادس [من] ذي الحجة، فكسر بركات وقتل ولده السيد إبراهيم وجماعة من عسكره فرجع إلى مكة، ومرض بها. وتوفي بمكة ابنه السيد عجلان، وأتاه الخبر بأن أخاه الجازاني جمع جموعاً وهو قاصده فلما تحقق [من] ذلك خرج من مكة إلى اليمن وأقام بها [إلى شهر] رجب حتى قوي من مرضه .

[أحداث عام 908 هـ]

[الصراع بين أحمد الجازاني والشريف بركات]

وفي سنة ثمان وتسعمائة دخل الشريف جازان بجيش [٤٢/ب] كبير إلى مكة في شهر رجب. عاد الشريف بركات إلى مكة، وكان الناس خائفين من

الشريف الجازاني لأنه جار في أهل مكة، وكرهوا ولا يته فالتقيا بالمنحني، ففر جماعة من الأشراف، وكانوا مباطنين مع أخيه أحمد الجازاني فانكشف مولانا الشريف بركات، ففر إلى منى، ومن منى على الحسينية متوجها إلى اليمن، فتبعه الجازاني، فسمع به الشريف بركات أن أخاه وراءه بعسكره، فأخذ في طريق آخر، ودخل مكة، وما لقي بها مدافع، ففرح الناس بالشريف بركات كما تقدم ذلك من أخيه من الجور بأهل مكة واستقر بها، وكان ذلك يوم الجمعة الحادي عشر [من] رمضان، وعاهدوه على القتال معه، وبذلوا الهمة في مساعدته، وحفروا له خندقاَ علو مكة وأسفلها.

فعاد أحمد الجازاني إلى مكة، فحاربه الشريف بركات وأهل البلد وأظهروا له العداوة، وكذلك الأورام صدقوا مع بركات في الحرب، فكسر الشريف أحمد الجازاني، ثم استعان واستنجد بصاحب يبنع فأعانه بجيش بعثه له فتقوي به وقصد مكة يوم السبت الرابع عشر [من] شوال من السنة المذكورة، ودخل [مكة] من ذاخر فتلقاه الشريف بركات بمن معه من أهل مكة، وقاتلوهم عند باب المعلاة قتالاً شديداً وفر جماعة الشريف بركات، فثبت هو ومن معه من الأورام والمجاورين، وأبان في ذلك اليوم من شجاعته وقوته. وما زال حتى زحزحهم عن مصافهم قال الإمام الطبري في النشأة :

" وأخبرني من أثق به أنه كان تحته ذلك اليوم فرس تسمي الجرادة، وانه أقحمها الخندق الذي حفرته الأتراك حول سور المعلاه وهو بمفردة يضرب في الجيش بسيفه، فانهزموا وهو يضرب بهم حتى أبعدهم. فذرع بعد ذلك عرض الخندق فكان سبعة أذرع. انتهى . "

فانهزم القوم إلى ينبع ثم إن الشريف بركات توجه إلى جهة اليمن، فدخلها أخوه الشريف أحمد الجازاني، وقد انتهز الفرصة، فنهبها، وعذّب أهلها في الثالث عشر [من] ذي القعدة، ثم خرج منها إلى ينبع فصادف إقبال تجريده من مصر إلى مكة، فاجتمع بأميرها وجعل له ستين ألف شريفي أحمر على أن يقبض على الشريف بركات ويوليه مكة، فترك ينبع وعاد إلى مكة، وكان قد

رجع الشريف بركات من اليمن في الثالث عشر [من] ذي القعدة، فخرج إلى ملاقاة المقر الأشرف الأتابكى أمير التجريدة، فخلع على الشريف بركات بالزاهر، ودخل مكة بين المحمل والشريف بركات ولبس الخلعة ومعه إخوانه، ولم يزالوا إلى أن وصلوا مدرسة الأشرف قايتباي، قبض على الشريف بركات ومن معه من الأشراف، وجعلوه في الحديد، ونهب بيوتهم، وأخذ خيلهم وإبلهم، ونادي في البلاد للشريف أحمد الجازاني، وحج بهم مكربلين في الحديد.

ثم رجع بهم إلى مصر فتألم السلطان الغوري لما جرى وأمر بإطلاقهم، وأنزل الشريف بركات في منزل خاص هو ومن معه من الأشراف، وفي ذلك يقول شاعر البطحاء ابن العليف المكي مسليا الشريف بركات:

عزيز على بيت النبوة والملك

مقام على ذل الهوانة والفتك

وهذه قصيدة طويلة، ومدحه جملة من الشعراء، وأجادوا في شعرهم وما زال الشريف بركات بمصر ينتهز الغفلة ويستنجد المهلة، حتى أمكنه الفرار وساعدته الأقدار، فتوجه إلى مكة المشرفة في ساعة موفقة، وما شعر به الغوري : إلا بعد يومين فأرسل خلفه فلم يلحقه وظفر في طريقه بالسيد بطاح الحسيني مرسولاً من أخيه الشريف أحمد بهدايا وأموال إلى السلطان [٤٣/أ] الغوري، فكانت من نصيبه، لأنه قتله وأخذ ما معه.

وأما الغوري فلما فقد الشريف بركات منع من كان بمصر من جماعة بركات وعياله، وحرس عليهم فخرج أمير الحج انسباى بعدة عظيمة من العسكر والمدافع خوفاَ من الشريف بركات، فلما بلغ ذلك الشريف بركات بعث إليه رسولاً إلي عين القصب بمكاتيب يؤمنه، ويأمره بالحج على أيسر الأحوال، ويعرفه أني من خدمة السلطان، ولا يحصل مني شئ في أمر الحاج، فلما بلغ هذا الخبر حضرة السلطان رضي عنه، وجهز له عياله، وجمع ما كان له بمصر .

[أحداث عام 909 هـ]

وفي سنة تسع وتسعمائة، قتل الأتراك بمكة الشريف جازان وولى أخوه مولانا الشريف حميضة، وحج بالناس ذلك العام، وهو العام الذي فر فيه الشريف بركات إلى مصر، ثم إلى المشرق، فنزل على السيد حميدان بن شامان الحسيني تزوج على ابنته الشريفة غُبية بنت حميدان فحملت منه بالشريف أبو نمي.

[أحداث عام 910 هـ]

وفي سنة عشر وتسعمائة أرسل السلطان الغوري بولاية مكة للشريف بركات بن محمد، وكان قد دخل هذا الموسم بالسيف وأخرج حميضة، وأمن الحاج وجاءه التفويض طبق ما في مراده فاستمر بمكة، وفرح به العباد والبلاد، ثم إن الشريف بركات أقام ولده الشريف علياً في نصف إمارة مكة،وأقام أخاه مولانا قايتباي شريكاً لولده في النصف الثاني، وكانا شريكين يلبسان الخلعتين وينفرد مولانا بالدعاء في خطبة الجمعة، وكان بينه وبين أخيه مودةً ومصافاة. ودام ذلك بينهما إلى أن توفي السيد قايتباي.

[أحداث عام 911 هـ]

وفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة أخر ليلة الصعود إلى عرفة ولد الشريف محمد أبي نمي، قال العلامة عبد القادر الطبري في حسن السيرة :

" فكان طالع سعد أكبر فإنه منذ ظهر توالت على والده البشائر، وصفت منه عن الأكدار السرائر، ومازال راقياً معالي المجد، ومستخدماً بالعز والإقبال والسعد "

وقد أخبرني سيدي ووالدي عن والده المرحوم محمد عن والده المرحوم المقدس شرف الدين يحيى :

" إن ما شافه به مولانا الشريف بركات أنه من يوم ولد له هذا المولود أقبل السعد، وذهب عنه الحزن . وكان الشريف طفلاً في ذلك الوقت في حجر والده، ويسمع والده يخاطب الطبري بهذا اللفظ، ولهذا كان عنده بغاية من الإجلال والاحترام والأفضال، لما كان من يشاهده من والده من الإكرام له" .

وفي هذه السنة توفي السيد على بن بركات فجعل عوضه أخاه مولانا الشريف محمد المصري بن بركات، وفيها خرج الشريف بركات لقتال مالك بن رومي الزبيدي الذي كان سبباً لنهب الحج ومكة زمن أخيه أحمد الجازاني، وتبعه إلى جبل الروحاء، وقتل مالك وأولاده الثلاثة مقرض وقادم وداعر وأخاه مشهور، وطائفتهم وبعث برؤوسهم إلى الغوري ونصبت على أبواب مصر وحصل بذلك غاية السرور للسلطان ولجميع الناس.

[أحداث عام 915 هـ]

وفي سنة خمس عشرة وتسعمائة بعث مولانا الشريف بركات السيد عرار بن عجل إلى السلطان الغوري بهدية من جملتها، عشرون عبداً حبشياً وعشرون ألف دينار ذهباً، وعشرون فرساً، وثلاثة آلاف دينار للدويدار. فقابل السلطان الغوري بهدية وخلع عليه وعلى من معه، وأرسل إلى مولانا الشريف بخلعة سنية وهدية عظيمة، وخاطبه بخطاب بليغ وفوض إليه جميع الأقطار الحجازية حتى ينبع وغيرها، فحصل بمكة للخاص والعام فرح تام عام بقتل من قتل من زبيد ومدح الشريف بركات شعراء زمنه جميعاً.

[أحداث عام 916 هـ]

وفي سنة ست عشرة وتسعمائة أمر السلطان ببناء [٤٣/ب] باب إبراهيم، وأن يجعل بعقد، وفي علوه قصر، وبنى في جانبه مسكنين لطيفين

وبيوتا معدة للكرا حول باب إبراهيم، وأوقف للجميع على جهات الخير. قال القطب الحنفي :

" ولا يصح وقف ذلك القصر، لأنه في المسجد، وكذلك المسكنان، لأن أكثرهما واقع في أرض المسجد الحرام. وبني أيضاً ميضأة خارج باب إبراهيم على يمين الخارج من المسجد قلت هي باطلة الآن "

ورخم حجر البيت الشريف .

[أحداث عام 917 هـ]

وفي سنة سبع عشرة وتسعمائة أمر السلطان الغوري بإنشاء عمارة سور على جدة لأنها كانت غير مسورة، وكانت العربان تنهبها في أيام الفتن، وانتهبت مراراً، وأسرت أيام الفتن عربان زبيد الخواجا محمد القاري، وكان من أعيان التجار، فهجموا على بيته، وأنزلوه من السطح، وأركبه واحد منهم خلفه على فرس، وتوجهوا به إلى مساكنهم، وهو قرب عقبة السويق في طريق المدينة المنورة، ومكث عندهم أياماً إلى أن اشتري نفسه منهم بثلاثين ألف دينار، فردوه إلى مكة بعد أن استوفوا منه هذا القدر . وجرت أحوال يطول شرحها. فأرسل السلطان الغوري أحد أمرائه المقدمين، وهو الأمير حسين الكردي، وجهز عسكر من الترك من المغاربة واللوند في خمسين غراباً لدفع ضررا لإفرنج في بحر الهند فوصل إلى جدة وبني عليها سوراً، وهدم دوراً كثيرة للناس من غير ثمن، ونادي في البلاد أن جميع الناس تأتي وتشتغل، ومن تأخر فلا يلوم إلا نفسه، فتأخر بعض التجار في بعض الأيام لغرض كان معه، فلما أتى في أول الضحى قال له : " ما أخرك إلى هذا الوقت؟ " فقال له : " اشتغلت . " فأمر أن يبني عليه جدار السور، فانظروا إلى هذا الجبار .

فائدة : قال الحافظ النجم عمر بن فهد في تاريخه في حوادث 26 :

" فيها أعتمر أمير المؤمنين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - مِن المدينة فأتي مكة ليلاً ودخلها فطاف وسعى، وأمر بتوسيع المسجد الحرام، وابتاع دوراً

ووسعه وبناه بالأروقة وكان هو أول من اتخذ للمسجد الأروقة. وكلم أهل مكة عثمان - رضي الله عنه - في أن يحولوا الساحل من الشعيبة وهو ساحل مكة قديما في الجاهلية إلى ساحلها اليوم وهي جدة لقربها من مكة، فخرج عثمان - رضي الله عنه - إلى جدة ورأى موضعها، وأمر بتحويل الساحل إليها، ودخل البحر واغتسل فيه، وقال : " إنه مبارك " ، وقال لمن معه : " أدخلوا البحر للاغتسال ولا يدخله أحد إلا بمئزر " ، ثم خرج من جدة على طريق عسفان وصارت جدة من ذلك بندر إلى الآن . انتهي كلامه .

[أحداث عام 918 هـ]

[بداية سلطة أبي نمي مع والده]

وفي سنة ثماني عشرة وتسعمائة توفي الشريف قايتباي بن محمد أخو الشريف بركات، وكان شريكاً له كما قدمنا في إمارة مكة، وكانت وفاته بأرض حسان من وادي مر، فحمل إلى مكة، ودفن بالمعلاة في قبة أبية، فأرسل الشريف بركات ابنه أبو نمي إلى السلطان الغوري إلى مصر، وكان سنه ثماني سنوات، والتمس أن يكون [٤٤/أ] شريكاً له في إمارة مكة، فأكرمه السلطان الغوري، وسأله: ما سورتك؟ فأجابه :

[إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا] (سورة الفتح ، آية ١)

فتفاءل به السلطان، وسأله أيضاً : " ما اسمك ؟ " ، فقال : " أبو نمي الغوري "

فأعجبه جوابه، وأشركه مع والده. فعاد إلى مكة وصار يدعى له على المنابر مع أبيه، وهو في ذلك السن، وكانت حينئذ ولاية مولانا الشريف أبو نمي، وهي أخر ولاية صدرت من الجراكسة في شرافة مكة، وبهذه الولاية هُنِّئ الشريف بركات بالشعر بقصائد طنانة مطولات ، وفي هذه السنة توفي السلطان بايزيد خان العثماني وتسلطن ابنه السلطان سليم خان .

[أحداث عام 919 هـ]

وفي سنة تسع عشرة وتسعمائة قبض السلطان سليم [على] أخيه أحمد، وأمر بخنقه، فخنق في تاسع صفر من السنة المذكورة، وفر أخوه قورقد إلى جبل وارد للتحصين من أخيه ببلاد سحيق، فعرف مكانه ومسك وجي به إليه فخنق، وكذلك قتل السلطان محمد أبو السلطان شاهنشاه . والسلطان عثمان أبو السلطان عالمشاه، والسلطان مصطفى والسلطان أور خان، والسلطان سليمان، وأولاد السلطان محمود وسبعة من أولادهم، كلهم رُضَّع في المهد خنقهم في ليلة واحدة في بروسيا فكانت ليلة ملأت الدنيا بكاءً وعويلاً وصراخاً أعظم من صراخ الثكلى وماثما طويلا بكت فيها حتى أهل الحجاز، كما قال بعضهم :

" فلا المعز بباق بعد صاحبه ولا المعزي وان غيبا إلى حين . "

ولما استقر السلطان سليم الأول على سرير الملك، وثبت على تخت السلطنة، وأُتي له بالثبات والقرار شرع في قهر الملوك، فأخذ الممالك والاستيلاء على الأقاليم والبلدان والمسالك فبدأ يقاتل شاه إسماعيل بن الشيخ حيدر الصوفي كما سيأتي بيانه.

[أحداث عام 920 هـ]

وفي سنة عشرين وتسعمائة حجت زوجة السلطان الغوري ومعها ولده محمد صاحب السر المقر محمود بن جامي؛ فأكرمهم السيد بركات، وقام بكل ما يحتاجون إليه أوفى قيام، فسألاه أن يتوجه معهم إلى مصر ليجازونه على صنيعه معهم فوافقهم ورافقهم إلى مصر واتجه بالسلطان الغوري فأكرمه أحسن إكرام، ومدحه ابن العليف المكي وكان إذ ذاك بمصر.

[أحداث عام 921 هـ]

وفي سنة إحدى وعشرين وتسعمائة توجه حسين الكردي أمير جدة كما أمره الغوري، فدخل إلى الهند بقصد دفع الإفرنج كما قدمنا، واجتمع بسلطان كجرات خليل شاه مظفر بن سلطان محمود شاه الكجراتي فأكرمه، ولما سمع الإفرنج بخبره ارتفعوا عن بنادر الهند، وتحصنوا بقلعة متقنة يقال لها "كُوّه" بالكاف المضمومة [والواو] المشدودة بهاء ساكنه، ولم يستقر الأمير حسين الكردي، بل عاد إلى اليمن فافتتح في طريقه على عوده مملكة اليمن من بني طاهر ملوك اليمن ظلماً وعدواناً، وكان ذلك في سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة بعد أمور يطول شرحها.

[أحداث عام 922 هـ]

وترك بها نائبا له في زبيد مملوك اسمه "برسباى جركسي" من مماليكه، وقتل السلطان عامر بن عبد الوهاب، وكانوا ملوكا من أهل السنة والجماعة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وانقرضت دولة بني طاهر [٤٤/ ب] من اليمن وعاد الأمير حسين لمنيته وحتفه كالباحث عنها بظلفه، وقدم إلى مكة، وكانت دولة الجراكسة قد انقرضت بمصر، وملكها السلطان الأعظم السلطان سليم خان بن بايزيد خان .

وتوجه الشريف العالي والسند الغالي سيد السادة الأشراف بني عبد مناف مولانا الشريف جمال الدين والدنيا محمد أبو نمي بن بركات أرسله والده الشريف بركات ليدوس البساط السلطاني بمصر وعمره يومئذ اثنتا عشر سنة، فحصل له غاية التعظيم والإكرام، وبلغ بذلك جميع ما طلب ورام وعاد إلى والده معززاً مكرماً ومعه أحكام سلطانية بكل ما طلبه وأراده، وأرسل حكم مع السيد عرار بن عجلان إلى الشريف بركات بقتل الأمير حسين الكردي المذكور، وهو الذي استخرج هذا الحكم لعداوة سابقه، بينه وبين الأمير حسين فأخذ مقيداً إلى جدة، وربط في رجله حجر كبير، وغرق في بحر جدة في موضع يقال

له " أم السمك " ، فأكلته الأسماك بعد أن كان يعد من [أهل] الأملاك، قال الله تعالى :

[وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا] (سورة الكهف ، آية ٤٩)

السبب في انقراض دولة الجراكسة أن السلطان سليم حال ما تسلطن شرع في قتل الملوك وقهرهم وأنه بدأ بقتل إسماعيل بن الشيخ حيدر بن إسماعيل بن سلطان خوجه شيخ علي بن الشيخ صفي الدين إسحاق الأردبيلي، وإليه نسب أولاده، ويقال لهم الصفويون، وكان الشيخ صفي الدين صاحب زاوية أردبيل له سلسلة في المشايخ أخذ عن الشيخ زاهد الكيلاني، وينتهي بوسائط إلى الإمام أحمد الغزالي. وتوفي الشيخ صفي الدين في سنة ٧٣٥ هـ ١٢٣٤ م ، وهو أول من ظهر بطريقة المشيخة والتصوف وأول من أختار سكنى أردبيل، وبعد موته جلس في مكانه ولده الشيخ صدر الدين موسى، وكانت السلاطين تعتقد فيه وتزوره وممن زاره والتمس بركة تيمور [لنك] لما عاد من الروم، وسأله أن يطلب منه شيئاً فقال له : " أطلب منك أن تطلق كل من أخذته من بلاد الروم أسيراً " ، فأجابه إلى سؤاله وأطلق الأسرى جميعهم. فسار أهل الروم يعتقدون الشيخ صدر الدين وجميع المشايخ الأردبيليين من ذريته إلى الآن. وحج ولده سلطان خواجه وزار قبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، وتوجه إلى زيارة بيت المقدس [٤٥/أ] وكان ممن يعتقده ميراز شاه رخ بن تيمور ويعظمه، فلما جلس الشيخ حينئذ كان والده في زاوية بأردبيل، كثر مريدوه، وأتباعه في أردبيل، فتوهم منهم صاحب أذربيجان وهو السلطان جهان شاه بن قرا يوسف التركماني من طائفة قر قونيلو فأخرجهم من أردبيل فتوجه الشيخ حينئذ مع بعض مريديه إلى ديار بكر وانصرف عنه الباقون، وكان من أمراء ديار بكر يومئذ عثمان بيك بن قليق بيك بن على بيك من طائفة أق قونيلو جد أوزن حسن بيك الباشدري، وهو أول من تسلطن من طائفة أق قونيلو، وولى السلطنة منهم تسعة أنفس ومدة ملكهم

٤٢ سنة، وأخذوا ملك فارس من طائفة قرة قونيلو، وأول سلاطينهم قرة يوسف بن قرة محمد التركماني، ومدة سلطنتهم ٦٣ سنة، وانقرض ملكهم على يد أوزن حسن بيك ملكا معتبراً شجاعاً مطاعاً، إلا أنه وقع بينه وبين السلطان محمد بن مراد خان حرب عظيم فيما جرت، فانكسر أوزن حسن بيك وقتل ولده زينك بيك، وهرب هو وسَلِمَ مِنْ القتل وعاد إلى أذربيجان، وملك فارس والعراقين .

ولما التجأ الشيخ حينئذ إلى طائفة أق قوينلو أصاهره أوزن بيك وزوج ابنته خديجة فولدت له الشيخ حيدر.

ولما استولى أوزن حسن بيك على البلاد وطرد عنها ملوك قرَة قونيلو، وأضعفهم، عاد الشيخ حينئذ مع ولده الشيخ حيدر إلى أردبيل، وكثر مريدوه وأتباعه، وتقوى بأوزن حسن بيك؛ لأنه صهره، فلما توفي أوزن بيك ولى موضعه ولده السلطان خليل ستة أشهر ثم ولده الثاني السلطان يعقوب، فزوجه ابنته حليمة بيكم من الشيخ حيدر فولدت له شاه إسماعيل في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من رجب سنة ٨٩٢ هـ، وكان على يديه هلاك ملوك العجم طائفة آق قونيلو، وفر قونيلو، وغيرهم من سلاطين العجم كما هو معروف ومشهور.

وكان الشيخ حينئذ جمع طائفة من مريديه، وقصد قتال كرجستان ليكون من المجاهدين في سبيل الله، فتوهم منه سلطان شروان أمير خليل شروان شاه، فخرج إلى قتاله فأنكسر الشيخ حينئذ وتفرق مريدوه، ثم اجتمعوا بعد مدة على الشيخ حيدر، وحسنوا له الجهاد والغزو في حدود كرجستان، وجعلوا له رماح من أعواد الخشب، وركبوا في كل عود سنان من حديد، وتسلحوا بذلك، وألبسهم الشيخ حيدر تاجاً أحمر من الجوخ، فسماهم الناس قزل الباش، وهو أول من ألبس التاج الأحمر لأتباعه. واجتمع عليه خلق كثيرون فأرسل شروان شاه إلى السلطان يعقوب بن أوزن حسن يخوفه من خروج حيدر على هذه الصفة، فأرسل أميراً من أمرائه اسمه، سليمان بيكك

بأربعة آلاف نفر من العسكر وأمرهم أن يمنعهم من هذه الجمعية، فإن لم يمتنعوا أَذِن له أن يقاتلهم.

فمضى إلى الشيخ حيدر، ومنعه من هذه الجمعية، فما أطاعه، فاتفق مع شروان شاه فقاتلاه ومن معه، فقتل الشيخ حيدر، وأسروا ولده شاه إسماعيل وهو طفل، وأسر معه إخوانه، وجماعته، وجاء بهم سليمان بيكك إلى السلطان يعقوب [٤٥/ب] فأرسل بهم إلى قاسم بيك في قلعة اسطخر، وحبسهم بها واستمروا محبوسين إلى أن توفي السلطان يعقوب في سنة ٨٩٦ هـ .

وولي بعده السلطان رستم، ونازعه في سلطنته إخوانه، وتفرقت المملكة، واستقر في كل قطر من أولاد الشيخ يعقوب، فهرب أولاد الشيخ يعقوب، وهرب أولاد حيدر إلى لاهيجان من بلاد جيلان ،وخرج من أخوان شاه إسماعيل خوجة شاه علي بن الشيخ حيدر، وجمع عسكراً من مريدي والده وقاتل بهم؛ فقتل في أيام السلطان رستم بن السلطان يعقوب، ثم توفي السلطان رستم وولى مكانه السلطان مراد بن يعقوب آلوند بيك ابن عمه، وكان لشاه إسماعيل في لاهيجان بيت صائغ يقال له نجم زدكر. وبلاد لاهيجان فيها كثير من الفرق الخلافية والرافضة والحرورية والزيدية وغيرهم فتعلم منهم شاه إسماعيل في صغره مذهب الرفض فإن أباه كان شعارهم مذهب السنة والجماعة وكانوا مطيعين منقادين للسنة ولم يظهر الرفض غير شاه إسماعيل، وتطلبه من أمراء آلوند بيك جماعة، وطلبوه من سلطان لاهيجان؛ فأبى أن يسلمه لهم وأنكر وحلف أنه ما هو عندي ووري في يمينه، وكان متخفياً في بيت نجم زوكر، وكان يأتيه مريدوا والده خفية ويأتون بالنذور ويعتقدون فيه ويطوفون بالبيت الذي هو ساكن فيه إلى أن أراد الله تعالى بما أراد، وكثرت دواعي الفساد واختلت أحوال العباد باختلاف السلاطين قال الله تعالى:

[لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ] (سورة الأنبياء ، آية ٢٢)

وخرج من عند نجم زوكر مع تلامذة أبيه ومحبيه لأخذ ثأر أبيه وجده من شروان شاه، فحاربه وانكسر عسكر شروان شاه. وأُخذ شروان شاه وخاصته أسيراً فأمر أن يضعوه في قدر كبير ويطبخوه ويطعموه لخواصه ومن أسر منهم ففعلوا كما أمر، ومما وقع له أنه كان في جبل شاهق فرمى منديلاً كان في يده فرمى نفسه ممن كان حوله خلف هذا المنديل نحو ألف نفس وتكسروا وهلكوا. كل ذلك ليختبر طاعتهم ومحبتهم له فلما أراد الله بإهلاكه سمع به مولانا السلطان سليم فتجهز إليه في عدد من العساكر وسار حتى وصل إلى قرب تبريز ورتب السلطان سليم عسكره فتلاقى الفريقان فكسروا جماعة إسماعيل شاه فهرب ولم يجدوا لهم من دونه أنصاراً وقتل وغالب جنوده وظفرت عسكر السلطان بجميع ما كان في مخيمهم وغنموا غنيمة عظيمة ودخل السلطان تبريز وأمر ونهى وأعطى الرعية تمام الأمن والأمان ونشر أعلام أهل الإيمان وأسر من أراد من فضلائهم وشعرائهم وإمائهم وما أمكنه الاستيلاء على جميع مملكة العجم؛ لكثرة القحط الذي كان عندهم، وسببه أن الملك الغوري كان صديقاً لشاه إسماعيل، فلما بلغه مسير السلطان سليم عليهم منع القوافل التي كانت تصل إليهم فحصل القحط. بهذا السبب فلما علم السلطان سليم بذلك أضمر على قتال الغوري؛ فرجع إلى الروم دار مملكته واستقر بها إلى السنة الثانية وكثرت الشكوى عليه من الضعفاء والمساكين من أهل مصر فيما فعل فيهم الغوري من المظالم فأبى أن يقبل [٤٦/أ]. فركب عليه وقاتله بمرج دابق خارج حلب، فانكسر عسكر الغوري وفقد، ولم يعلم له خبر قتل أو فقد.

وعادت الجراكسة إلى مصر مكسورين، ودخل السلطان سليم إلى حلب وإلى الشام وخُطب له فيهما، فتوجه إلى مصر، وكان قانصوه الغوري أقام صهره طومان باي، فلما سمع بإقبال السلطان سليم خرج إليه طومان باي فكُسر هو ومن معه من الجراكسة وهرب طومان باي ودخل مصر مولانا السلطان سليم خان واستولى عليها، وكانت مدة سلطنة الغوري خمس عشرة

سنة وتسعة أشهر، وصارت مصر لملوك آل عثمان وأزالت دولة الجراكسة من مصر، وأما طومان باي فجئ به بعد مدة وشنق بمصر.

[أحداث عام 923 هـ]

[دخول العثمانيين مصر]

وفي سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة دعى له بمصر في الخطبة وضُربت السكة باسمه، وفي هذه السنة أرسل إلى مكة محملاً وكسوة للكعبة وصرة أهل مكة وولي إمارة جدة لتاجر اسمه الخواجة قاسم الشرواني، ووصى به أمير الحج المصري المقر العلائي، وبرز شريف مكة على المعتاد لملاقاة المحمل إلى سبيل الخوجي، هو ومولانا الشريف بركات وولده أبو نمي. ولبسا الخلع السلطانية وسار أمام المحملين المصري والرومي بأعلامهما وطبولهما، واستمرا في ذلك الموكب إلى أن فارقا المحملين، وأمير الحج مصلح الدين من عند باب السلام وأُدخل المحملان الحرم الشريف ووضعا عن يمين الخارج من باب الصفا وهو رباط صاحب بركه المصري من ملوك الدكن، وقد هدم الآن مع ما في ذلك الجانب من البيوت والمدارس الملاصقة لجدار المسجد الشريف توسيعاً لطريق السيل وكان هدمها بالأمر الشريفي السلطاني في السنة المذكورة.

[أحداث عام 924 هـ]

وفرقت الصدقات الرومية يوم الجمعة لأربع مضين من ذي الحجة سنة أربع وعشرين وتسعمائة في الحرم الشريف على الفقهاء وقرر جماعة من المجاورين لكل شخص مائة دينارٍ ذهباً منهم نور الدين حمزة بن القاضي مصطفى القرماني، وزين الدين علي القرماني وفرق بعد هذه الصدقات، [التي] كانت تجهز من خزائن مصر من قبل ملوك الجراكسة، أبقاها السلطان سليم على حالها وأجراها في كل عام من خزينة مصر تفرق على فقراء الحرمين، وعلى مشايخ العربان أرباب الدرك في طريق الحج وفرقت الصدقات المصرية التي

تجمع من أوقاف الحرمين من مصر، وتجهز إلى الحرمين ويقال لها الصرة، وبعد الفراغ من توزيع الصدقات قرئت في الحطيم ختمة شريفة حضرها الأمراء والقضاة والفقهاء والأعيان باسم السلطان سليم خان وأَهدى إلى صحائف شريف ثوابها.

وقرر الأمير مصلح الدين ثلاثين نفراً يقرأ كل واحد منهم جزءاً في كل يوم يُهدي ثوابها إلى السلطان سليم خان، وجعل لكل واحد اثني عشر ديناراً ذهباً [في] دفتر الصدقات الرومية تأتيهم في كل عام، وكتبت بيوت فقهاء مكة المشرفة. كتبت أسامي من [في] البيوت، وعُين لكل نفر منهم ثلاثة دنانير ذهباً و[أ] لحق ذلك [في] دفتر الرومية وسماها البيوت، ثم كثر عليه الفقراء فجمعهم في حوش كبير، وأعطى لكل واحد منهم دينارين ذهباً، وسماهم العامة وكتب أسماءهم وألحقهم بالدفتر وهذا الترتيب حسن جزاه الله [٤٦/ب] عن آل عثمان خيراً.

وأمر الشيخ رضي الدين الحناوي الشاهد العدل بباب السلام المكي فكتب بيوت كل حارة، وكتب ما في كل بيت من الأنفار فبلغوا اثني عشر ألف نفراً ما عدا التجار والعسكر فخص كل نفر ستة رباعي بكيل الربع الكبير الذي هو أربع كيل، وأن يدفع لكل نفر ديناراً ذهباً وجعل لكل واحد من القضاة الأربعة ثلاثة أرادب، وفي السنة المتقدمة [أعني] سنة أربع وعشرين وتسعمائة عاد مولانا السلطان سليم من مصر إلى تخت مملكته القسطنطينية، في يوم الخميس لخمس بقين من شعبان وحمد الله على النصر والظفر.

وفي هذه السنة جدد الأمير مصلح الدين بناء مقام الحنفية، فإنه كان على غير هذا الشكل، وابتلى السلطان سليم في ظهره بجراحة منعته الراحة وحرمت منه الاستراحة، وعجز في علاجه الأطباء الأحذاق، وأنشبت المنية أظفارها، فما نفعته التمائم والرقى وفُدي بالأموال والأرواح فما قبل الفداء، فقضى نحبه، ولقي ربه، ومضى بقلب سليم، قادماً على رب العرش الكريم، وكانت مدة ملكه ثماني سنوات وأياماً.

وتسلطن بعده ابنه السلطان سليمان خان صاحب السعادات والفتوح والمبراه واستمر في السلطنة تسعاً وأربعين سنة. ولما استقر في تخت السلطنة، أرسل بالتأييد لشريف مكة بركات وإبنه أبو نمي.

[أحداث عام 930 هـ]

وفي سنة ثلاثين وتسعمائة قلّ الماء بعرفة ومكة في أيام الحج، وكانت قد انقطعت عين زبيدة التي أجرتها إلى قرب منى، وكذلك عين حنين التي كانت تدخل مكة، وبيعت القربة الصغيرة بدينار سلطاني والفقراء يضجون من العطش يطلبون من الماء ما يبل حلوقهم في ذلك اليوم الشريف وجاء وقت الوقوف والناس عطشى يلهثون، فطلبوا من الله تعالى أن يسقيهم، فأمطرت السماء وسالت السيول من فضل الله تعالى ورحمته والناس واقفون تحت جبل الرحمة، فصاروا يشربون من السيل من تحت أرجلهم ويسقون دوابهم والفرج بعد الشدة أوقع في القلوب.

[أحداث عام 931 هـ]

[وفاة الشريف بركات، وتولى أبو نمي السلطة]

وفي سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة انتقل الشريف بركات بالوفاة إلى رحمة الله تعالى ليلة الأربعاء الرابع عشر [من] ذي القعدة على فراشه ببلد الله [شرفها الله تعالى]، وصلى عليه ضحى يوم الأربعاء بالمسجد الحرام، وطافوا به أسبوعاً كعادات سلفه ولاة مكة، ودفن بالمعلاة، بني عليه قبة عظيمة وهي موجودة الآن، وله من العمر إحدى وسبعين سنة، ومدة ملكه شريكاً لأبيه سبع وعشرون سنة، وجملة ولايته أربع وخمسون سنة. وأعقب من الأولاد ثقبة، وأبو القاسم، وحازم، وواصل، وسند، وعلي، وأبو نمي، وكان الشريف بركات - رحمه الله تعالى - جم الفضائل، شريف الشمائل، شجاعاً مقداماً بطلاً ضرغاماً، وأنه أخذ من جملة مشايخ بمصر ومكة وأخرج له الشيخ

[٤٧/أ] جار الله بن عبد العزيز بن فهد عن أربعين شيخاً من مشايخه أربعين حديثاً في فضل أهل البيت النبوي، سماه غاية الأماني والمسرات بعلو سلطان الحجاز أبي زهير بركات، بعضها بمنزلة دار السعادات من أول الأربعين التي خرجها له إلى آخر الحديث الثالث مع الكلام على الحديث الثالث، وأجاز له روايتها عنه.

وبعد دفن الشريف بركات ألبس أمير الحاج المصري المقر جاثم الحمزاوي، ابنه الشريف أبو نمي خلعة وكان إذ ذاك عمره عشرون سنة، ولم يزال متقلباً في النعيم متمتعاً بمكارم الشيم ورزقه الله الذرية الصالحة ودانت له رقاب الأمم. وما زال كأبيه يقتطف من يانع أوقاته ثمرات الفضائل ويحرص أن لا يضيع شريف ساعاته إلا في مجالسة الأفاضل ويمتحن بذكائه قراءتهم الحميدة ويستخرج بحسن فهمه كنوز مدائحهم الحميدة حتى أنهم مدحوا جنابه العالي بكل تصنيف بديع ورتعوا في رحابه ذات المعالي ونالوا ذلك الخصيب المريع. وكان من جملة خدمه بذلك الكاشفين له عرايس العلوم على تلك الأرائك قاضي مكة المشرفة عبد اللطيف باكثير. فإنه خدم جنابه وأمَّ رحابه بشرح القصيدة الهامزيه المسماة بأم القرى وجعل ذلك مقدمة لاستعطافه، وسبباً لإسعاده وإسعافه، فإن القاضي المذكور لما سافر إلى الديار الرومية، وقلد منصب القضاة بمكة البهية، وحصل له من العنايات السلطانية السليمانية ما اشتهر بين البرية، ووشى به بعض الحساد الباغين في الأرض، ونقلوا عنه إلى السيد الشريف الأباطيل، حيث جاء القاضي بعزلهم عن مناصبهم والحط عما كانوا عليه من مراتبهم، فاستعطف بهذا التأليف خاطر السيد الشريف، وأفلاذ أكباد البتول، معدن السؤدد وكيمياء السعادة، وعنصر المجد وتاج مفرق السيادة نتاج فاطمة الزهراء وعماد الحنفية الغراء، فحازا ألوان النجم أعطى مثله ترافع أن يأوي أديم سمائي، فرضي عنه السيد الشريف غاية الرضا، وأطفأ ينبوع حلمه من ذلك الغضب جمرة الغضب، وجالسه المجالسة الخاصة، وألبسه ثوب الإجلال في المحافل الغاصة، وما زال يتوجه

إليه بكليته حتى اتفق في بعض المجالس أنه لما جرى ذكر الأسد سرد القاضي جميع أسمائه بالعدد، فنقله السيد الشريف إلى ذكر بزاة الطير الصائد فأبدع فيه وفي الاصطياد به جمله من الفوائد كان معزوله حاضراً في ميسرة السيد الشريف، فتألم لما وقع المعزول من مزيد الشريف وهو في المجلس لا يرد جواباً ولا يجد للسلوك فيما هم فيه باباً، فعاب السيد الشريف على توجيهه إلى ضده، والإعراض عنه في الخطاب الذي هو منتهى سعده، فأجابه السيد بما هو من شأنه من الأجوبة الهاشمية بالحجج الماضية من تلك المشكات النبوية وقال له :

" إني ما خاطبت الرجل إلا جواباً، وإن تكلم وسكت لم يكن ذلك صواباً فلو فعلت كما فعل لكان التوجه [٤٧/ ب] إليك، ولم يكن المعول في المجادلة إلا عليك وهو يعلم أنه إذا تكلف ما لا يطاق، إذ مراتب الفضل لا تنال بدون استحقاق، وكان السيد الشريف يعطي كل ذي حق حقه، ويعرف ما خول له [أستحقه] وكانت خصاله كلها حميدة وشؤونه جامعة أشتات كل فضيلة له الكلام الفائق، والنظم الحسن الرائق. "

وفي السنة المذكورة توفي في رمضان عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السنباطي القاهري الشافعي المكي، أحد العلماء العاملين والأئمة الوارثين والشيوخ المدققين المحققين، حامل لواء مذهب الإمام الشافعي على كاهله.

وفي السنة المذكورة أعرض مولانا الشريف أبو نمي بن بركات للسلطان سليمان ما يجده الناس من التعب بعرفات ومكة من عدم وجدان الماء؛ فبرزت الأوامر السلطانية السليمانية بإصلاح عين حنين، وإصلاح عين عرفات، وعين لها ناظر اسمه مصلح الدين بن مصطفى من المجاورين بمكة - شرفها الله تعالى - فبذل جهده في عمارتها وأصلح قناتها إلى أن خرجت من أسفلها إلى بركة ماجن، وأصلح عين عرفات وأجراها، إلى أن صارت تملأ البركة بركة عرفات وصار الحجاج يروون من ذلك الماء العذب بعد ذلك العطش الشديد، ثم اشترى مصلح الدين ناظر العين عبيداً سوداً من مال السلطان، واشترى

أيضاً جواري وزوج العبيد على الإماء وجعل لهم جرايات وعلوفات من خزائن السلطان برسم خدمة العين ثم توجه إلى السلطان إلى أبواب السلطانية فمات غريقاً في البحر - رحمه الله تعالى -.

وفي هذه السنة أمر السلطان بهدم منارة باب العمرة، وعمرت عمارة محكمة، وفيها أو في التي قبلها كان يصلي الحنفي والشافعي المغرب في وقت واحد معاً فيحصل بذلك الاشتباه للمصلين، فعرض ذلك على حضرة السلطان سليمان خان، فبرز الأمر منه للعلماء فاجتمع علماء مكة والأمير علي بيك صاحب جدة واقتضى رأيهم أن إمام الحنفي يتقدم في صلاة المغرب، وعند تشهده الأخير يدخل إمام الشافعي إلى صلاته.

وفي هذه السنة ورد من مصر سليمان الريس متوجهاً إلى اليمن ومعه نحو أربعة آلاف عسكري جهزهم الوزير الأعظم إبراهيم باشا صاحب مصر لأخذ اليمن ممراً لمن سبق من الباشوات، فطغوا وبغوا وكثروا النهب والقتل في العربان فترفعت العربان وارتفعت الأسعار بمكة لعدم الجلب، ومن أكبر مفاسدهم نصبهم بيارقهم في المسجد الحرام من باب السلام إلى باب علي فشكى الناس ذلك إلى مولانا الشيخ محمد بن عراق المدني، وكان مجاوراً بمكة فجلس الشيخ في المسجد، ودعا الأمير خير الدين وبعض رابيا العسكر ونهرهم وأمرهم بالخروج من بيوت الناس، فأكبوا على رجليه يقبلونها، وقالوا : " مقصودنا الحج ونتوجه " ، فقال لهم الشيخ : " اذهبوا إلى منى فإن بها دور خالية ". فأسكنوها لأنهم قد أخرجوا أهل مكة [٤٨/أ] من بيوتهم، وسكنوها فامتثلوا أمره وخرجوا إلى منى وقتلوا بعض المفسدين منهم، وكان ذلك بإشارة من النبي - صلى الله عليه وسلم - فإنه لما كان بالمدينة وأمره النبي - صلى الله عليه وسلم - بالمسير إلى مكة لإصلاحها فورد مكة سادس شوال وصادف هذه الفتنة.

أما سليمان الريس فاستولى على محصول جدة وكان نصفه للسلطان ونصفه لشريف مكة كما هو الآن، وكان المحصول إذ ذاك تسعين ألف دينار

ذهباً، وكان الشريف خرج من مكة ونزل الدكناء، فجاءه الخبر ووصل إليه أمين جدة علي جاوش واعتذر إليه بغلبة سليمان وأمره بالرجوع إلى جدة.

وفي هذه السنة ورد السيد محمد السمهودي من الأبواب السلطانية بمراسيم وخلع الشريف أبو نمي، فوصل الشريف إلى مكة ولبس خلعته الواردة، وقرئت مراسيمه بالحطيم، ثم عاد إلى الدكناء.

وفي سابع ذي الحجة وصل أمير الحاج المصري كتخذا إلى الجموم، فبرز إليه الشريف وألبسه خلعته الواردة وعاد.

ثم أعقبه الأمير أويس الكاشف أمير الحاج الشامي فدخل مكة وبعث بالخلعة إلى الشريف بالدكناء، ولم يحج مولانا الشريف ذلك العام واعتذر إلى الأمراء بخوف الفتنة من عسكر سليمان، وضمن أمان الطريق فحج الناس ولم يحصل لهم تعب، ولما تم الحج ركب سليمان وخير الدين السفن طالبين اليمن وخبرهم في البرق اليماني في الفتح العثماني لمن أراده.

[أحداث عام 933 هـ]

وفي سنة ثلاث وثلاثين توفي إلى رحمة الله تعالى مولانا محمد بن عراق المدني ثم المكي رحمه الله تعالى ودفن بالمعلاة وقبره يزار.

[أحداث عام 943 هـ]

وفي سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة ورد من الروم قاضي القضاة مصدر الدين إلى مكة وهو أول قاضي ورد من الروم ولم يزل القضاة من ذلك الزمان في كل سنة يرد قاضي من الروم إلى زماننا هذا، وكان قبل ذلك قضاة مكة منها وكان غالباً في بيوت معروفة كبيت الطبري والظهيريين والنوريين.

[أحداث عام 944 هـ]

وفي سنة أربع وأربعين وتسعمائة توفى مولانا السيد عبد الله بن محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن بافقيه، وله مشهد كبير في أول أربعاء من شهر ذي القعدة، نفعنا الله به. وفي هذه السنة توجه الشريف أبو نمي لأخذ جازان وصاحبها إذ ذاك عامر بن عزيز، فأخذها الشريف أبو نمي، وفر صاحبها فأقام بها الشريف من يضبطها من جماعته ورجع ظافراً منصوراً. ومدحه الشعراء بقصائد مطولات.

[أحداث عام 945 هـ]

وفي سنة خمس وأربعين وتسعمائة وصل إلى مكة الباشا سليمان من جهاد الفرنج بالديار الهندية، وعزم إلى الديار الرومية، فأرسل الشريف أبو نمي ابنه السيد أحمد صحبة الباشا المذكور لمواجهة السلطان الأعظم سليمان خان وفي صحبته السيد عرار بن عجل، والقاضي إبراهيم بن ظهيرة، والقاضي تاج الدين المالكي فدخلوا القاهرة، ثم توجهوا منها إلى الديار الرومية في البر، فوصلوا بالسلامة والعزة والكرامة واجتمع السيد أحمد بالسلطان سليمان، وجلس على يساره، وقابلهم بالإكرام وعامله بالاحترام، أشركه مع والده في ولاية مكة كما هو [٤٨/ب] عادة سلفه إلا أن الشريف توعك، فأقام ثمة، وما عاد من عامه وفاته الحج تلك السنة ومات السيد عرار بإسطنبول بالطاعون ثم عاد إلى القاهرة في سنة سبع وأربعين وتسعمائة وتوجه قاصداً مكة فلاقاه والده أبو نمي بوادي مر، وجعل له سماطاً عظيماً حضره الأعيان، ثم قرئت مراسيمه بمكة في العشر الأول من ربيع الأول، ولبس مولانا الشريف أحمد الخلعة السلطانية، وطاف بها وصار يُدعى لهما على المنابر وسعت إلى أبوابهما الشعراء ومدحوهما بالقصائد المطولات.

[أحداث عام 948 هـ]

وفي ختام السنة ثمان وأربعون وتسعمائة خرجت طائفة عظيمة من الإفرنج، وخربت غالب البنادر، فلما قصدوا جدة المعمورة نزلوا المراسي المعروفة بأبي الدوائر في خمسة وثمانين برشة مشحونة بالرجال والسلاح، فنزل الشريف أبو نمي بنفسه، ونزل جدة بجيش عظيم بعد أن أمر بالنداء في نواحي مكة :

" من صحبنا فله الأجر، أجر الجهاد وعلينا السلاح والنفقة "

فبلغ أهل الجهاد مبلغاً عظيماً، ونفقة مولانا شاملة للجميع وعيون الكفار تدور عليهم كل حين. فشاهدوهم يزيدون عدداً وعيشاً رغدا، واستمر ذلك مدة ولما رأى الكفار صبر المسلمين ومددهم في كل حين عادوا على أعقابهم ناكصين ذليلين حقيرين وكفي الله المؤمنين القتال.

وبلغ مولانا السلطان سليمان خان جميع ما وقع من الشريف أبي نمي فوقعت منه مواقع، وكرم مولانا الشريف بنصف معلوم جدة زيادة على النصف الأول الذي كان بيده، وحباه بهدايا وتحف ومن ذلك الزمان حدث إذا ركب شريف مكة صاحت الرعية له: نصرك الله واستمر ذلك في جميع ملوك مكة إلى دولة سعد بن زيد في رجوعه من الروم منعهم من ذلك.

[أحداث عام 949 هـ]

وفي سنة تسع وأربعين وتسعمائة توفى في شهر صفر الشيخ عبد الرحمن ابن حسن بن عبد الله الرعيني الأندلسي الأصل الطرابلسي المالكي نزيل مكة المشرفة المعروف بالخطاب، عالم عامل وحبر كامل صاحب تدقيقات وتحقيقات، ورد من طرابلس إلى مكة سنة ٨٧٧هـ وأخذ العلم من جماعة كثيرين كالسخاوي، وغيره.

[أحداث عام 952 هـ]

وفي سنة اثنين وخمسين وتسعمائة توفى أبو السعود المفتي.

[أحداث عام 955 هـ]

وفي سنة خمس وخمسين وتسعمائة بنى قبة كبيرة الأمير الشهير محمد ابن سليمان الجركسي على القبر المعروف بقبر السيدة خديجة زوجة النبي - صلوات الله عليه - بالحجر الشمسي، وكان دفتردار مصر في دولة داوود باشا نائب حضرة السلطان سليمان خان، وكان الضريح قبل هذا المبنى عليه تابوت خشب وجعل المذكور لخادم القبة [٤٩/أ] علوفه من صدقات مولانا السلطان.

[أحداث عام 956 هـ]

وفي سنة ست وخمسين وتسعمائة بعث السلطان سليمان خان منبراً من رخام إلى الحرم الحرام فركب فيه وهو باق إلى الآن ويقال أنه تكلف ثلاثين ألف أحمر، وكان أول خطبة خطب بها عليه خطبة عيد الفطر الخطيب السيد أبو حامد البخاري وجعلت الناس لهذا المنبر تواريخ عديدة نظماً ونثراً.

[أحداث عام 958 هـ]

وفي سنة ثمان وخمسين وتسعمائة سولت لأمير الحاج محمود باشا نفسه الهجوم على شريف مكة أبو نمي يوم عيد النحر، وقتله هو وأولاده في ساعة واحدة وسببه أنه جاء قبل هذه المرة داوود باشا صاحب مصر بخلع إلى الشريف المذكور فلما وصل مكة كأنه لم يرض بما قوبل به من جهة الشريف، فعاد إلى مصر وهو تعبان في نفسه، فلما صار أمير الحج سنة تاريخه أراد التشفي بما عزم عليه، فظفر به مولانا الشريف أبو نمى، وأراد الفتك به، ثم أرسله خشية على الحجاج، ونفر الشريف ليلة النفر إلى مكة فنادى بمنى أن

الشريف معزول، فلما بلغ الأعراب ذلك استغنموا نهب الحجاج، وكانت ساعة ضاقت بها الحجاج، ولكن الله تعالى لطف بنا أهل وداده، يرحم الضعفاء من عباده! فهمدت تلك الفتنة واضمحلت تلك المحنة ونزلت الناس إلى مكة بعد فتور الراكبة وكان مولانا الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري الصديقي حج هذا العام وكان قد نزل للطواف والسعي، وكان عنده في منزله الشيخ أحمد الحرفوش فحصلت للشيخ محمد حالة جلال؛ فجعل يدور في المسجد الذي هو فيه وهو قد امتلأ غيظاً، ويشير بيده ويقول: " حوش يا حرفوش " ، كأنه يدفع شيئاً، فاستغرب الحرفوش ذلك. ثم إن الشيخ سكنت حالته، وقال للحرفوش : " الآن وقعت فتنة عظيمة بمنى وكان الأمر كذلك. " ويحكى عن بعض مشايخ اليمن أنه أمر بعض فقرائه بأن يجبد ماء بير عندهم في بلده ويكبه في الأرض ساعة الواقعة ثم عاد إلى شعوره وقال وقعت بمنى فتنة عظيمة واطفيناها بهذا الماء.

وكتب الخطيب عبد الباسط بن أيوب إلى حضرة مولانا السلطان سليمان بقصيدة يشكوا فيها أمير الحاج محمود، ثم رحل محمود باشا من مكة وهو يتوعد الشريف بالعزل والنقمة من السلطان ثم كان عكس ما أضمره، فلما وصل الخبر إلى الأبواب أرسلوا بالتأييد والاعتذار للشريف عما وقع من محمود باشا، وأنه قوبل بما يستحقه من النكال.

[أحداث عام 959 هـ]

وفي سنة تسعة وخمسين وتسعمائة رممت الكعبة الشريفة، وأرخ ذلك الشيخ عبد العزيز الزمزمي بقوله :

يا معشرَ الإسلامِ بُشْرى لنا

وواجِبُ الله مِنا الثنا.

صلّوا وطوفوا واشكُروا ربَّكُم

وادعوا لسُلطانِـكم إنـّـه
ومتعوا من بيته الأَعينا.

وقد أتـانا تـاريخُ ترميمه
لمَّا وهَي رمم منه البِنـا.

هَبّ لـه يا ربّ في عُمْرِه
رَمم بيتُ الله سلطانيا.

وَعَافِهِ وامنحْهُ كلَّ المنُا.

[٤٩/ ب]

[أحداث عام 961 هـ]

[ترميم الكعبة المشرفة]

وفي سنة إحدى وستين وتسعمائة توفي مولانا الشريف أحمد بن أبي نمى بـالشرق في أثـناء رمـضان وحـمل إلى مـكة، وصلى عـليه تـجاه الـكعبة ودفـن بالمعلاة، ورثاه الشيخ العلامة عبد الرحمن باكثير، وغيره من الشعراء.

ولـما تـوفي الشريف أحـمد بـوأه الله مـن الـجنة أشرف مـقعد بـعث والـده قاصداً مصر في يومه، ملتمساً منه أن يكون السيد حسن أكبر أولاده عوضاً عن المتوفى. ولما كان العاشر في شهر رمضان من السنة المذكورة وصل القاصد من مصر وعلى يده ولاية جدة لمولانا الشريف حسن بن أبي نمى عـوضاً عـن أخيه السيد أحمد. وتوجه إلى الشرق لملاقاة مولانا الشريف أبي نمى.

وفي يوم الجمعة الثالث عشر [من] رمضان خطب الخطيب عبدالباسط الشافعي، ودعا للسيد الحسن على المنبر. وفي يوم الإثنين السادس عشر [من] رمضان لبس مولانا الشريف حسن الخلعة الواردة من مصر التي كانت جهزت لأخيه فلم يقدر له لبسها، وقرى مرسومه بمضمون الولايــة في الحطيم، وطاف بالخلعة سبعاً، والريس يدعو له بأعلى زمزم. وعاد إلى الشرق ولم يزل

إلى أن كان يوم الجمعة وَصَل خادمٌ من مصر من جماعة محمد باشا يسمى موسى بيك بإمارة السيد حسن والخلعة السلطانية من الحضرة السليمانية والأبواب العلية وهو الذي كان جهز محمد باشا صاحب مصر لهذه المصلحة إلى الأبواب فنودي بالزينة في البلد سبعة أيام.

وأقبل مولانا السيد حسن من جهة اليمن يوم الأحد عصر يوم الثاني والعشرين من الشهر المذكور. وفي اليوم الثالث والعشرين اجتمع في الحطيم قاضي مكة ونائب جده الأمير أحمد بيك وأعيان مكة ودخل الشريف بالموكب العظيم فتصدر الحطيم، وقرأ الشيخ نجم الدين الأمر الواصل لمولانا بالتركي. ثم قرأه معرباً ثم صعد إلى داره وجلس للتهنئة وقصدته الشعراء والأعيان من كل مكان. فشارك والده في الأمر والدعاء وعلى رؤوس المنابر وحضور المحاضر، وأشير إليه في كل مقام كوالده بالبلد الحرام.

وفي هذه السنة ورد أمر من السلطان سليمان خان بتصفيح باب الكعبة المشرفة، وباشر ذلك معمار الحرم الشهاب أحمد المقطعجي، وكان سبب ذلك أنه وقع في سقف الكعبة خلل فعرض ذلك عليه، فأرسل بفتوى مفتي السلطان أبي السعود أفندي أمره بالعمل بمضمونها أن الكعبة تعرى إذا احتاجت إلى العمارة. فجمع مولانا الشريف أبو نمى أعيان مكة في الحطيم، منهم مفتي الشافعية الشيخ العلامة أحمد بن حجر، ومفتي الحنفية الشيخ قطب الدين ومفتى المالكية القاضي تاج [٥٠/أ] المالكي فسئلوا عن ذلك، فأفتوا بموافقة إفتاء أبي السعود أفندي. واختلفت طائفة أخرى، قالوا بعدم الجواز، وزعموا أن من تعظيم البيت الشريف أن لا يتعرض له بترميم ولا إصلاح فإن قيام الكعبة الشريفة هذه المدة المديدة والرياح تنسفها من الجوانب الأربع لا تؤثر فيها، دليل على أن قيامها ليس بقوة البناء، بل بقدرة الله تعالى فإنه لا يجوز تغير أخشابها إلا أن سقطت بنفسها فكادت أن تقوم لذلك فتنة من العوام.

وكتب مولانا الشيخ أحمد بن حجر تأليفاً واسعاً سماه : المناهل العذبة في إصلاح ما وهى من الكعبة، ورد على أولئك المعاندين واستند إلى نقول كثيرة وصمم على الجواز، قال القطب [الدين الحنفي] :

" وجاءني يحرضني على الثبات على ما صدر مني من القول. ونقل لي عن الحافظ الإمام محب الدين الطبري في كتابه: استقصاء البناء من مسألة الشاذروان بعد ذكر حديث عائشة - رضي الله عنها - في هدم الكعبة ما نصه : ومدلول هذا الحديث تصريحاً وتلويحاً أنه يجوز التعرية في الكعبة لمصلحة ضرورية أو حاجة مستحسنة. "

وبلغ ذلك الشريف [أبو نمي] شريف مكة فحضر بنفسه من البر إلى مكة، وطلب سيدنا شيخ الإسلام الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري والأفندي الأعظم قاضي مكة، وأعيان مكة فحضروا جميعا تجاه البيت الشريف وأشير إلى البكري أن يلقي درسا [درساً عن آية] فتكلم على جاري عادته بلسان فصيح ولفظ منتظم مليح أبهر به الحاضرين وأدهش الناظرين وأفاد وأجاد وقلد نفائس الدر الأجياد. فلما أنقضى الدرس أخرج الناظر أحمد جلبي فتوى مفتي الإسلام قال :

" ومن يخالف هذا من الناس؟ هذا هو عين الصواب، فأمر مولانا الشيخ صاحب مكة بالعمل والشروع، وسكنت الفتنة ولله المنة. "

ولما كشف عن تلك الأعواد في السقف الشريف وجدوها مكسرة كما ظنوا فأبدلوها بأعواد جيدة بغاية الإحكام، وأعادوا السقف والسطح كما كان بغاية الإتقان. وسطر ذلك في صحائف السلطان سليمان ثم بعد الفراغ طلبوا من القطب شيئاً يمكن كتابته، فكتب لهم كلاما يتضمن التاريخ وهو :

" الحمد لله الذي عمر الكعبة الشريفة بالشريعة المحمدية، فغدت وهي البيت المعمور حساً ومعنىً وشيد قواعد ملك من جدد سقفها بتشييد [آية] وأصلح الوجود بوجود من جدد [آية] وخصه بكنز [آية] ، فكانت له بذلك عظمة وكرامة مولانا السلطان سليمان بن سليم خان - خلد الله دولته وأدام

سعادته آمين -. فكان تاريخ عمارة مجدد سطح بيت الله مالك الدول سليمان ٩٥٩ هـ وصفّح الباب الشريف بالفضة المطلية بالذهب، وكانت الفضة نحو أربعة قناطير والذهب الذي طلى به ألف و [٥٠/ب] مائتان وثمانون ديناراً، وأعيدت

الحلقات الأربع على الباب الشريف ووضع الباب المصفح يوم الأحد الرابع [من] شوال واصلح الميزاب الشريف وصفح بالفضة المموه بالذهب".

[أحداث عام 963 هـ]

وفي سنة ثلاث وستين وتسعمائة كان حدوث العرضة من صاحب مكة مولانا وسيدنا الشريف أبو نمى للأمير اليمني.

وملخصه ذلك أن الوزير مصطفى باشا النشار المتولي على اليمن من جهة السلطان سليمان خان. وكانت ولاية المذكور سنة اثنين وستين وتسعمائة ووصل إلى مكة - شرفها الله تعالى - أمير على المحمل المصري فحج ورجع بالحج إلى مصر الأمير مراد بك، وتوجه الأمير مصطفى النشار إلى الديار اليمنية فأحدث محملاً خرج به من اليمن ومعه خلعة من جانب السلطان سليمان خان، فبرز الشريف أبو نمي للقائه في السنة المذكورة إلى بركة ماجن ولبس الخلعة، ثم وصل معه الأمير بالمحمل إلى أن حاذى دار السعادة فدخل منزله.

وتوجه الأمير بالمحمل اليماني ونزل بالمعلا من سفح الجبل المحاذي لبستان الشيخ شيخ الحرم عند بركة المصري، واستمر المحمل اليماني يعرض له الشريف إلى سنة تسع وأربعين وألف، فانقطعت لعدم وفود المحمل اليماني، لما حدث من الفتن.

[أحداث عام 965 هـ]

[ترميم عيون مكة]

وفي سنة خمس وستين وتسعمائة كانت سنون تقارب سنين يوسف - عليه السلام - ، شداداً فانقطعت العيون إلا عين عرفة، فإنها لم تنقطع، إلا أنه قل جريانها في تلك السنين، ولما عرضت أحوال العيون إلى الأبواب السلطانية السليمانية فأمر بتدارك ذلك بأي وجه يكون والتفحص عن أحوال العيون وكيف يمكن إجراؤها إلى بلد الله الأمين. فاجتمع أهل الرأي من رؤساء مكة مع الأمير خير الدين حضرة سنجق جدة، وتفاوضوا في ذلك، وقر رأيهم على أنه يعمر عين عرفة و دبولها ظاهرة صحيحة إلى بئر زبيدة خلف منى فغلب ظنهم أن دبولها بئر زبيدة على مكة مبنية أيضاً أنها تحتاج إلى الكشف منها إلى أن تظهر. وذرعوا وقاسوا، فكان إلى باطن مكة خمسة وأربعين ألف ذراع بذراع البنائين الآن وهو أكثر من الذراع الشرعي بقدر ربعه، ونظروا في المنصرف فرأوا كفايتهم في عمارة ذلك ثلاثون ألف دينار ذهباً، فأنهوا ذلك للجناب السلطاني فالتمست حضرة خانم سلطان كريمته من حضرة السلطان سليمان أن يأذن لها في عمل هذا الخير حيث كانت صاحبة الخير أولاً أم جعفر زبيدة العباسية. فأذن لها في ذلك، فاستشارت وزراء ديوانها الشريف فيمن يصلح لهذه الخدمة، فأجمعوا على دفتردار مصر الأمير إبراهيم بن ثغري وردي المهردار، وكان يومئذ قد عزل من منصب الدفتارية فأعطته السلطانة خمسين ألف دينار ذهباً بزيادة عشرين ألف دينار على ما حسبوه ليصرفها في عمل هذه العين، فتوجه من البحر.

[أحداث عام 969 هـ]

وفي آخر سنة تسع وستين وتسعمائة كان وصوله إلى بندر جدة في يوم الجمعة لثمان بقين من ذي القعدة، ثم توجه إلى مكة وأنزل بمجمع قايتباي ومد له سماطاً كبيراً من قِبل صاحب مكة حضرته الأعيان وقابله الشريف

مقابلة إحسان، وكان ممن جاء للسلام عليه مولانا [٥١/أ] السيد القاضي حسين الحسن رئيس الحرمين الشريفين؛ فامتلأ سروراً به الأمير إبراهيم وقابله بالإجلال والإكرام، وعرض عليه أموره وأحواله، واستشاره في سائر ما بدا له فأشار عليه بالآراء الصائبة، وأعلمه ما ينبغي له وما يجب عليه.

فأول ما بدأ به الأمير إبراهيم تنظيف الآبار التي بمكة يسقي منها الناس وإخراج ترابها، وزاد في حفرهَا ليكثر الماء وحصل الناس بذلك رفق كبير وشرع في جميع ما يحتاج إليه من عمله، وتوجه للكشف عليه إلى أعلى عرفات وكثر تردده إليها، وتفطن لمجاريها فبعد انقضاء الحج طلع إلى وادي نعمان في علو عرفات فشرع في تنظيف دبولها بهمة عالية وكانت مماليكه القائمين في خدمته نحو أربعمائة مملوك أقامهم في هذا العمل من الأواجر إلى مزدلفة. وكتب نحو ألف نفس من العمال والمهندسين والحدادين، وجلب من مصر طوائف وآلات. وعين لكل طائفة قطعة من الأرض. واستمر على هذا النحو والاجتهاد إلى أن بلغ عمل زبيدة البئر التي انتهى إليه عملها، ولم يوجد بعد هذا الأدبل ولا مجرى، فصار يحفر مقدار خمسين ذراعاً حتى يصل إلى الصخر، ويوقد عليه نحو مائة حمل حطب، ولم يقع له موقع فهلك من التعب وتوفى -رحمه الله -. ثم أتى بعده معمار آخر، وتعب كالأول ومات ودفن إلى جانبه ثم أتى معمار ثالث ومات ثم وجه السلطان سليمان لخدمة العين فجرت بقدرة الله تعالى على يد القاضي حسين فهذا دليل على تمام سعده.

[أحداث عام 970 هـ]

وفي سنة سبعين وتسعمائة عرض إبراهيم باشا إلى السلطان سليمان أن يبني له أربع مدارس على المذاهب الأربعة فبرز الأمر بموافقة طلبه.

[أحداث عام 972 هـ]

[بناء المدارس السلطانية]

وفي سنة اثنين وسبعين وتسعمائة وضع أساس المدارس السلطانية السليمانية بمكة المشرفة. وذلك أنه لما وردت الأوامر السلطانية عُين لهذه الخدمة الأمير قاسم أمين جدة وأن يبادر بعمل ذلك في أحسن الأماكن، فأجمع رأي الأمير إبراهيم وقاسم بيك وغيرهما من الأعيان أن اللائق لبناء هذه المدارس هو الجانب الجنوبي من المسجد الحرام المتصل به من ركن المسجد الشريف إلى باب الزيادة، وكان به المارستان المنصوري ومدرسة لصاحب كنباية السلطان أحمد شاه سلطان كجرات من أقاليم الهند وأوقاف المؤيد شيخ سلطان مصر، ودور تتعلق بمولانا الشريف حسن ابن أبي نمى. فاستبدلوا المارستان والمدرسة، وأما الدور التي برسم مولانا الشريف فقدمها جميعها لحضرة مولانا السلطان، وطلب العلماء والصلحاء والأشراف ووضعوا الأساس وكان يوماً مشهوداً. وكان عمق الأساس عشرة أذرع، وعرضه أربعة أذرع بذراع العمل، ووضع فيه صخارا كبارا وأحكموا الأساس إحكاما قوياً، وبذل الأمير قاسم الجد والاجتهاد.

[أحداث عام 973 هـ]

وفي سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة أرسل محمد باشا وزير السلطان سليمان أن يبني له بمكة رباط بقرب الحرم للفقراء، وأن يبنى فيه دكاك ومساطب للمرضى، وأن يبنى من خارج ذلك دكاكين تُكرى وتُصرف في مصالح هذا المكان. وأمر بعمارة حمام وسط البلد وهو باق [٥١/ب] إلى الآن عام النفع.

[أحداث عام 974 هـ]

وفي سنة أربع وسبعين وتسعمائة توفي مولانا شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري المكي، شيخ مشايخ الإسلام وبركة الأنام ناشر علوم الإمام محمد بن إدريس الشافعي ودفن بالمعلاة في مقبرة الطبريين.

وفي السنة المذكورة توفي أيضاً مولانا السلطان سليمان - رحمه الله تعالى - مغازيا بستكوار وكان قد غزاها متوعكا بمرض النقرس، فتألم تألماً شديدا، فمنعه رئيس الأطباء عن السفر، فقال : " أريد أن أموت غازياً في سبيل الله " فبرز بجيوشه لتسع بقين من شوال إلى أن نزل بجنوده على قلعة سكتوار من أعظم قلاع دمشق راح. فأحاطوا بها كإحاطة الطوق بالعنق، ودار عليها دوران الأفلاك بالأفق. وفي حال ذلك الحال الشديد وشدة القتال غلب على مولانا السلطان توعكه واشتد مرضه، وغمرت غمرات الموت، ولاحت عليه آثار الفوت وهو يلهج إلى الله تعالى في النصر القريب فاستجاب الله دعاءه وحقق رجاءه واضطربت النار في خزانة البارود حق الكفار فأخذت جانبا كبيراً من القلعة، وحمل في آثار ذلك المسلمون واقتلعوا القلعة قصرا من يد الكفار وقتلوا من قتل ونجا من نجا، وانتقل من سرير ملك الدنيا إلى سرر مرفوعة في أعلى جنان، وأخفى حضرة الوزير الأعظم محمد باشا وفاة حضرة السلطان، وخرج من عنده وفرق الجوائز والإنعامات، وأمر بإرسال البشائر إلى سائر الأطراف والجهات، وأرسل يستدعي ابنه السلطان سليم خان الثاني واستعجله في الوصول إلى التختة العثمانية وكتم ذلك عن جميع الخواص والأمراء والوزراء والعسكر واستمرت أمور المملكة في التدابير في غاية الانتظام وهم في بلاد الكفر بعيدون عن دار الإسلام إلى أن وصل حضرة السلطان سليم إلى مقر تخته الكريم، وأذن العساكر المنصورة بالرجوع إلى أوطانها، وعاد مع أركان دولته ووزراء سلطانته وبقيت عسكر بابه إلى القسطنطينية وغسل السلطان سليمان وكفن وحنط وأنشد لسان الحال والاعتبار به :

انظر لمَنْ مَلكَ الدنيا بِأَجْمَعِهَا
هَلْ رَاحَ مِنْهَا بغيرِ القُطنِ والكَفَنِ

ووضع في تابوت على العجل وساروا به بسرعة وعجلة وأتوا به إلى إسطنبول، وخرج إلى استقباله الخاص والعام من سائر الأنام، وبكوا عليه وصلى عليه المفتي أبو السعود أفندي ودفن في تربة أعدها لنفسه ورثاه الشعراء بالقصائد المطولات.

وفي هذه السنة قعد مولانا السلطان الأعظم سليم خان يوم الإثنين مضين من ربيع الآخر، وبعد ثلاث أيام من جلوسه توجه إلى سكتوار لخفض عساكر الإسلام المجاهدين فواجهه محمد باشا أنعش الله بوجود أمثاله ملة الإسلام المجاهدين ويسر له فتح قلعة سكتوار ومنع مردة الكفار فعاد إلى التخت؛ فحصل من بعض رعاع العسكر غوغاء ومدافعة وممانعة عن دخول السلطان إلى السرايا، فطلبوا عوائدهم عند تجديد السلطنة فجاء المفتي وألان لهم الكلام والتزم لهم بالقوانين، ودخل حضرة السلطان سليم إلى [سراياه] وجلس على تخت مملكته ووفى للعساكر بما التزمه لهم وصرف من ذلك خزائن من المال وسكنت الفتنة وارتفعت المحنة ولله المنّة.

وفي هذه السنة توفي إبراهيم باشا ناظر العين وما [٥٢/أ] بلغ مراده من إدخالها مكة. وإنما قطع منها مسافة ألف ذراع وخمسمائة ذراع بالعمل ودفن بالمعلاة على يمين الصاعد إلى الأبطح في تربة كان أعدها لنفسه، ودفن فيها ولديه من قبله وهي الآن باقية يقال لها : الدفتدار، وأقيم بعدة للخدمة سنجق دار جدة الأمير قاسم بيك بإقامة صاحب مكة له وأمره بالمباشرة وعرض على الأبواب، وكانت السلطنة قد انتقلت إلى السلطان سليم [الثاني] فعين له من الباب العالي دفتردار مصر يومئذ محمد بيك أكمل زاده.

وكان معتبراً عندهم فوصل إلى مكة، وبذل الهمة أيضاً وما بلغ التمام إلى أن وافه الحمام وانتقل إلى رحمة الله في ليلة الثلاثاء وقت السحر لأربع ليال بقين من جمادى الأولى في سنة ست وسبعين وتسعمائة ودفن بالمعلاة قبالة تربة الأمير إبراهيم الدفتردار الأول، وكانت طاجن وسبيل تحتها وقد عفى الآن محلها.

ثم أقيم في خدمة العين الأمير قاسم بيك أمير جدة أقامه الشريف حسن صاحب مكة، وأعرض إلى الأبواب فبرز الأمر باستقراره أمينا على مصارفها، وأن يكون صاحب السعادة القاضي حسين ناظر على ما بقي من عمل عين عرفات إلى أن تصل إلى مكة المشرفة، واستمر الأمير قاسم مباشر العاطي هذه الخدمة.

[أحداث عام 979 هـ]

[والتجديدات بمكة]

وفي سنة تسع وسبعين وتسعمائة توفي قاسم بيك فكان ثالث الأميرين السابقين لليلة خلت من شهر رجب الفرد، ودفن بالمعلاة إلى جانب الأمير محمد بيك الدفتردار، ثم توجه السيد القاضي حسين إلى تكميل ما بقى من عمل عين عرفات باعتبار ما بيده من النظر عليها حسب الأحكام السلطانية. وجدّ في الاهتمام وبذل الجهد التام وعرض إلى الأبواب الشريفة وفاة قاسم بيك فأرسل السلطان بإقامته لذلك، وفوض إليه أمر العين فما كان في أقل من خمسة أشهر بعد أن عجزوا عن تمامه أولئك الأمراء قريباً من عشرة أعوام ذلك من فضل الله. ووصل الماء يجري في تلك الدبول لعشرين بقين من شهر ذي القعدة في العام المذكور، وكان ذلك عيد أكبر الأعياد، وعمل ذلك القاضي حسين ببستانه المعروف ببستان يونس سماطاً كبيراً جمع عليه أعيان مكة، وخلع على المعلمين والمهندسين خُلَعاً فاخرة، وأحسن على العلماء الإحسانات الوافرة وتصدق على الفقراء والمساكين شكراً لهذه النعمة ولقد أجاد الشيخ

العلامة جمال الدين بن الشيخ إسماعيل العصامي المكي مخاطباً في هذا اليوم عم سروره القوم .

أقضى القضاة الحسين أغنى
سكان أم القرى بعينه

ثم جهز بإخبار هذه البشائر العظيمة إلى الأبواب [العلية]، فقوبل بتشريفات وإنعامات، منها أن صارت مدرسته السلطانية السليمانية هي الآن منزل قاضي مكة فعين له مائة عثماني كل يوم وما عهد لأحد من الموالي العظام في مدارسهم وأرسل إليه بخلع فاخرة وخوطب من السلطان بمخاطبات أهل الاختصاص وأرباب الإخلاص.

وفي هذه السنة عُرض [على] السلطان سليم في عمارة المسجد الحرام أن حصل في سقفه خراب فعين لهذه الخدمة أمر سلطاني إلى باش مصر أن تعين ممن فيه الكفاية لهذه العمارة، وأن يجعل عوض السقف قبب وطواجن وأن يجري عين عرفات بدبل غير دبل حسين [٥٢/ب] من المنحنى إلى أسفل مكة، فعين باشا مصر لهذه الخدمة كتخذا اسكندر باشا الجراكسة، وأضيف إليه إلى هذه الخدمة سنجقية جدة، فأخذ هبة السفر وتوجه من مصر في البحر إلى بندر جدة، ثم وصل إلى مكة أواخر السنة المتقدمة وكانت الأوامر وردت أن يكون الناظر على هذه الخدمة الشريف ففرح بذلك الفرح التام وحصل بينهما مزيد الالتمام، ووصل لهذه العمائر معمار دقيق الأنظار اسمه : محمد المعمار جاوش الديوان فاتفق الناظر والمعمار على الشروع في هدم ما يجب هدمه إلى أن يصل إلى الأساس فشرع أولا في إكمال الدبل المستقل بعين عرفات وبناه من جهة المدعى ثم مر به في عرض خان قايتباي إلى جهة المروة إلى سويقة ثم عطف به إلى السوق الصغير أكمله إلى منتهاه، وبنى قبة في الأبطح جعل فيها مقسم ماء عرفات وركب في جدره بزابيز من النحاس يشرب

منها الماء، ثم بنى مسجداً وسبيلاً وحوض ماء يشرب منه الدواب على يمين الصاعد إلى الأبطح قبل بستان بيرم خواجه الصائر إلى المرحومة الخاصكية أم السلاطين وبنى مسجد آخر وسبيلاً ومتوضأ في انتهاء سوق المعلاة على يسار الصاعد إلى المعلاة، ثم شرع في جدارات الحرم الشريف وكانت الأساطين المبنية سابقاً على نسق واحد في جميع الأروقة، فظهر لهم أن ذلك الوضع لا يقوى على تركيب القبب عليها لقلة استحكامها، إذ القبة يجب أن يكون لها دعائم أربعة قوائم تحملها من جوانبها الأربع فرأوا أن يدخلوا بين الأساطين الرخام الأبيض دعامات أخرى تبنى من الحجر الشمسي الأصفر يكون سمكها سمك أربع إسطوانات من الرخام؛ ليكون عليها من كل جانب فتقوى على تركيب القبب من فوقها. وشرعوا من ركن المسجد من جهة باب السلام، وقاسوا تلك الصفوف بخط مستو ما كان قبل ذلك هكذا. بل كان فيه ازورار أعوج فلما أكمل جانبي المسجد الحرام وهما الجانب الشرقي، والجانب الشمالي، وصل خبر انتقال مولانا السلطان سليم خان، وذلك في سنة اثنين وثمانين وتسعمائة وأرخ وفاته الأديب مامية الإنكشاري :

فارقَ الملكُ سليمُ المُحْتَبى
وغَدا ضَيّفاً لدى المولى الكريم.
وبَدا في الشهدا تاريخُه
رحمــةُ اللهِ على حي سليم.

وكانت مدة سلطنته ثماني سنوات، وتسلطن بعده حضرة مولانا السلطان مراد خان بن سليمان خان بن سليم خان، وأرخ ولايته العلامة شهاب الدين المبلط.

قَدْ مَهَّدْ اللهُ البلادَ كلَّها
بِعْدلِ سُلطانه أَرضِ العِبَادِ

وأنشدَ الهاتفُ لما بَدَا

والسعدُ في تاريخه هذا مُرَادُ

وأرخ وفاته الأديب ماميه الإنكشاري -رحمه الله تعالى -وأجاد:

بِالتخْتِ أِصْبحَ جَالِساً

ملك أبيه رحم الإله عباده

ولما تولى المذكور جاء التفويض إلى صاحب مكة الشريف حسن بالاستقرار ووردت عليه التشاريف. وكذلك جاء التفويض لأحمد بيك المذكور على استمراره في عمارة المسجد الحرام والحث على التمام.

[أحداث عام 983 هـ]

[غرق مكة]

وفي سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة العاشر من جمادى الأولى ليلة الأربعاء جاء سيل طافح فدخل المسجد، وملأ المطاف الشريف وغطى الماء الحجر الأسود ووصل الماء والطين إلى عتبة باب الكعبة إلى أن قرب من القفل ووقف الماء في المسجد يوماً وليلة وما [٥٣/أ] أمكن أداء الصلوات الخمس فيه فتعطلت الجماعة سبعة أوقات، فبادر الأمير بيك وحواشيه والفقهاء والأعيان والتجار إلى فتح طريق الماء من أسفل مكة، ثم نظف وغسل داخل البيت والمطاف والمقامات، ثم أخرجت الأوساخ من المسجد وفرش بالحصى الجديد ثم شرع في قطع المسيل وهبوط أرضه إلى أسفل عشر درجات أو نحوها من الجانب الجنوبي من المسجد الحرام إلى آخر المسفلة، وهو ممر سيل أعالي مكة فصار السيل إذا سال درج بسرعة وفعل ذلك من جهة باب الزيادة أيضاً وهو سيل قعيقعان، والفلق، والقرارة، ويدخل من جهة باب

الزيادة ويخرج من باب إبراهيم إلى أسفل مكة مع السيل الكبير وصان الله المسجد الحرام بذلك.

[أحداث عام 984 هـ]

[تجديد المسجد الحرام]

وفي سنة أربع وثمانين وتسعمائة تم بناء المسجد بإتمام بناء الجانب الغربي والجنوبي بجميع شرفاته وأبوابه ودرجاته فصار المسجد الحرام على ما هو الآن نزهة للناظرين وجلاء للعيون وصفاء للقلوب من الغبون. وأرخه بعض الفضلاء :

جَدَّدَ المسجدَ الحرامَ مراده

دَام سلطانُه وأطَالَ أوانُه

وكان جملة ما أنفق على عمارته مائة ألف وعشرة آلاف ذهباً غير آلات الرصاص والنحاس والخشب، وأهلة القبب المعمولة بمصر المطلية بالذهب، ثم أعلم أن عدد جملة الأساطين بالمسجد الحرام في جوانبه الأربعة غير الزيادتين أربعمائة وتسع وستون إسطوانة، وما على أبوابه سبع وعشرون إسطوانة، فتكون جملة الإسطوانات من المسجد الحرام أربعمائة وست وتسعون إسطوانة غير أساطين الزيادتين فكان في الجانب الشرقي ثماني وثمانون إسطوانة، كلها رخام مخروط ما عدا إسطوانة واحدة في الصف الأوسط عند باب علي - عليه السلام - فإنها بنيت بالآجر والنورة مبيضة بالجص، وفي الجانب الشمالي مائة أسطوانة وأربع أساطين كلها رخام ما عدا أربعة عشرة أسطوانة من آخر الصف الأوسط مما يلي باب العجلة، وباب السدرة فإنها حجارة منحوتة، وكان في الجانب الجنوبي مائة وأربعون إسطوانة في مؤخر هذا الرواق عند باب أم هانئ فإنها كانت حجارة منحوتة وكان في

الجانب الغربي سبع وثمانين اسطوانة كلها حجارة منحوتة قطع دون الذراع، منحوتة في شكل نصف دائرة كل اثنين منها في شكل اسطوانة الرخام مسبوك بينهما الرصاص في داخلها وفي وسطها حديد بطول الاسطوانة عمل ذلك في أيام الناصر فرج بن برقوق لما احترق هذا الجانب الغربي من المسجد الحرام سنة ٨٠٣ هـ كما تقدم شرحه. قال القطب [النهروالي] :

" وجميع ما أدركنا من الأساطين الرخام على سعة وجميع ما فيه من الأساطين غير الرخام "

ثم في أيام دولة سليمان خان أمر أميراً من أمرائه بتجديده، هو الأمير خوشكلدي في سنة ٩٢٧ وما بعده أن يهدم قبة مقام الحنفي الذي كان بناه مصلح الدين في ابتداء الفتح السلطاني لممالك الغرب، وأن يبني مكانه مربعاً على وضعه الباقي إلى الآن.

وأما زيادة باب إبراهيم فقد كان الرواق سبع عشرة إسطوانة من الحجر المنحوت صفين متصلين في الرواق القبلي الذي يلي المسجد اثنان [٥٣/ب] لاصقان برباط رامشت على يمين المستقبل، واثنان لاصقان برباط الجوزي على يسار المستقبل وفي الجانب الشمالي سبع أساطين، وفي الجانب الجنوبي ستة أساطين أحدها لاصق بالمنارة التي كانت بهذه الزيادة. ولم يكن في الجانب الغربي بهذه الزيادة أساطين، ثم في أيام [السلطان] قانصوه الغوري [الجركسي] أرسل أمير من أمرائه يقال له خير بك المعمار لتعمير زيادة [في] باب إبراهيم في حدود سنة ٩١٧ هـ فبنى على باب إبراهيم قصر تقدم الكلام فيه.

وأما أعداد شرفات المسجد الحرام من داخله فكانت أربعمائة شرفة وسبعة أنصاف شرفات، وأما الشرفات التي كانت على جدار المسجد من الخارج فهي اثنان وخمسون شرفة متفرقة على أبواب المسجد الحرام.

وأما أبواب المسجد فعدتها ١٩ تفتح على ثمانية وثلاثين طاقا في كل طاق دفتان فيها خوخة.

الأول : باب السلام ، ويعرف بباب بني شيبة وهو ثلاث أبواب
الثاني : باب النبي - صلى الله عليه وسلم -.
الثالث : ثلاث طاقات ويعرف بباب العباس.
الرابع : ثلاث طاقات ويعرف بباب علي - عليه السلام -.

وبالجانب الجنوبي سبعة أبواب :

الأول : طاقان ويقال له باب بازان
الثاني : طاقان ويعرف بباب البغلة
الثالث : باب الصفا وهو خمس طاقات
الرابع : طاقان ويعرف بباب جياد
الخامس : طاقان، ويعرف بباب المجاهدية
السادس : طاقان ويعرف بباب مدرسة الشريف عجلان
السابع : طاقان ويعرف بباب أم هانئ.

وبالجانب الغربي ثلاثة أبواب :

الأول : طاقان ويعرف بباب الحزورة
الثاني : طاق واحد كبير يقال له باب إبراهيم
الثالث : طاق واحد ويعرف باب العمرة.

وبالجانب الشمالي خمسة أبواب :

الأول : طاق واحد ويعرف بباب السدرة

الثاني : طاق واحد ويعرف بباب العجلة
الثالث : طاق واحد يعرف بباب القطبي
الرابع : ثلاث طاقات ويعرف باب الزيادة
الخامس : طاق واحد ويعرف بباب الدريبة

وأما منائر المسجد الحرام فهي الآن سبع منائر، يؤذن عليها في الأوقات الخمس :

أولها : منارة باب العمرة
ثانيها : منارة باب الزيادة
ثالثها : منارة السليمانية
رابعها : منارة باب السلام
خامسها : منارة باب قايتباي
سادسها : منارة باب علي
سابعها : منارة الحزورة

وكانت على جبال مكة وشعابها نحو خمسين منارة يؤذن فيها، ولها أرزاق. وأما الآن فمنارتين،

واحدة : في مولد النبي - صلى الله عليه وآله وسلم -
الثانية: على مسجد الراية ، ويقال لها منارة الدشيشة

فيبقى جملة المنائر التي بمكة الآن تسعة :
اثنان خارجتان عن المسجد
وسبع في المسجد الحرام.

[أحداث عام 985 هـ]

وفي سنة خمس وثمانين وتسعمائة توفي الشريف بركات بن أبي نمى جد السادات آل بركات قال الشيخ نور الدين على الشهير بالجم، دخلت على والده الشريف أبو نمى معزيا له، فانهالت دموعه، فأخذها بمنديل. كان في يده فأنشدته :

يا أيها الملكُ العزيزُ ومَنْ رقى
هَام العُلا رَفَع المهيمن شَأنه
لا تَبْكِ مرحوماً أتى تاريخُه
بركات أنزلُه اللطيفُ جِنَانَه

[أحداث عام 988 هـ]

وفي سنة ثمان وثمانين وتسعمائة ورد مرسوم أن يُكْتَب ما بين باب علي وباب العباس في جدار المسجد بخط حُلي بالذهب صورته: محمد [٥٤/أ] أبو بكر، عمر، عثمان، علي، - رضوان الله عليهم أجمعين -، تقرأ بالبعد لمن أراد ذلك، لغلظ خطها.

[أحداث عام 990 هـ]

وفي سنة تسعين وتسعمائة توفي القاضي حسين المالكي عين أعيان أهل مكة وفضلائها وأجوادها ورؤسائها، سند جليل، وسند مثيل لم يخلفه مثله. ورثاه شعراء زمانه بالقصائد المطولات وذكروا كرمه وفعله للخير - رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته -.

وفي هذه السنة أيضاً توفي قطب الدين [النهروالي] مفتى السادات الحنفية بمكة المشرفة صاحب التاريخ المسمى : الإعلام بأعلام بيت الله الحرام رئيس زمانه.

[أحداث عام 992 هـ]

[وفاة أبي نمي الثاني وتولية الشريف حسن]

وفي سنة اثنين وتسعين وتسعمائة ليلة تاسوعاء توفى بوادي الآبار من جهة اليمن مولانا الشريف أبي نمى [الثاني]، وحمل إلى مكة وصلى عليه ودفن بالمعلاة وبنى عليه قبة، وعاش من العمر ثمانين سنة وشهرا ويوماً، ومدة ولايته مشاركاً ومنفرداً مع والده ثلاث وسبعون سنة وأعقب من الولد من الذكور : أحمد والحسن وثقبه وبركات وبشير وراجح ومنصور وسرور، ومن البنات ناصرة وصالحة وشمسية وعيشة وموزة وغيرهن.

وكان - رحمه الله تعالى - وأعلى درجاته في فراديس الجنات وأمتعه بالروح والريحان جامعاً لأشتات الفضائل حاوي المحاسن والشمائل لطيف الذات كريم الصفات حسن القبول وطئ الجانب من التواضع على جانب عظيم وعلى الضعفاء شفوق حليم وله ميل كلي لكل ذي بيت أصلي يقدمهم على كل آفاقي ولو أنهم من أكابر القضاة والمفتين في العالمين ويتفقد غيابهم وإذا حضروا [حياهم] المرة بعد الأخرى، وهو الذي نسج لأهل بيته القواعد والأقداس المستحسنة بينهم حفظاً للمودة والحرمة؛ فانتظم بذلك عقد شملهم وما زال رحمه الله تعالى . ولله در القائل :

ما كريمٌ من لا يقيل عثارَ
الكريمِ ويسترُ العوراءَ
إنما الحُرُّ منَ يُجر على الزلاتِ
أَذيلا منه ويَغُضُّ حياء

ورثاه الشعراء بالقصائد المطولات، ومن أراد الوقوف على ذلك فعليه بإتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاة بني حسن للإمام العلامة ابن علي بن فضل الله الملقب بالجمال الأخير الحسين الشافعي.

واستقل من بعد موته ولده مولانا الشريف حسن بن المرحوم أبو نمي بتخت الملك وأعبائه وشد إزاره بالتدبير من سائر جهاته وأنحائه واستخدم الحزم في شدائد الأمور الشاسعة وسلك في الحجة الطريقة الواضحة فصير ولاية الحرمين خلافة ومهد القواعد السلطانية والقوانين الحسنية بدون مخافة، وجلس على سرير الملك جلوس متمكن، وبذل الهمة في إصلاح الرعايا بكل جهد ممكن واصطحب الإقدام في صعاب الأمور وثبت الأقدام في المواقف التي تهب له بالقبول ولغيره بالدبور، فظهر به شأن أهل بيت النبوة من الشجاعة والقوة، وأذكر بما أبداه من شريف المناقب أحوال جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وله الغزوات العديدة والآراء السديدة في المواطن القريبة والبعيدة يساعده فيها السيف والقدر ويخدمه الفتح والظفر وله السرايا الكثيرة وهي عن التفصيل غنية لكونها شهيرة لم يؤمر فيها الأبناء النجباء وأقل ما أمر غيرهم من الأقرباء وكل سراياه بالنصر قائمة [٥٤/ب] عائدة عليه بالبشائر العامة.

وقد بعث جماعة من أبنائه الكرام فأظهروا في محاربتهم غريب المكارم، ومن من بعثهم فأبان منهم الفعل الحسن السيد الحسين بن الحسن ومنهم السيد أبو طالب المصاحب للنصرة، فقد أرسله واعداً بالظفر غير ما مرة، ومنهم السيد مسعود، ففعل بإرساله السعود، ومنهم السيد عقيل، فكان في بعثه غاية التأمل، ومنهم السيد عبد المطلب، فأصبح بتجهيزه للسؤدد مختلب، ومنهم السيد عبد الله بن الحسن، فكان بعزمه إصلاح جهات اليمن، وجميع غزواته وسراياه بالنصر مقرونة وطلائع طلائعه بالحروب ميمونة. وما برح سيدنا الشريف حاميا حوزة بيت الله المعظم ذاباً عن ساحة المفتخر المحرم ومانعاً عنه بسمر الرماح وكافاً عنه بيض الصفاح وأمنت به السبل

الحجازية وشعابها، ومهد الطرق الحرمية وسهل صعابها فأصبحت حرماً يأوى إليها العاكف والباد، وملتزماً يلوذ بفناه جميع العباد، فعاش الناس به عيشة رغيدة، وما من عام إلا ويلقاك وفوده.

[أحداث عام 994 هـ]

وفي سنة أربع وتسعين وتسعمائة أرسل السلطان مراد خان مصطفى جاوش لهدم بيوت ومدارس كانت في طريق السيل من جهة اليمن، وهي المقابلة الآن [لباب] الصفا ممتدة إلى جهة السوق الصغير. فهدمت وبنيت أروقة بطواجن يأوى إليها الفقراء والغرباء كي لا يبيتون في المسجد. وبنى أيضاً سبيلاً يشرب منه خارج باب الصفا وتحته حنفية، وقد خربت الآن وسبب ذلك سوء [تدبير] النظار.

ومن خيرات السلطان مراد حب الجراية المرادية نحو خمسة آلاف إردب. ومنها أنه لم يكن بمكة المشرفة مفتي بعلوفه، فعرض مولانا الشريف للشيخ عبد الكريم القطبي، فأنعم عليه بالإفتاء وجعل له من بيت المال خمسين عثماني في كل يوم. ومنه أنه كان للخطباء والأئمة بمكة لكل واحد منهم عثماني ونصف في كل يوم، فعين أربعة من الخطباء حنفيين وشافعيين وجعل لكل واحد منهم أربعين عثمانياً في اليوم وجعل للأئمة الشافعية وكانوا نحو أربعة عشر رجلاً لكل واحد خمسة عثمانيين ومنها أربعة المقروءة بالحرم الشريف، وجعل لكل رجل ثلاثة عثمانيين كل يوم ومثلها بالمدينة المنورة أيضاً أربعة، ولكل رجل ممن يقرأ الربعة ثلاثة عثمانيين، ومنها الرومية الآتي ذكرها.

ومنها آبار حفرها بقرب المدينة الشريفة لقوافل الزوار، وفي وادي مفرح وغيرها كثيرة النفع.

[أحداث عام 995 هـ]

وفي سنة خمس وتسعين وتسعمائة تمت العمارة المذكورة التي بنظر مصطفى جاوش وصرف عليها عشرين ألف دينار.

[أحداث عام 996 هـ]

وفي سنة ست وتسعين وتسعمائة لثلاث بقين من رمضان فتح الشيخ [عبد الواحد] الشيبي الكعبة للنساء على جاري العادة، فسرق من حجره مفتاح الكعبة، وهو مصفح بالذهب، فوقعت الضجة وأغلقت أبواب الحرم وفتشت النساء فلم يظفروا به، ثم وجده سنان باشا باليمن مع رجل أعجمي فأخذه وقرره فقال تزيت بزي النساء ودخلت يوم فتح البيت لهم وسرقته من حجر الفاتح وكبس داره ووجد عنده المفتاح وغيره من سرقات أمر بها فقطع رأسه وأعيد المفتاح إلى الشيخ [عبد الواحد] الشيبي.

[أحداث عام 999 هـ]

وفي سنة تسع وتسعين وتسعمائة ظفر برجل مصري يقلع بعض رخام بالحجر بآلة نحاس صورتها صورة كف إنسان وعليها كتابة، كوفية فمسك ذلك الرجل وقطعت يداه قال الشيخ عبد الرحمن عيسى المرشدي [٥٥/أ] ولقد رأيت صورة الكف النحاس، وليس له حد يتمكن من قلع الأحجار من مواضعها، اللهم إلا أن يكون أثر ذلك الكتابة التي عليها فلا يبعد والله أعلم.

أحداث القرن الحادي عشر الهجري

[أحداث عام 1001 هـ]

سنة إحدى وألف، حضر بمكة المشرفة الشريف مسعود بن الشريف حسن صاحب مكة أرسله والده وكان في البر بطريق النيابة عنه لورود كسوة من الأبواب لداخل البيت الشريف فنزل إلى المسجد وحضر أعيان مكة لحضوره فقيس طول البيت الشريف فجاءت الكسوة طوله من غير زيادة ولا نقصان. وكان السلطان مراد خان بن سليم خان بن سليمان خان بن سليم خان، وتسلطن بعده إبنه السلطان محمد خان وأرسل إلى صاحب مكة بالاستقرار.

[أحداث عام 1006 هـ]

وفي سنة ست وألف تخلف الشريف حسن في جهة ركبه وبعث أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة إلى أخيه السيد ثقبه يلتمس منه أن يلبس

خلعته أكبر أولاده السيد مسعود بن حسن، فلما كان يوم العرضة خرج إلى المختلع فلبس الشريف ثقبة خلعته التي كان يلبسها مع أخيه وقال الدويدار احفظ خلعة سيدك ولم يأمر بالباس السيد مسعود، فرجع السيد مسعود مقهوراً ومات خلف هذا الفعل بمدة يسيرة فصلى عليه ودفن بالمعلاة وبنى عليه قبة باقية إلى الآن.

ومن ذريته السادة آل مسعود بن حسن، كان رحمه الله الإنسان المُكَمل جامع شتات الفضائل محط ركاب الآمال ومعدن الكرم الذي تشد إليه الرحال حاوي منكبتي الشجاعة والكرم وحائز فضيلتي التصرف بالسيف والقلم ينظم الدرر وينثر الغرر، وله نظم رائق وحذق فائق.

[أحداث عام 1008 هـ]

وفي سنة ثمان وألف توفي الشريف ثقبة بن أبي نمى أخو الشريف حسن كان رحمه الله تعالى له من الخيرات على جانب كبير ومن الذكاء على فضل غزير بلغ من المعالي الغايات وأخرص من تصدى إلى أخصاما عظاما من الكمالات وله النظم الفائق والنثر الرائق.

وفي هذه السنة المذكورة التمس مولانا الشريف حسن من حضرة مولانا السلطان محمد بن مراد خان أن تكون الإمارة من بعده وولي عهد السيد أبو طالب من أعظم أولاده وأرسل في طلب هذا الأمر الأغا بهرام صحبة أمير الحاج المصري إلى الأبواب العلية فأجيب إلى ما طلب ودخل مكة الأغا بهرام بالخلعة السلطانية أبو طالب خلعته الواردة، وطاف بها على جاري العادة، والريس يدعو له بأعلى زمزم، وطلع إلى داره وجلس للتهنئة واستمر مشاركاً لوالده يدعى لهما على المنابر.

[أحداث عام 1009 هـ]

وفي سنة تسع وألف أمر مولانا السلطان محمد خان بعمارة مولد النبي - صلى الله عليه وسلم - على يد شخص من أبنائه يقال له غضنفر أغا فأنفق عليه جملة من المال فأحكم بناءه وجعل بأعلاه قبة عظيمة ومنارة، وأوقف عليه وقفا بالديار الرومية، رتب له مؤذنا وإمام وخطيبا وبوابا ومشدا، وجعل لكل واحد منهم معينا يحمل إليهم في كل عام. ثم جُعِلت [لهم] السلطنة مدرساً يدرس يومين في الدور بالمحل المذكور. وإمام هذا المحل السيد على عمر الغزي، وقد توفي سنة مائة وثلاثين وألف وقد أقام في وظيفته نائباً عنه في مرض موته الشيخ الفاضل الخطيب بالمسجد الحرام محمد صالح بن الشيخ عبد الهادي المكي الشهير بالطاهر. والمدرس العَتاقي أفندي [٥٥/ب] والنائب عنه شيخ أهل الحديث الشيخ عبد الله بن سالم البصري.

[أحداث عام 1010 هـ]

وفي سنة عشر وألف كان توجه إلى نجد غازياً صاحب مكة حسن ابن أبى نمى، فتوفي هناك في محل يقال له فاعيه وذلك ليلة الخميس الثالث [من] جمادى الآخرة. وقيل يوم الأربعاء الثاني [من] جمادى الآخرة من السنة المذكورة فحمل في صحفة على نياق عقيليات وأتوا به إلى مكة وراح الناعي إلى ابنه الشريف أبو طالب وهو في المبعوث، فسار من وقته إلى مكة فدخلها ليلة السبت الخامس [من] الشهر ودخلت جنازة والده بعد دخوله في النصف الثاني من تلك الليلة. وبمجرد وصوله غُسل وكفن وصلى عليه تجاه الكعبة الشريفة قبيل الفجر ودفن بالمعلاة وبني عليه قبة. وله من العمر تسع وسبعون سنة وثلاثة أشهر ومدة ولايته مشاركاً لأبيه أبو نمى وولده أبو طالب ومستقلاً خمسون سنة وللقاضي أحمد بن الفضل باكثير صاحب وسيلة الإمام مرثية في الشريف حسن مخاطباً بها ابنه أبو طالب معزيا له ومهنئاً له بالولاية.

هـذا وقـد رزق الـمرحـوم الشريف حـسن رحـمه الله تـعالى مـن الـذريـة خمسين نفساً من الذكور خمسة وعشرين، وهم : سالم، وعلي، وأبو القسم، وحسين، ومسعود، وباز، وأبو طالب، وعقيل، وعبد المطلب، وعبد الله، وعبد الـكريـم، وعـبد الـمحسن، وعـدنـان، وإدريـس، وفهـد، وشمبر، وعـبد المعين، والـمرتضى، وهـزاع، وعـبد الـعزيـز، وعـبيد الله، وجـود الله، وبـركات، وقـايتباي، ومحـمد، والـحارث، وآدم. ومـن الإنـاث شمسـية، وروضـة، وزيـنب، وحـمدة، ويـاقـوته، وفـاطمة وعـزيـزيـة، وزيـن الـحبوش وجـربوعـة وزيـن الشرف وسلامـة وكثيرة وغـريـبة ومنى ومـزنـة وأريـنب وغيرهن. ومـات جـملة منهم مـن الـذكـور والإناث في حياته. وورثه سبعة عشر ذكراً وأربع عشرة إناث تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته.

قال الشهاب الخفاجي في كتابه الريحانه في ترجمة الشريف حسن:

"وقد كان انتهاء صعود الشرف في أرض الحجاز بالسيد حسن وبالمغرب بمولاي أحمد، وفي الروم بالسلطان مراد خان، ونحن الآن لا ندري ما يريد وما لا يراد بين قوم مجانين فالجواد دون الحمار المصري، وأبو جهل يعظ الحسن البصري."

دخل داود الأنطاكي صاحب التذكرة في الطب وكان أكملها كذا خرج من بطن أمه فمن فطنته أنه اجتمع بشريف مكة حسن بن أبي نمي والتمس تقبيل يده فغمز بعض إخوته على أن يعطيه يده يقبلها فلما جسها قال : " ليست هذه يد الملك " ، ثم أعطاه الآخر يده فقال : " مثل ذلك " ، فأعطاه الشريف حسن يده فقبلها، ودعـا له بالبقاء ودوام الارتقاء تـوفي داود عام ثمان وألـف - رحـمه الله تـعالى - . وإن أحـق مـا يـفيد في الـصحائـف مـن الـمكارم والـذهـب الـحائـف مـا نـقل أن الشـيخ عـبد الـرزاق الشـيبي دخـل على الشريف حـسن يستأذنه في السفر إلى الهند فأنشده الشريف حسن قول الظفراي:

فيما اقتحامُك لجَّ البحرِ تركبُـهُ

وأنت تكفيك منه مصةُ الوشِـلِ

فأجابه بقول الظفراني :

منها أريدُ بَسَطةَ كفٍّ أستعين بها
على قضاءِ حقوقٍ في العلا قبلي

فأمر الشريف بألف دينار ذهباً في (٥٦/أ) سنة تسعمائة وأربع وستين أنشأ مولانا الشريف حسن دار السعادة والتمس من الإمام عبد القادر الطبري تاريخاً لذلك فقال:

إن بيتنا بنـــاهُ خيرُ مَليك
أَسس المجـد كفه وأشـاده
فاق في وصفـه وحُسْنِ بناه
كُلَّ قصرٍ لأهلِ العُلا والسَّعـادةِ
جاءَ تاريخهُ وضعه في نصيف
أنا بيتُ الملكِ دَار السَّــعادة

وقال مولانا الإمام عبد القادر الطبري المشار إليه في تأليفه : حسن السريرة في حسن السيرة: ولما أفاضت الخلافة إلى سيدنا الحسن:

أتتهُ الخلافةُ منقـادةً
تَجُـرُّ إليــهِ أَذيـالَها
ولم تكُ تصــلحُ إلا
لَهُ ولَمْ يَكُ يصلـحُ إلا لها
ولو رَامَها أَحدٌ غيرَه
لزُلزِلَـتِ الأرضُ زِلزَالها

وبموجب تمهيده تلك المشاهدة وتشييده معالم هاتيك المعاهد، وكثرت الأرزاق بسعده وتعمير الأسواق بجده وتفجرت عيون الأرض [بتوفيق من الله] بيمينه واستمر ذلك بجوده ومنه رغب في استيطان هذا البلد الحرام، والانطراح في سوح عدل هذا الإمام فعاشوا في عيشة راضية ونال كل منهم ما أمل من أمنيته، فما طائفة إلا وقد بلغت مرامها ولا فرقة إلا شفت من نوبة جوده أو أمها أما العلماء فنشر على رؤسهم علم المفاخر وتوجوا لديه الوقار فلحق الأول منهم الآخر، وما زال سيدنا محتفلاً بهم احتفال من توج بالوقار، ومظهراً أعلى مراتبهم في مقامات الافتخار لاسيما من ينتسب إليه بإخلاص الوداد، ويلجأ إليه من سائر العباد ويخدم خزائنه المعمورة بالتأليف الحسنية ويبدع كم التصانيف اللطيفة في كل سنة وهم فرق كبيرة وطائفة كثيرة.

ومنهم هذا الفقير الذي بذَلَ عمره لتحصيل عرائس العلوم مهراً، وأنفق عنفوان شبيبته في تحصيل الكمالات دهراً حتى تأهل بذلك لخدمة هذا الجليل الظل السابغ الظليل ففاز منه بالحظوة والمكانة، وأعلى بين الأنام مقامه ومكانه، وفاض عليه من وأكف كنه ما يخجل ماء السماء، وأنبت ما بذره من الوداد حتى ظهر وسنا ونما فذلك ألزم هذا المخلص نفسه إلزام من يفي بوعده إذا أورق سيدنا بملئ فضله أداه الدهر من طيب عوده أن يخدم الخزانة الشريفة المأنوسة السيدة التي بعين عناية الله محروسة في كل سنة شمسية ومدة من الزمان إنسية بكل تأليف تطال لمثله الأعناق، وسير ذكره في سائر الآفاق.

فمن درة الأصداف السنية في دورة الأوصاف الحسنية. ومن ذلك عيون المسائل من أعيان الرسائل. وهو مجلدان مشتملان على أربعين علماً، ومن ذلك الآيات المقصورة على الأبيات المقصورة شرح مقصورة ابن دريد. ومن ذلك الكلم الطيب على كلام أبي الطيب [المتنبي]، ومن ذلك هذا الكتاب حسن السريرة في حسن السيرة، وغير ذلك من الأشعار الرائعة والمراسلات الفائقة الأنيقة، وبالجملة فلا أحسن من الحسن فقد كانت أيامه [٥٦/ب] الكريمة

مأنوسة وبها وجهه بعين الله محروسة والشمس منها باهرة الشعاع ظاهرة الارتفاع، وبدر غيمها في أشرف درجة وأسنى بهجة وأزهر دولته متصلة العود متنقلة في درجات الصعود إلا أن أضر بالناس وزيره عبد الرحمن بن عتيق فإنه كان ظالماً غير شفيق وهو عبد الرحمن بن عتيق الحضرمي. وكان عتيق المذكور تزوج بنت الشيخ محمد بن جار الله أمين الدين بن ظهيرة، وأولدها عبد الرحمن هذا فنشأ في مكة وراحمت به السادات ذوي بركات.

فلما بلغ مبلغ الرجال لم يزل يترقى إلى أن صار وزيراً للشريف حسن سنة ثلاث وألف ولم تزل الصلحاء مبتلين فاستولى على سيده ومولاه وتعدى ما نهى عنه من حدود الله، وبقي في الوزارة سبعة أعوام والناس معه في أشد من وقع الحسام على الهمام، وذلك لأنه أرهب أركان الدولة والعامة وله جواسيس وحواش ظالمة يتوعدون من علموا منه كراهة الوزير بكل ضير حتى كان لا يبلغ الشريف عنه إلا الخير وكان من فجوره المرادي وبغية المعتدي وقلة دينه ورقة يقينه أن من مات من مكي أو خافي استأصل ماله، وحرم عياله ويزور ويكتب عليها شهود زور وبهتان ولم يخش الرحمن. فمن ذلك ما حكي أنه ادعى على الخواجة المعروف بالكركيه بدعوى باطلة فاستمهل منه ثلاثة أيام فمر به وقال له : " بقي يومان فما تصنع بهذه المهلة؟ " ، فأجابه : " يأتي من ألطاف الله ما لا يكون في البال " . فلما كان اليوم الثالث، وكان يوم الجمعة مسك بعد العصر، وحبس فلما وصل الشريف أبو طالب ودفن والده استدعى ابن عتيق وسأله عما كان يفعله من المنكرات فأقر بفعل ذلك فرده إلى الحبس، فلما يأس من الخلاص قال : " من يعطيني سلاحاً فأقتل نفسي " فأخبر الحباس الشريف أبا طالب بما يقول بن عتيق فأخرج جنبيته من وسطه وقال للحباس : " خذها وامضِ له وقل له هذه جنبية. " أبو طالب يقول لك : " اقتل نفسك " ، فقال له الحباس بقول أبي طالب، وأعطاه الجنبية فأخذها من الحباس ووضعها في بطنه واتكأ عليها وقتل نفسه، فأتى الحباس وأخبر بما فعل في نفسه، فقال أبو طالب : " عجل بروحه الشقية إلى سقر ، الحمد لله عافانا من

دمه " ، وذلك يوم الثلاثاء سنة عشرة وألف فأمر الشريف به ورمي في طريق جدة بثيابه التي قتل فيها، ولا غسل ولا كفن ولا صلى عليه، ورجمته العامة ثم حفرت له حفرة فألقي فيها وأرخَّه بعضهم بقول :

أشقى النفسَ الباغيةَ
ابنُ عتيق الطَّاغيةُ
لما أَتى تاريخُـهُ
أجب لظى والهاوية

ولقد وقع ابن عتيق بالشيخ خضر بن عطاء الله، وألزمه بشهادة زور وكان من [٥٧/أ] الصلحاء والعلماء فامتنع وتأبى فأضمر له البغضاء ونصب له بالعداوة شباكاً حتى أوقعه بفخ الهلاك وقد لمح بهذه القصة السيد علي معصوم في ترجمته هذا الشيخ فقال ما نصه :

" للشيخ خضر بن عطاء الله الموصلي الشامي رحلة تنضي إليه الرواحل، وتطوى للقياه المراحل، باعه في الفضل مديد وسهمه في أهداف العلم سديد، ولا تدرك في السبق غايته، ولا تتأخر عند ازدحام الآراء رايته، عض على العلم بضرس قاطع، وأنار ظلم الجهل بنور من صبحه ساطع، وكان قد انتقل من بلده إلى البلد الحرام فقطن به منتظماً في سلك علمائه الكرام، وبه ألف كتابه الذي سماه : الإسعاف بشرح أبيات القاضي والكشاف، وهو كتاب لم تكتحل أعين الدهر له بنظير، ولا احتوى على مثل أزهار ألفاظه وثمار معانيه روض نضير، وقد دبج في ديباجه بذكر شريف مكة وسلطانها وحامي حوزة قصادها وقطانها الميمون السكنات والحركات الشريفة، حسن بن أبي نمي بركات فأجازه عليه من المال ألف دينار ومن الإقبال ما أصابه أفق ماله وأنار، ولم يزل مقيماً في ذلك الحرم وارداً مناهل الفضل الكرام حتى فشى ظلم الوزير المذكور، وهو الذي روع الأجنة في الأحشاء والأفراخ في الوكور مستبيح جيران البيت العتيق الشقي المعروف بابن عتيق فكان من مخازيه الشنيعة وفعلاته التي قبح بها

صنيعه أن دعى المشار إليه إلى شهادة الزور على اغتصاب شيء من متاع الدنيا المتهور فلم يجبه إلى ما دعاه ، لتجاوز الاغتصاب حتى كان لا يلقبه إلا بالنصراني، ولا يراه إلا بعين الإثم الجاني ولم يزل يدب له الضراء ويريد له البأساء والضراء إلى أن رماه عند الشريف ببهتانه، وجرى على عادته بظلمه وعدوانه وسعى إليه بأن لا يزال ينسب إلى هذه الدولة المظالم ويأتفك لها ويتبرأ منه كل مؤتفك ظالم، ويكتب بذلك إلى أمراء الأورام وهو مقبول القول عند أولئك الأقوام. ومثالاً بتلافي أمره شب نار التلافي جمره وحسن له جلاؤه من البلد الحرام قبل أن يؤول أمره إلى الإضرار. فأذن له الشريف في إجلائه فشمر له عن ساعد بلائه وألزمه بالخروج في الحال وأمره لوقته بالارتحال، ولم يمهله لينقل ماله أو يرى ما عليه وما له، فخرج متوجهاً إلى مدينة الرسول، وقد تزنق ورد حياته لمسول، وما [إن] أبعد عن مكة مرحلتين حتى استولى الوزير الشقي على داره، وأظهر صوله وقهره واقتداره واصطفى جميع ما فيها قبل الفوات ونادى عليه في الأسواق كما ينادى على تركة الأموات، فبلغ الشيخ الخبر في أثناء الطريق فأصبح وهو في يم الهم غريق، وأطلق من قيد هذه الدار المحفوفة بالأرزاء والأكدار ففاجأه أجله قبل وصوله إلى المدينة، ولاقى من أولاه دنياه ودينه وذلك في سنة سبعة وألف".

ومن شعره قوله مادحاً للشريف حسن وأودعها ديباجة كتابه الإسعاف فقال:

بدرُ الملوكِ أميرُ المؤمنينَ أبو
عليّ الحسن السامي به السام
خليفةُ الله من دارت بنُصْرَتِه
وما يشاءُ من الأفلاكِ أجرامُ

[٥٧/ب]

فـانـظروا إلى هـذا الشقي وفـعله في الـعلماء، وسـيجزيـه على فـعالـه رب العالمين، ولم يزل الشريف أبو طالب منصور اللواء مؤيداً لقي في العلا درجات الحبور ما لها زمامة الأمور، داعياً بلسان إحسانه لوجه ذوي الحاجات، مدلاً بسطوته ذوي الحاجات والشعراء، وأكفه على أبوابه والشعر ناظمة محاسن صفاته في أحاسن ألقابه، ومدحه الإمام محي الدين عبد القادر بن محمد بن يحيى الطبري فقال :

بِسُمْرِ القِنا وبيضِ الصَّوارِمِ
تُنَالُ العُلا وتُنَالُ المَكَارِمُ

وهي قصيدة طويلة.

[أحداث عام 1012 هـ]

وفي سنة اثنتي عشرة وألف افتتاحها غزا مولانا الشريف أبو طالب بيشة وهي قبيلة كبيرة، فظفر وعاد بجانب كبير من الإبل والغنم وغيرهما، فتوعك في أثناء الطريق وتوفي في محل يقال له العشة من بلاد بيشة، روح الله روحه الشريفة قبيل الفجر يوم الإثنين العشرين من جمادى الآخرة، فغسل وكفن موضع انتقاله، ونقل إلى مكة في محفة على ظهور البغال ودفن بالمعلاه، وبني عليه قبة كبيرة. ولا ريب أنه من أولياء الله تعالى؛ لأنه صاحب شهرة تامة لا يكاد أن يمر به أحد إلا يقف ويقرأ له الفاتحة، والحجاج والزوار يستغيثون به ويتوسلون به إلى الله تعالى في الأمور الصعاب فتقضى حوائجهم ببركته، وأعجب من ذلك أن الرخم والطيور لا يباتون إلا على قبته وبجانبهم نحو الثلاثين قبة لا يبيت عليها طائر. وعلى ذلك ذكره قول القائل :

مَنْ علَّم الورقاء أَنَّ حَمَامَكم
حَرمٌ وأنتُم مَأمَنٌ للخائفِ؟

ومن وصل إلى محله مستجيراً من دين أو غيره لا يصل إليه أحد بسوء. ولا شك أنه من أصحاب الأسرار - نفعنا الله به، وبجميع عباد الله الصالحين -.

وولي بعد مكة - شرفها الله تعالى - أخوه مولانا الشريف إدريس بن حسن ابن أبي نمي بن بركات، وأمه هيا بنت أحمد بن حميضة بن محمد بن بركات، وكانت ولايته بإجماع السادات الأشراف، وأشركوا معه أخوه السيد فهيد في الربع والسيد محسن وأعرضوا بذلك إلى الأبواب فأجيبوا إلى ذلك، ولما وصل [أمير] الحج المصري ، خرج الشريف إدريس وأخوه السيد فهيد وابن أخيه السيد محسن بن حسين للقاء الأمير يوم السابع [من] ذي الحجة فألبسهم الأمير ثلاث خلع أعظمها بفرو ألبسها الشريف إدريس، ثم أمير [الحج] الشامي كذلك ألبسهم ثلاث خلع وحجوا بالناس ثم يوم الاستمرار لبسوا الخلع السلطانية، وأرخ ولاية الشريف إدريس الأديب الفاضل الشيخ عبد الرازق العياني بقوله :

جَلَّ المهيمين الذي
يُحيي الورى ثم يُميت
إدريس لما أن ولى
تاريخ صح بخيت

ومدحه شعراء زمانه بالقصائد المطولات التي ليس لنا فيها قصد بإثباتها.

وفي هذه السنة - أعني سنة اثنتي عشرة وألف - توفي إلى رحمة الله السلطان محمد خان ابن السلطان مراد خان؛ فتسلطن ثاني عشر من رجب

[٥٨/ أ] أحمد خان بن محمد خان، وجلس على تخت السلطنة [في] الثاني عشر من رجب من السنة المذكورة، وأرخ ولايته بعض الفضلاء نثراً فقال : " خير السلاطين، وكان صاحب هبات ومبرات " ، ومن ذلك أنه جعل لأهل الحرمين وقفا بمصر يحمل مغله في كل عام لأهل الحرمين مكة والمدينة صحبت أمير الحاج المصري وهو المشهود اليوم بمال الأحمدية - رحمه الله تعالى -. وكانت مدة سلطنته ستة أعوام.

[أحداث عام 1015 هـ]

وفي سنة خمس عشر وألف خرج الشريف محسن مغاضباً لعمه الشريف إدريس، وأرخ بعض الفضلاء خروج الشريف محسن تكتب بالخناجر على الحناجر.

[أحداث عام 1016 هـ]

وفي سنة ستة عشر وألف رممت المقامات الأربع بالحرم المكي بأمر السلطان أحمد خان.

[أحداث عام 1019 هـ]

وفي سنة تسع عشرة [وألف] حصلت منازعات بين الشريف إدريس وأخيه [فهيد] فطلب من فهيد أن يوسع عن مكة، فخرج إلى مصر ومنها إلى الروم، ودخل مكة [ابن عمه] الشريف محسن بن حسين بأمر من مولانا الشريف إدريس، وجعل له ما كان للسيد فهيد، وكان دخوله عيداً أو يوماً مشهوداً وتصدر للتهنئة فيه والجمع على محبيه ومدحه العلماء الأكابر بالنظم البالغ، وهنأ مولانا الشريف محسن بهذا العود المشكور القاضي الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشد يقبل الأرض مهنئاً بما عم بشره كافة البشر ورفعت

له في قلوب الرعايا رايات الفرح والظفر. ودقت له نوبات التهاني، وبلغت به نفس الأواد غايت الأمل والأماني وأنشد لسان الحال :

حَسم الصُّلح ما اشتَهته الأعادي
وأذاعَتْهُ ألسنُ الحـسّادِ
وأرادَتْهُ أنفسُ حـالِ تدبيرٍ
كما بينها وبين المـرادِ
ولعمري لقد كانـت الداهيـة
الدهياء والصاخت العمياء
فكيف يتم باسك في أنــاس
تصيبهم فيؤلمك المصاب

هـل أنتم إلا نفس تفرقت في الأجسام
ونفس تصاعد في الأخشــام
لا عاد الشر من بغى لكــم الشر
وخص الفساد أهــل الفساد
أنتما ما اتفقتما في الجسـم والروح
فلاحتجتما على العـــواد

فو الله لقد ناجتني بذلك نفسي، وقرطس في غرض الإصابة سهم حدس، وإن كنت جازماً بأن هذه الحالة لا تستقر، وأن نار الحرب بينكما لا تستعر، أَنَّى يتم ذلك وأنتم الشم رصانة التي لا يباريها الأطواد ثباتا ورزانة؟! لستم ممن يستخفه الطيش ويستثيره، ولا ممن لا ينظر في ما يقتضيه قبيل الأمر ولا تدبيره، بل أنتم ممن جبل وحفظت فيكما الزمام منع الود والرعاية والسؤدد

حتى أني كنت أشاهد هذا الأمير من كتب وبتحققه تحقق من سطر وثائقه وكتب [٥٨/ب]، وأرخت ذلك بقولي :

" عاقبة الأمر الصلح فكان فالاً جاء كفلق الصبح فالحمد لله الذي أبدل الضراء بالسراء. وأزال عن المسلمين البأس، وجمع شمل السيادة حرس بكيم بلاده فقد الملك باهر من رآه شاكرا ما أتيتما من سدادٍ فيه أيديكما على الظفر الحلو وأيدي قوم على الأكماد. هذه دولة المكارم والرأفة والمجد والندى والأيادي كسفت ساعة كما تكسف الشمس، وعادت فنورها في ازدياد فلله در أبي الطيب فكأنما شاهد هذه الواقعة، فوضع هذا الدر موضعه ولابدع من المتنبي إذا أخبر عن المغيبات وحدث عما هو آت، فكان ذلك مما له من المعجزات والآيات البينات. فالله تعالى يصون شملكم بطراز الوفاق والتوفيق ويمتع بكم الرعايا بل كافة البرايا والسلام على الدوام.

ومدح القاضي أحمد باكثير مولاه الشريف بقصيدة من المطولات وفصلها بثناء من التنزيل في ذكر ممدوحه، وبيتين طيها تاريخ عام نظمه، فإن ميزان هذا البحر ثمانية أجزاء عند التفعيل وهي : فعولا مفاعلا فعولا مفاعلا.

فيستخرج من أول الجزء الأول من صدر البيت وهو : فعولا الأول من أول كل بيت من القصيدة إلى آخرها قوله تعالى :

[بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ] (سورة البقرة ، آية ١١٢)

ويستخرج من أول النصف الثاني من صدر البيت أيضا وهو : فعولاً الثاني إذا أخذ من القصيدة إلى آخرها قوله تعالى :

[وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إلى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى] (سورة لقمان ، آية ٢٢)

ويستخرج من الشطر الثالث وهو: فعولاً الرابع إذا أخذ من أول القصيدة إلى آخرها بيتان قبلها تاريخ عام نظم هذه القصيدة وهما: كاد تاريخ من يحي بيت شعر بك زين باقي القرن مدح لرؤوف وهو محسن.

[أحداث عام 1025 هـ]

وفي سنة خمسة وعشرين وألف ورد أمر سلطاني من السلطان أحمد إلى مكة على يد حسن باشا أن يجعل شباكا من نحاس في بئر زمزم يمنع من الوقوع فيه فجعل شباكاً على قدر فم البئر مما يلي الماء، وجعل للشباك سلاسل من حديد فربطت في دائر فم البئر من أعلاها.

وفي سنة خمس وعشرين وألف عزل من وزارة مكة أحمد بن يونس، وكان من مولى الشريف بركات وكان وزيرا للشريف إدريس وتقلد الوزارة والحكامة بعد القائد ريحان بن سالم واستدنى الشريف بن يونس وكان في الشرق فلما وصل إليه وضعه في الحديد ثم قتله في محل يقال له وادي النار ودفن به.

وفي هذه السنة توفي إلى رحمة الله تعالى السلطان أحمد بن محمد بن مراد خان العثماني وكانت مدة سلطنته أربع عشرة سنة وولى بعده أخوه السلطان مصطفى خان بعهد منه، واستمر ثلاثة أشهر وخلع ابن أخيه السلطان عثمان بن السلطان أحمد خان وذلك [٥٩/أ] في سنة سبع وعشرين وألف وأرخ بعضهم :

يا سائِلِي عن عَام ملك مليكه
من خَصَّهُ اللهُ بأَسنى منَنَهُ
بباه السعد أتى تاريخه
سلطاننا عثمان مهدي زمنه

وفي هذه السنة قلع النحاس الذي على الزمام القاضي محمد الفناري وقد قيل له إن الماء تغير بطعم الحديد والنحاس. وفي هذه السنة وصل أمر من السلطان وسببه عرض من صاحب مكة في خطبة لمولانا القاضي تاج الدين بن أحمد بن إبراهيم المالكي، فخطب لتسعة عشر خلون من شهر رمضان وألبسه الشريف إدريس قفطان يوم المباشرة.

[أحداث عام 1031 هـ]

وفي سنة إحدى وثلاثين وألف قتل السلطان عثمان بن السلطان أحمد وأعيد إلى السلطنة السلطان مصطفى المخلوع أولاً وأرخ بعضهم قتل السلطان :

قد قَضى عثمانُ ظُلما

حين خَانَتْهُ الجُنودى

والليالي أَرَّخته

إن عثمانَ شهيدٌ

وسبب قتله أنه عزم على الحج وخرج إلى أول مرحلة قاصداً مكة، ولم يكن أحد من سلفه خرج فقتله الجند لمخالفته القانون، وسبب إرادته الحج [وفي هذه السنة] صنف الإمام الطبري الأساطين في حج السلاطين.

[أحداث عام 1032 هـ]

وفي سنة اثنتين وثلاثين وألف توجه حيدر باشا إلى مكة متولياً على اليمن، ونصب له دكه من خشب في المسجد الحرام وصلى عليها، فأنكر عليه العلامة الملا محمد فروخ، ورجمه بالحجارة فتابعته العامة ورجموه فأمر بالقبض على الملا، وعزم على ضربه فسلمه الله تعالى. ثم جمع العلماء والقاضي وأظهر في ذلك عذراً فقبل منه، وحيدر هذا هو صاحب القضية المشهورة مع مولانا الإمام عبد القادر الطبري في خطبة عيد رمضان يتعصب ذلك الخنزير أن لا يباشر خطبة العيد إلا حنفياً، وكان صاحب مكة الشريف إدريس غائباً، ولما لم يجد مولانا الإمام من يأخذ له بيد مات ميتة الجبنه كمدا وصلى عليه خطيب ذلك العيد صبحيه ذلك المشهد رحمه الله تعالى وقد لمح

لهذه القضية السيد الفاضل على معصوم، وترجمه بما هو أهله في كتابه سلافة العصر، فما وصفه إلا بما هو أهله.

وفي هذه السنة توفي شهاب الدين أحمد بن إبراهيم بن علان الصديق الشافعي النقشبندي سلالة الصلحا المقدسين، ونخبة العرفاء المريسين المتفرع من الدوحة الصديقية دوحة العلم والولاية. وفي هذه السنة خلع السلطان مصطفى بن أحمد خان واختالان يؤرخ المهتار تولية السلطان مراد بن أحمد. قل لسلطاننا مراد : تهنا عز ملك سعود علياده.

أرجوه بنصف بيت قديم

جانيروس زنا وأمداده

[أحداث عام 1034 هـ]

وفي سنة أربع وثلاثين وألف تولى ابن أخته الشريف محسن وخلع إدريس وكانت مدة ولاية إدريس إحدى وعشرين سنة ونصف، وانفرد الشريف محسن بالملك وأخرج مسعود بن إدريس إلى نجد وخرج [٥٩/ب] خلفه الشريف محسن فاقتتلا هو وأبوه فطرح مسعود، وإصابة جراح فقطب وطاب.

[أحداث عام 1037 هـ]

[تمرد الشريف أحمد بن عبد المطلب]

وفي سنة سبع وثلاثين وألف ورد من مصر أحمد باشا طالباً اليمن مقام حيدر باشا، لما بلغ السلطان قتله. فلما قرب أحمد باشا في البحر إلى قرب جدة انكسر به مركبه وفيه ما ينوف على ألفي عسكري، وغرق جميع أسبابه في البحر، وكان دخوله جدة في صفر من السنة المذكورة ولا طلع إلا هو وعسكره فطلب الباشا المذكور من خدام مولانا الشريف محسن المقيمين في جدة من يغوص له لإخراج ما فقد له، فجاءوا له بغواصين فغاصوا واستمروا نحو

خمسة عشر يوماً، ولم يظفروا بشيء مما غرق فتخيل أنهم مأمورين من الشريف محسن مع أن الشريف بعث إليه هدية سنية، وأرسل إليه مولانا الشيخ عبد الرحمن المرشدي المفتي بمكة بمكاتب، وأوصى عليه خدامه الذين بجدة فلما استحكم ذلك الخيال من الباشا أنفت نفسه، وشنق حاكم جدة مولانا الشريف محسن القائد راجح بن ملحم الدويدار، وكان من جملة الاتفاقات أن كان بجدة مولانا السيد أحمد بن عبد المطلب، فاستدعاه الباشا وولاه مكة، ونادى له بجدة، وأبان عزل الشريف محسن فقدر الله تعالى موت الباشا المذكور بعد هذه الأيام، وعد الناس ذلك من كرامات صاحب مكة فكتب كيخيه الباشا يوسف أغا إلى حضرة مولانا محسن ويطلب منه عشرة آلاف قرش ليتجهز بها إلى اليمن، قال والبلاد بلادكم فبلغ فعل الكيخيه الشريف أحمد بن عبد المطلب فباطن أغا علوفته. أحمد باشا وهو كور محمود، فاستمال إليه العساكر فقتلوا الكيخيا، ومن بقي من جماعته الشريف محسن بجدة، وأخذوا من التجار الذين في البلاد جملة أموال، وأرسل الشريف أحمد بن عبد المطلب للشريف مسعود يخبره؟ "ما أخذت الولاية إلا لك وأنت أفسد في الأشراف فعامل غالب الأشراف للولاء لأحمد بن عبد المطلب".

فلما بلغ ذلك الشريف محسن خرج لهم إلى قرب جدة، وحاصرهم فطالت المدة وعاد إلى مكة، وكان قد دخل في غيبته الشريف مسعود مكة، واستمال من الأشراف فلما عاد الشريف محسن خرج خلفه من جدة الشريف أحمد بن عبد المطلب ومعه العسكر الجرار وسار من جدة الشريف أحمد إلى مكة سبعة عشر يوماً، ولما وصل التنعيم لأربع عشرة ليلة بقيت من رمضان، خرج مولانا الشريف محسن للقائه إلا أن غالب ومن معه مباطن للشريف أحمد بواسطة السيد مسعود بن إدريس، فالتقى الجيشان ورأى الشريف محسن مخاوزه ومن معه من الأشراف، وكف أيديهم عن القتال، وتحقق انفراكهم عنه ورحل عنهم متوجهاً إلى جهة اليمن [في] الثامن عشر [من] رمضان من السنة المذكورة، ووصل إلى ظاهر صنعاء وأقام بها، ودخل مكة

الشريف أحمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي يوم الأحد [٦٠/أ] التاسع عشر [من] رمضان من السنة المذكورة. وفر من مكة من كان من جماعة الشريف محسن واختفى من اختفى، فمن هرب إلى اليمن الشيخ محمد بن حكيم المالك، فإنه كان ركن دولة الشريف محسن، وممن اختفى من أعيان الأعيان مولانا الشيخ عبد الرحمن بن عيسى المرشدي الحنفي المفتي، مفتي السلطنة العلية، فلما بلغه اختفاؤه حث في طلبه ونادى عليه ببراءة الذمة.

وممن وفد له به فأظهره من أضمره فقتل به ورفع خبره ونهب داره وأخمد ناره، وكان قبضه عليه ليلة الحادي عشر من شوال فحبسه وأخاه القاضي أحمد، وأبكى العيون عليهما، وأكمد، وكان يخرجه كل شهر لحضور ديوانه في أصفاده وأغلاله. قال مولانا الشيخ السنجاري في تاريخه : لقد أخبرني والدي -رحمه الله تعالى-قال: أخبرني أبي: قال: حضرت ديوان مولانا الشريف أحمد بن عبد المطلب صبيحة شهر [ذي] القعدة من العام المذكور، فأدخل الشيخ عبد الرحمن والمجلس محتبك على جاري العادة يوم الهلال، فأقبل يخطر في قيوده كالعروس، ويروم الجلوس على الروس لم تغير صروف الدهر من أخلاقه، ولا نزع حليه الفضل لما لبس من أطواقه. فلما قرب من حضرة مولانا الشريف أنشد بلسان يحكم التصرف والتحريف فقال:

لا تَضَعْ من كريم قدراً أن
كنت مشاراً إليه بالتعظيم
فالعزيز العظيم ينقص قدراً
بالتعدي على العزيز العظيم

ولم يرد الانتهاء ما يراد فالتفت الشريف للحاضرين أن أنظروا إلى جرأته في ثلبي، وقوة جنانه لحربي فجعل عين ذلك المجلس، وهو الإمام زين العابدين

بن عبد القادر الطبري، يعتذر ويحسن التعليل بما قدر فقصره الشريف عن التطويل وقال هيهات إنما قصد من لفظه ما قيل :

ولعَ الخمر بالعقول ورمى الخمر بتبخيسها وبالتحريم ثم قال:

" والله إني لأعلم أنه أفضلكم على الإطلاق قد عنّ لي العفو عنه إلا أنه جاء نكراً إذ جعل نفسه عقلاً، وجعلني خمراً وأمر بإعادته إلى حبسه ولم يزل إلى أن نقله إلى رمسه". انتهى كلام الشيخ علي السنجاري في تاريخه.

وعاثت عساكر الشريف أحمد بن عبد المطلب في مكة حتى حجروا على ذوي الهيئات غلمانهم، وسكنوا الدور وهتكوا الستور، ويدخلون المسجد المكي بسراميجهم فلا يضعون، وصار مولانا الشريف يصادر التجار وأهل الأموال، وخرج بعض الناس من مكة، وأخرص ما أخذ من المال مكان نحو ثلاثين ألف دينار من الذهب، ولما بلغ بكر بيك [مصر] غرق أحمد باشا المذكور وما صنع عسكره، أرسل بكلر بيك الحبشة عابدين باشا بأن يصل إلى مكة، ويأخذ العسكر ويعزم بهم إلى اليمن، ووصل عابدين باشا على جدة وعرف مولانا [٦٠/ب] الشريف أحمد بذلك فعين له الشريف أحمد خمسمائة عسكري لفقهم من عسكر الشريف محسن، فتوجه بهم إلى اليمن كما هو مذكور في البرق اليماني.

ولما كان شهر الحج من السنة ورد الحج المصري وأميره قانصوه فخرج له على العادة إلى المختلع، ولبس خلعة المصري والشامي وصعدوا إلى عرفات وليلة الحادي عشر بلغ الشريف أحمد علي أن الأمراء عزموا على أن يشفعوا للشيخ عبد الرحمن المرشدي، وإطلاقه بكل وجه كان، فبعث من ليلته إلى الحبس، وأمر بقتل الشيخ وأخيه، فشفع وزيره في أخيه لسابق صحبة بينهما فشفعه، وأمر بإطلاقه وقتلوا الشيخ عبد الرحمن خنقاً في تلك الليلة، وغسل وكفن وصلى عليه ثم دفن بالشبيكة ليلته - رحمه الله تعالى -، وبيت المرشدي بمكة المشرفة يتصل نسبهم بأبي حفص عمر بن الخطاب وهم بيت

فضل ومجد وقد ترجم لهذا الشيخ الفاضل السيد علي بن معصوم في كتابه ، سلافة العصر في محاسن أعيان العصر :

" فوصل جد المترجم الشيخ عبد الرحمن من شيراز إلى الحجاز، وتوطنه بمكة المشرفة من بلده شيراز في حدود ثلاثين وتسعمائة، وكان وروده إليها بعد أن وصل إلى الديار الرومية، وخدم سلطانها الأعظم يومئذ ببعض ملفاته، ثم استوطن مكة المشرفة متصدياً للتأليف، والتدريس مع الانقطاع للعبادة، وألف حاشية على تفسير البيضاوي، لم تتم بقية مسودته، وله عدة تعاليق وشروح وحواشي ورسائل، وتفرقت كتبه إلى الآفاق بأيدي تلامذته لصغر أولاده، وكان أصغرهم والد صاحب الترجمة الشيخ عيسى فحفظ القرآن، واشتغل وكتب الخط الحسن، وصار المشار إليه فيه، فجميع ما على أبواب المسجد الحرام، والمدارس السلطانية العظام من الآيات والطرازات خط المشار إليه، تأهل في حدود سنة أربع وسبعين وتسعمائة وولد له الشيخ عبد الرحمن ليلة الجمعة الخامس [من] جمادى الأول سنة خمس وسبعين وتسعمائة، ونشأ بحجر والده، وحفظ القرآن العظيم، وحفظ جملة من المتون، وشرح جملة شروح وأفتى بعد موت شيخه علي بن جار الله على مذهب أبي حنيفة، وانتهت إليه الفتوى بالديار المكية "

فهو الذي انقادت إليه الرئاسة انقياد ذروة طود الجاه الركين لا يقاس به قرين، ولا تطأ السد السري له عرين. إلى أن تولى الشريف أحمد بن عبد المطلب مكة المشرفة، ودخل في حلل ولايتها المفوقه، وكان في نفسه من الشيخ المشار إليه ضغن حل بصميم مهجته، وما ضغن فأمر أولاً بنهب داره وخفض محله.

وفي هذه السنة المذكورة توفي مولانا السيد عمر بن السيد عبد الرحيم البصري الحسيني الشافعي المكي صدر الصدور [٦١/أ] المحافل وندوة العلماء الأماثل، ووسطت عقد العلماء الأفاضل، وعين أعيان السادات الذين يحز

النظير بهم، والمماثل ترجمة غير واحد من الفضلاء الأعيان. وقالوا : إنه فريد هذا الزمان.

[أحداث عام 1038 هـ]

وفي سنة ثماني وثلاثين وألف توفى الشريف محسن بن حسين بصنعاء اليمن ووصل نعيه إلى مكة المشرفة، وأرسل من بلاد الهند الشيخ محمد بن الشيخ أحمد بن حكيم الملك؛ لأنه هرب من مكة من جملة من هرب، من أحمد بن عبد المطلب إلى الهند، ثم عاد في أيام الشريف مسعود فما صدق قبول، وعاد إلى الهند وقطن بها إلى أن توفى في سنة خمسين وألف. وأرسل بكتابه في سنة سبع وأربعين إلى القاضي تاج الدين المالكي شاكياً الغربة بعبارات تصدع معانيها قلوب المخلصين العارفين، وأرسل إليه القاضي تاج الدين المالكي بالجواب الشافي في نظم ونثر.

[أحداث عام 1039 هـ]

[سيل مكة وترميم الكعبة]

وفي سنة تسع وثلاثين وألف وصل الأمير قانصوه والياً على اليمن، في عسكر جرار تنوف على عشرة آلاف، فجاء هو والفرسان من البر والباقون من البحر، وكان قد بلغهم استيلاء المؤيد على اليمن، فوصل في صفر وقيل في العشرين من محرم، وكان أمر السلطان أن ينظر في أمر مكة ويولي فيها من يختاره. فوجهه الشريف مسعود بينبع وطلب منه أن يوليه مكة فوافقه على ذلك.

فأقبل قانصوه وتأخر عنه بقليل الشريف مسعود، فلما وصل قانصوه إلى مكة نصب وطاقه بالزاهر، فخرج لمقابلة الشريف أحمد بن عبد المطلب ليسلم عليه ضحى اليوم السادس من صفر، وقيل يوم الأحد الخامس [من] صفر من السنة المذكورة، وصحبته السيد شبير بن بشير بن أبي نمي، والسيد

محمد بن حسن بن ضبعان، والسيد راجح بن سعد بن كوير، ووزيره مقبل الهجالي، وأمين بيت المال أحمد البشوني، فلما جادهم وطاقه واستوعبهم أحداقه قبض عليهم أجمع، واستغاثوا فلم يجدوا عندهم من يدافع، ثم أمر بخنق الشريف أحمد، وأطلق سراح الباقين بعد الشريف، ثم أظهره للعساكر، وأبانه لكل ظاهر فسعى بحوزة هذه المكانة وبذل فيها جهده، وإمكانه مولانا السيد محمد بن الحارث بن أبي نمي، فلما وصل إلى وطاق قانصوه المذكور وقابلهم مقابله حسنه، وما أسعفه لما طلب المقدور، فعاد مكة وأخلعه ما توهم ثم استدنا الشريف مسعود، وأخلع عليه في اليوم المذكور وولاه مكة فدخلها وصحبته قانصوه.

ثم إن قانصوه صادر أعيان مكة وأخذ منهم جملة أموال، ثم توجه إلى اليمن فيما أمر به واستقل بمدخول جده من العشور، وخرجت من يد صاحب مكة أصالة، ولم تزل إلى أن استرجع مولانا الشريف زيد [بن محسن] نصفها بعد تعب شديد فهي اليوم نصفين: النصف لمولانا الشريف صاحب مكة، والنصف لسلطان وطمع فيها أصحاب الدول حتى صار يجعل فيها من جهت الأبواب [٦١/ب] وزير الوزير صاحب ثلاثة أطواخ، بعد أن كان فيها أمين على جوامك أهل الحرمين، وقصته مذكورة في مختصر البرق اليماني، لمولانا السيد أحمد بن أبي بكر شيخان، وسافر مولانا السيد محمد الحارث معه ثم بعثه إلى سواكن فتوفي هناك - رحمة الله عليه -.

وفي هذه السنة خرج من مكة إلى اليمن نابغة السادات الأشراف في الأدب، وحليف الفضل، ورفيع الرتب، مولانا الشريف أحمد بن حسن بن أبي نمي بن بركات، واجتمع بالإمام محمد بن قاسم صاحب اليمن، وامتدحه بقصيدة، وطلب منه مساعدته على تحصيل مكة له وإبلاغه من تجليته بولايتها أمله بقصيدة مطولة وعارضها غالب فضلاء العصر.

وفي هذه السنة المذكورة - أعني سنة تسع وثلاثين - ليلة الأربعاء لإحدى عشرة ليلة بقين من شعبان المكرم حصل مطر شديد، ونزل فيه برد مالح

شديد الملوحة، وسالت الأودية وخربت دور كثيرة بمكة، ودخل المسجد الحرام السيل إلى أن وصل طراز البيت الشريف، وامتلأ المسجد من التراب ومات أناس كثيرون فضبطوا، فكانوا خمسمائة شخص وتغير ماء زمزم بملوحة شديدة حتى صار لا يستساغ.

وفي ثاني يوم سقط البيت العتيق من جهة الحجر جميعاً ومن جهة الشرق إلى الباب، وثلاثة أرباع الجهة الغربية ولم يبق غير جهة اليمن، وكانت وقعة مهيلة كادت للأحجية تنهب، وداهية دهياء أصابت القاطنين بهذا الحرم فيا الله ما رهب شارف الحطيم لها أن يتحطم وأبو قبيس أن ينفطم، والأبطح يزحف زلزالا ويتقدم، فنزل مولانا الشريف مسعود بنفسه، وأمر بالتنظيف، وأفرز الحجارة بعد أن وقع الميزاب، وما وجدوه من القناديل الذهب المتعلقة وكانت عشرين قنديلاً أحدهما مرصع باللؤلؤ وغيره من المعادن، ووضعت في بيت الشيخ جمال الدين بن أبو القاسم الشيبي العمودي الحجي بعد أن ضبط ذلك بحضرة صاحب مكة، فأخذ إلى منزله بالصفا وهو منزل من أوقاف السلطان مراد علي الحجاب فوضعه في مخزن، وختم عليه بخاتم صاحب مكة مولانا الشريف مسعود، وجعل عليه حراساً كل ذلك قبل الغروب، ولما كان يوم الجمعة أمر مولانا الشريف بالنداء الهام في البلاد بالتنظيف؛ فنزل بنفسه فنظفه العام والخاص، وخطب بالناس في هذا اليوم القاضي فايز بن ظهيرة، وصلى الناس خلفه في المطاف، ولما كان يوم السبت الثاني والعشرون [من] شعبان نزل مولانا الشريف إلى الحرم، وأجمع إليه العلماء، وحضر أعيان الناس وحضر حسين أفندي أغا الشاوش من قبل صاحب مصر محمد باشا، وسأل الشريف العلماء عن عمارة ما هو من [٦٢/أ] الكعبة، فأجابوا بانه من فروض الكفايات على سائر المسلمين، قال الشيخ أحمد بن علان الصديقي في تأليفه :

" الذي ظهر لي أن المخاطب بالعمارة إنما هو سلطان الزمان، وناشر العدل والأمان سلطان الإسلام والمسلمين -وكان إذ ذاك السلطان مراد خان

-أعزه الله - . فراجعت بعض الفقهاء المفتين ، وعرضت عليهم ما يؤخذ منه ذلك وأبى الرجوع فرجعت عما رأيته من الرأي الموافق، وألفت الرسالة المسماة : بنشر ألوية التشريف بالإعلام والتعريف عمن له عمارة ما سقط من البيت الشريف. واتفق أن مولانا الشريف أمر بتغيير السؤال المكتتب لأمر اقتضى ذلك ، فغير بعبارة أخرى وكتب الجماعة كما كتبوا أولاً ، وكتبت عليه والمخاطب بهذا الغرض أي عمارة الكعبة الغراء سلطان الإسلام المكرم مولانا السلطان مراد خان ، ثم نائبه مولانا الشريف والله الموفق "

قلت للعلامة بن حجر المكي في هذا الشأن : المناهل العذبة في إصلاح ما وهى من الكعبة. قال الشيخ المذكور: وبهذا السؤال وما معه من العروض أرسل إلى صاحب مصر صحبت أحمد الجاوش جماعة خمسين أغا ومعه علي النويري سنجق دار اليمن، وكان خروجهم من مكة يوم الإثنين الرابع والعشرين من شعبان، وفي هذا اليوم دخلوا باضماد البقر وشرعوا في حرث المسجد .

وفي يوم الأحد عاشر رمضان ورد من مصر أغاه، ومعه علي النويري سنجقدار اليمن، وأخبر بوصول الأغا رضوان بيك معمار على المسجد وأنه خلفه، فدخل رضوان بيك ومعه السيد هيزع، ومعه قفطان لمولانا الشريف، وذلك ليلة الجمعة الخامس والعشرين [من] رمضان. انتهى كلامه، وجعل أخشاباً على دائرة البيت الشريف، وألبس من فوقها ثوباً أخضراً حتى جاء الأمر بالعمارة والناس يطوفون به على هذه الحالة، وللإمام فضل بن عبد الله الحسني الطبري مؤرخاً.

سُئِلتُ عن سيلٍ أَتَى
والبيتُ منه قَد سَقَط
متى أَتَى قلتُ لهم
تاريخُه كان غَلَط

ومن قول مولانا الإمام فضل (أخذ) حسين الينبعي وقد أفحش في الأخذ :

لا غرو أن الذنب أوجب ما جرى
مما أرى ورايتــه مني فقط
فأخذت في تـاريخه من هـجره
وحسبته فوجدت صحته غلـط

ومن البديع في تاريخه: إن الله على كل شيء قدير.

[أحداث عام 1040 هـ]

وفي سـنة أربعين وألـف ورد مـكة رضـوان بـيك الـمعمار، وصـحبته السـيد محمد أفندي قاضي المدينة، وقد عينا لذلك فخرج للقائهما السيد عبد الكريم بـن إدريـس بـن حـسن، وكان وروده لـيلة الأحـد الـسادس والعشرين مـن شـوال ومعهما قفطان لصاحب مكة الشريف مسعود بن إدريس، وكان الشريف يشتكي وهو بالمعابده في بستان أحمد بن يونس، فطلعوا إليه بالقفطان وألبسوه ثمة.

وفي الثامن والعشرين [من] ربيع الثاني تـوفي الشريف مسعود، ودفن بقبة السيدة خـديجة بنت خـويلد - رضى الله عنها - لـرؤيا رآهـا فأوصى بذلك وكان الشريف مسعود من خيار الملوك وأعـزهم، وقد امتدحه الشيخ الـعلامة عـبد الـعزيـز الـزمـزمي بـقصيدة [٦٢/أ] قـليلة الـوجـود وضـمَّنها تـاريخين ومـدحـه الشعراء . فـولي مكة مـولانا الشريـف عبدالله بن حسن بن أبي نمي بإجماع من الـسادة الأشراف فخـلع عـليه رضـوان بـيك. وقـال مـولانـا علي بـن محيي الـديـن الطبري في رسالة سماها : الأقوال المعلمة في وقوع الكعبة المعظمة.

ولـما كـان يـوم الـسـبت الـثالـث عشر [مـن] جـمادى الأول حضر مـولانـا الأفـنـدي الـمذكـور، ورضـوان بـك الـمعمار والـمعلم علي بـن شـمس الـديـن الـمهندس المكي والـمعلم محـمد بـن زيـن الـديـن وأخـوه الـمعلم عـبد الـرحـمن

فعرض عليهم بناء الكعبة فالتزموا بناءها على وجه الكمال فسجل القاضي ذلك عليهم، ثم ذكر المعلم محمد بن زين أن مراده نصب أخشاب حول البيت، ويجعل عليها ستور يمنع من مشاهدة الهدم، فاختلف رأي الحاضرين فمنهم المبيح والمانع، وانفض المجلس على الاتفاق على نصب الستائر، وكان ممن أفتى بالجواز الشيخ خالد المالكي، والشيخ عبد العزيز الزمزمي الشافعي، وغيرهما ثم وقع اجتماع ثاني بالحطيم مع جملة من الأعيان المذكورين، وسئل مولانا الشريف عبد الله بن حسن في هدم الجدار اليماني فإنه كان قائماً، فدار الكلام ثم اقتضى الحال الإشراف عليه من خلف الخشب، والإشراف على بقية الجدران فأشرف غالب الجماعة، ومعهم مولانا الشريف، ونصب المعلمون الميزان فوجده خارجاً عن الميزان قدر أربعة أذرع، ودار القول في هدم بقية الجدار الشرقي والغربي، ثم ينظر في اليماني، فإن زاد في الليل هدم وإلا فلا وانصرف الناس على ذلك الرأي بعد أن سجل ذلك.

وبعد يومين من هذا المجلس رفع سؤال إلى العلماء مضمونه : " إذا شهد المهندسون بخراب الجدار اليماني هل يهدم أم لا ؟ " ، فأجاب الشيخ شهاب الدين بن حجر صاحب التحفة ما لفظه : " من الواضح المبين أن ما وهى وتشقق منها في حكم المنهدم والمشرف على الإنهدام فيجوز إصلاحه بل يندب، بل يجب ".

و قال الحلبي بعد ذكر هدم:

" وأن الحق أن الكعبة لم تبن جميعها إلا ثلاث مرات: المرة الأولى بناء إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام. والثانية بناء قريش، أي: وكان بينهما ألف سنة وستمائة سنة وخمسة وسبعون سنة. والثالث بناء عبد الله بن الزبير وكان بينهما نحو اثنين وثمانين سنة: أي وأما الملائكة وآدم وبناء شيت لم يصح. وأما بناء جرهم والعمالقة وقصي فإنما كان ترميماً ".

وفي ضحى يوم السبت الخامس والعشرين [من] جمادى [الأولى] فتح مقام إبراهيم ووضعت فيه الكسوة الشريفة، وفي يوم الأحد السادس والعشرين [من] الشهر واصلوا في الهدم إلى باب الكعبة المشرفة فرفعوا الباب الشريف، ووضعوه في بيت السيد محمد أفندي شيخ حرم المدينة.

وفي يوم السبت الثاني عشر [من] الشهر [جمادى الآخر] دخلوا الكعبة ونظروا إلى الركن الذي فيه الحجر الأسود، وجاء المعلم محمد بن زين الدين فوزن الحجر الأسود والذي فوقه فوجده ناقص قدر ثلاثة قراريط تقريباً، وما في الجدار من أسفله في محله وما أعلاه مائلاً إلى داخل البيت فاقتضى رأي المعلم محمد شمس الدين لعدم ذلك كله، وأنه لا يبقى من بناء ابن الزبير شيء. فمنع من هدم [٦٣/أ] الجدار اليماني ثم اقتضى الحال أن يهدم ما عدا الحجر الأسود.

فلما كان يوم الثلاثاء التاسع [من] شهر رجب عند طلوع الشمس حضر ناظر العمارة من قبل السلطان الأعظم مراد خان، وهو السيد محمد أفندي بن محمود أفندي الأنقوري قاضي المدينة والأمير رضوان بك المعمار وأغا جده مصطفى أغا، وجاء النجارون بأخشاب وستروا بها ما حاذى الحجر الأسود، لئلا يصل إليه أحد من الناس فيمنعهم العمل ثم أخرجوا الحجر الأعلى ونقلوه إلى محل آخر، وأخذ المعلم عبد الرحمن بن زين الدين بأصبع الحديد ما طاف بالحجر مما كان عليه من الفضة والجير، والخارج [منه] يتلقاه مولانا السيد محمد بن الشريف عبد الله صاحب مكة بمحرمة في يده فبينما هم كذلك فإذ الحجر الأسود منشطراً نحو ثلاث شظايا من وجهه وتفارقت منه وكادت أن تسقط،فعند ذلك حضر مولانا علي بن بركات، فلما رأى ما هاله من الأمر الشديد الذي هال ذوي الإيمان وأزعج أهل الأيقان قال: " يا أُمة الإسلام إن أُخرج الحجر تفرقت أجزاؤه، ولا والله يقدر على ضمها أحد، ويترتب على ذلك ضرر تام، وأصلحوا هذا الذي انزعج منه " ، فقال المعلم بن شمس الدين : " الحجر الذي عليه الحجر الأسود بارزاً، وفي بقائه خلل لأنه ركن البيت وعليه

عتبة الباب "، فقال مولانا السيد [علي بن بركات بن حسن] : " يقدر بعتق ما هو أكبر من هذا الحرم يمكن عتق الحجر الذي عليه الحجر الأسود " ، وما زال بهم - جزاه الله خيراً - حتى أمر ناظر العمارة باتباع قوله، ثم رعوا في إصلاح ما تكسر منه، وإلصاقه إلى آخر ما ذكره الشيخ محمد بن علان في رسالته المتعلقة بالحجر الأسود، وملخص ذلك أنهم أصلحوا ما خرج منه بعد تعب كبير، وكان تمام ذلك آخر عمله كان ليلة الجمعة بعد مضي نصفها وأحضر السيد محمد بن عبد الله، وشيخ الحرم المكي، وبعد تمام العمل رفعوا الخشب المانع من تقبيل الحجر، وأسفر الحجر عن محياه، وقبل من كان حاضراً من المسلمين وحياه.

وفي اليوم السادس والعشرين [من] شعبان وصلت قفاطين لمولانا الشريف عبد الله قفطان من صاحب مصر، خلعة مبطنة وقرئت المراسيم بالحطيم، فألبس الشريف الأمير رضوان بك قفطان. وأصلحوا جميع ما كان في المسجد، وفرشوا بالحصى وما هل هلال [ذي] القعدة وبقي في المسجد شيء.

وفي الحادي عشر يوم الخميس [من] ذي القعدة اتفق رأي مولانا الشريف عبد الله بن حسن وسائر الأشراف أن يقسموا مداخل البلد كلها بينهم ثلاثة أثلاث، لصاحب مكة وأولاده محمد، وأحمد، وزيد بن محسن، وأولاد الشريف إدريس، ومبارك بن بشير، وعسكر الشريف الثلث، والثلث الثاني لسائر بني حسن، والثلث الثالث للسيد علي بن بركات وآل بشير، وآل ثقبة، وآل حراز، وآل أحمد.

وفي الثاني [من] شعبان حضر مولانا الشريف وجماعة من الأعيان لرد باب الكعبة وجعل بعض الفضلاء قصيدة وضمنها تاريخ العمارة للكعبة وكان تمام القصيدة :

حاد لمأتمه بمراد

شيد بيت الله تاريخ عامه

وكذلك أرخه مولانا القاضي تاج الدين المالكي بأبيات فيها التاريخ :

مراد بنى بيت الإله وزاده
سناء بها يزهي به زاد مجده

[أحداث عام 1041 هـ]
[وقعة الجلالية]

وفي سنة إحدى وأربعين وألف في صفر قلد [٦٣/ب] شريف مكة الشرافة لولده محمد، وأرسل إلى اليمن في طلب مولانا الشريف زيد بن محسن ابن الحسين بن الحسن بن أبي نمي بعد أن توفى والده الشريف محسن هناك، كما سبق ذكره وأخبره أنه يريد أن يشركه مع ولده فوفد عليه فأشركه معه في النصف، ولما أراد النداء في البلد لابنه محمد، وابن أخيه زيد تعب من ذلك السيد علي بن بركات هو ومن معه من الأشراف أن يمنعوه من النداء الآن بلغهم أن الشريف عبد الله يريد أن يجعل محصول آل بركات للشريف زيد، فكادت أن تقع فتنة فتداركها كبار الأشراف وأبقوا ثلث البركات، ونادى منادي: أن البلد بلد السلطان، والشريف محمد بن عبد الله، وزيد بن محسن فيها مناصفة، وتخلى مولانا الشريف عبد الله عن الأمر إلا أنه يدعى له على المنبر معهما إلى أن توفي في بستان جان بك بالمنحنى ليلة الجمعة العاشر [من] جمادى الآخرة من السنة المذكورة.

وصلى عليه ودفن بالمعلاة - رحمه الله - في قبة والده الشريف حسن، فكان مدة ولايته تسعة أشهر وثلاث أيام، واستمر الشريفان محمد وزيد شريكين، وفي هذه السنة في أواسط ربيع الثاني توجه إلى الروم مولانا أحمد بن مسعود بن حسن قس بني حسن في الفصاحة ونابغة أهل الزمان في البلاغة، قاصدا الملك الأعظم، وصاحب التخت الأفخم مولانا السلطان مراد. فورد

على القسطنطينية مقر ملكه، وامتدحه بقصيدته الميمية يسأله فيها تولية مكة المشرفة، فأنعم مولانا السلطان مراد لمولانا أحمد بالمطلوب، وما علم ما خفى له في المكتوب.

وفي السنة المذكورة السابع [من] جمادى وصل من البحر الأمير دولار بيك ومعه خلعة سلطانية، فطلع مكة ثاني يوم خروجه من البحر، فدخل مكة ونزل مولانا الشريف محمد بن عبد الله والشريف زيد بن محسن إلى الحطيم، وحضر الأشراف والفقهاء، وأرباب المناصب فألبس الشريف محمد خلعة السلطان، وبعدها خلعة الباشا ثم ألبس الشريف زيد الخلعتين، وقُرئ مرسوميهما فقاما وطافا على جاري العادة وصعد إلى منازلهما للتهنئة، ونزل الأمير دولار إلى جدة.

وفي يوم الأحد السابع عشر [من] رجب دخل مكة السنجق المعزول مصطفى بيك من جدة، ودخل من الحجون ضارب النوبة خلفه وأنزلوه في مدرسة الباسطية، واجتمع بالشريفين في منازلهما وأتيا إليه وكان رجلاً عظيماً صالحا فأقام بمكة ثم نقل إلى مدرسة الداوودية.

وفي آخر هذه السنة كانت وقعة الجلالية. قال الإمام محمد الطبري في تاريخه : "إنه لما كان العشر الأولى من شعبان وصل [إلى] مكة أخبار من جانب اليمن بأن عسكرا خرجوا على العزيز قانصوه باشا، وأنهم قاصدون مكة ثم ورد مورق من القنفذة يخبر بوصولهم إليها، ومعهم مكاتيب لمولانا الشريف محمد الشريف زيد وكتاب لمصطفى بيك المقيم بمكة من كور محمود السابق ذكره في قصة الشريف أحمد بن عبد المطلب وعلي بيك. "

وملخص ما في الكتب أن مرادنا الوصول إلى مكة ثم إلى مصر فكتب إليهما الشريف بعدم الإذن فلما كان يوم الجمعة [٦٤/أ] العشرين [من] شعبان خرج مولانا الشريف محمد بن عبد الله ومولانا الشريف زيد بن محسن، ومن معهم من الأشراف وخرج معهم مصطفى بيك المقيم بمكة إلى بركة ماجن عند

قوس المكاسة أسفل مكة مستعدين للقتال لأنه بلغهم أن الأتراك وصلت السعدية.

فلما كان يوم الأربعاء الخامس والعشرون [من] شعبان وقع اللقاء بين العسكرين هناك، فحصلت ملحمة عظيمة، وقتل فيها صاحب مكة الشريف محمد بن عبد الله، وجماعة من الأشراف منهم أحمد بن حراز، والسيد حسين بن مغامس، والسيد سعيد بن راشد. وأصيبت يد السيد هزاع بن محمد الحارث.

وقتل من الجماعة نحو المائتين، وقتل من جماعة السنجق غالبهم ثم إن الأشراف رجعوا بالشريف محمد بن عبد الله عصر ذلك اليوم ودفنوه بعد أن صلوا عليه (عند أبيه) في المعلاة - رحمه الله - وكانت مدة ولايته سبعة أشهر إلا سبعة أيام. وتوجه من نجا من الأشراف إلى جهة وادي مر الظهران بعد أن قاتل مولانا الشريف زيد قتالاً شديداً.

فبعد تمام الوقعة دخلت الأتراك مكة، ومعهم مولانا نامي بن عبد المطلب فنودي له بالبلاد وأشرك معه عبد العزيز بن إدريس بن حسن في ريع مكة لكن بلا شعار أعني الدعاء في المنبر، وأرسلوا إلى أمير جدة دلاور بيك بأن يسلمها إليهم فمنع من ذلك وتقوى بعسكر ورد من سواكن وحاصروا البلاد فتجهز إليه الشريف عبد العزيز، وكور محمود وحاصروا الأمير دلاور. ثم دخلوا جدة، ونهبوا بيت الأمير دلاور وأخذوه وأهانوه وضربوه ثم أطلقوه مجرداً منهوباً ونهبوا غالب البلاد وتجار جدة.

وأقام فيها كور محمود، واستمر الشريف نامي بمكة وطلع كور محمود من جدة بعد أخذها من دلاور يوم الحادي عشر [من] رمضان فبرز للقائة الأمير علي بيك، ودخل ونزل على الشريف نامي بمكة ودخل المسجد الحرام ثم خرجوا مع الشريف ينادون له في شوارع مكة إلى أن أعادوه إلى بيت الشريف حسن، وطلع معه أكابر العسكر، ثم تفرقوا إلى غالب بيوت الأشراف [كبيت] الشريف محسن، والسيد علي بن بركات وبقية البيوت وعاثت العسكر بمكة،

وصادر الشريف نامي بعض التجار، وقتلت العسكر مصطفى بيك بعد أن رجع إلى منزله إلى الداوودية، وغلق بابه فجاؤوا وقتلوه، وفرّ العسكر الذين كانوا بمكة إلى جدة، ومنها إلى سواكن.

ولما كان أثناء شهر [ذي] القعدة أشيع أن صاحب مصر بعث أربع صناجق مع جريدة بخلعة إلى مولانا زيد بن محسن، وكان بعد الوقعة، توجه إلى المدينة المنورة فصادف في بدر السيد علي بن هيزع متوجهاً إلى مصر فكتب معه إلى صاحب مصر، فوصل السيد علي إلى مصر، وأخبر الباشا المذكور فيما وقع [٦٤/ب] بمكة من الجلالية. فجهز الباشا ثلاثة آلاف عسكري وعين معهم خمسة صناجق، وهم الأمير قاسم بيك، والأمير يوسف، والأمير رضوان بيك، والأمير علي بيك صاحب الصعيد، والأمير عابدين بيك وسافروا [براً وجهز أيضا من طريق البحر] عليهم محمد بن سويدان قبطان السويس مع خمسمائة عسكري ثم أرسل بقفطان سلطاني إلى المدينة المنورة لمولانا الشريف زيد بن محسن مع الأغا محمد الرومي، وأمر بلبسها والتوجه إلى ينبع، وملاقاة العسكر المنصورة، ولاقا العسكر وسار معهم إلى أن وصلوا الجموم نحو ثلاثين خيالا وعشرة هجانة، ووصلوا الوادي ليلا. وقد نزل العسكر المصري فشعروا بهم فلحقتهم الخيل وقتلوا منهم ثلاثة عشر خيالا وخمسة من الهجانة، وفر الباقون إلى مكة. فأتوه وأخبروه بما هالهم. فلما تيقن ذلك خرج ومن معه من الجلالية ومعه أخوه السيد بن عبد المطلب والسيد عبد العزيز بن إدريس من مكة لأربع خلون من ذي الحجة بعد صلاة العصر متوجهين إلى تربة محل بالشرق وتحصنوا بها.

[أحداث عام 1042 هـ]

وفارقهم في أثناء الطريق السيد عبد العزيز بن إدريس، وتوجه إلى ينبع وكان بمكة مولانا السيد أحمد بن قتادة بن ثقبة بن مهنا، فنادى في البلاد للسلطان فقروا الناس واطمأنوا، وعس بنفسه تلك الليلة وبعث بتعريف مولانا

الشريف زيد بخلو البلاد، فلما كان وقت شروق الشمس من يوم الخميس السادس [من] ذي الحجة دخل الشريف زيد والصناجق معه، ونزل بدار السعادة، ونادى المنادي له وحج الناس ولما قضوا مناسكهم، ودخلت سنة اثنين وأربعين وألف توجه العسكر والأشراف مع الشريف زيد إلى تربه لثلاث عشرة ليلة بقين من ذي الحجة بعد مجلس عقده للمشاورة خلف مقام المالكي حضره غالب الصناجق والأشراف، واتفقوا على الخروج فخرجوا فوصلوا إلى تربه فحاصروا الجلالية المتحصنين بها نحو عشرين يوماً، ثم احتالوا عليهم وأرسلوا إلى علي بيك وكان قريباً إلى الخير، وأفهموه أن قصدهم العسكر لأجل فعلهم، وأمنوه على نفسه ومن يصل معه إليهم فخرج إليهم من الحصن وصحبته جماعة كور محمود فهجم عسكر السلطان على الحصن ودخلوه وقتلوا غالب من فيه من الجلالية، ومسكوا كور محمود، والشريف نامي وأخوه السيد، وجاء الخبر إلى مكة فزينت مكة سبعة أيام ثم قدموا إلى مكة.

وكان دخولهم الحصن ليلة الجمعة الحادي عشر [من] محرم ودخلوا مكة يوم الأربعاء السابع عشر [من] المحرم، فاستفتوا بمكة على قتل الشريفين نامي وأخيه، فأفتوا بقتلهم فشنقوا الشريفين بالمدعى في روشنين متقابلين. وذلك في يوم الخميس الثامن عشر [من] المحرم الحرام، وأمر الصناجق بتخريق سواعد كور محمود، وأشعلوا فيها شاميات، وأركبوه جملا وداروا به البلاد ثم كسروه وعلقوه بالجميزة التي بالمعلاة تحت سبيل السلطان سليمان - القانوني - وبقي حياً إلى آخر النهار؛ فأنزلوه وقتلوه وأحرقوه وذروا رماده في الهواء، وأما رفيقه علي بيك فإن الصناجق أوفته بما [٦٥/أ] قالت من الأمان، فتوجه بعد الحج إلى البصرة، وجاء خبر موته بعد سنة، وتخلف الأميرين المصري، والشامي إلى أن رجع العسكر من تربة وتوجهوا جميعاً أواخر [شهر] صفر.

وكانت مدة ولاية الشريف نامي مائة يوم ويوم عدة اسمه. ونظم المهتار هذه اللطيفة فقال هذين البيتين :

تَأمَّلْ لدنيــاكَ التي بِصِروفَها
أبـادة على مَلَكٍ تَوطَّد سامـي
بَدا وأضاءَ ثم ابتدى الحقّ فانقضى
فمدة نامي عدة أحرف نامــي

واستقل بإمارة مكة صاحبها بلامين السامي الجدين محبوك المجد من الطرفين مولانا الشريف زيد بن محسن بن الحسين ولد بعد مضي درجتين من شروق يوم الإثنين السابع عشر [من] شعبان المكرم من شهور سنة [ستة] عشر وألف من الهجرة بأرض بيشة، وأمه أم ولد تسمى قوت النفوس. [فهو كما قال مولانا القاضي تاج الدين بن أحمد المالكي في صدر رسالة ألفها له ما نصه] :

" لكنه السابق وإن تأخر زمنه الفائق الذي طاب معدنه، وفي معارج السعد وامتطى بأخمصه فرق الفرقدين حتى علا وحل سناء ذرا المجد وسلك أحسن المسالك مجتليا عروس السؤدد على تلك الأرائك مع إقبال على العلماء من ذوي البيوت، ومحبة لهم دائمة الثبوت حتى عكفوا ببابه، ولاذوا بجنابه، وخدم التأليف والتصانيف العديدة "

ومدح بالشعر المصنع البديع المشتمل على بديع البيان، والتصانيف الفائقة، والشعر الرائق، مولانا فضل بن عبد الله بن محمد الطبري بديوان سماه الأدب البين في مدح مولانا الشريف زيد بن محسن ونظم باسمه كتاب سماه : سلوان المطاع في عدوان الأتباع للشيخ بن ظفر.

وفي السنة المتقدمة المذكورة غزا صاحب مكة صبح فرقة من حرب في جبل لهم شامخ بشام العرب من نواحي بدر فسار إليهم، ونصره الله عليهم؛ فطلع إلى أقصى الجبل، وغنم منهم أموالاً لا تعد، فصالحه أهل السهل بالسلاح والمال وأخذ منهم ورجع منصور اللواء.

[أحداث عام 1045 هـ]

[عمارة سقف الكعبة]

وفي سنة خمس وأربعين وألف ورد المعمار رضوان بيك لعمارة سقف الكعبة وكان مولانا الشريف عرض في ذلك الخلل أخبره به المهندسين إلى صاحب مصر، وعرض صاحب مصر إلى الأبواب العلية فجاء الأمر بإصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح وأن يجدد باب الكعبة، ويرسل [بالباب] العتيق إلى الأبواب [السلطانية] .

فلما وصل المعمار المذكور إلى مكة عقد مجلساً بالحرم الشريف وحضره قاضي مكة الشيخ أحمد البكري وقاضي المدينة حنفي زادة والأمير رضوان بيك المعمار، ونزلا مولانا الشريف [زيد بن محسن] وحضر فقهاء مكة، وقرئت سورة الفتح، وبعد الختم قاموا إلى الكعبة، وأشرفوا على ما ذكر وشرع المعمار المذكور في عمله أوائل محرم من السنة المذكورة فغير الباب بعد نزع الأول، وتحلية الباب الثاني بتحليته، وكتب على الجديد اسم السلطان مراد وركبه في محله يوم الخميس العشرين من رمضان بعد أن حمل من بيت ابن عتيق، والعلماء تحفه إلى أن وصل إلى الحطيم، ووضع بين يدي مولانا الشريف، ثم صعدوا به، وشرعوا في أركانه، وفرغوا منه عند غروب الشمس من ذلك اليوم، وأخذوا في فرش المسجد بالحصى وفرش سطح الكعبة الشريفة بالرخام الأبيض، وأصلحوا المماش وما فيها من الممرات بالنورة وأتموا بناء المقام الشريف كل ذلك في الشهر المذكور في مدة يسيرة والحمد لله الذي به تتم الصالحات.

وفي هذه السنة وقع [٦٥/ب] الفناء في الخيل، وسمته العلماء أبا مشفر، وفنيت الخيل حتى لم يبق بمكة إلا فرساً واحداً لمولانا الشريف زيد، وصار الأشراف يركبون الحمير ....

[أحداث عام 1047 هـ]

وفي موسم سنة سبع وأربعين وألف توجه الأمير رضوان بالباب العتيق إلى الأبواب العلية، وفيها غزا مولانا الشريف زيد بن محسن بن سعد غامد وتلك النواحي ولما رجع أرخ سيدي علي بن عبد القادر الطبري الواقعة بقوله:

أخذنا غامداً وبها أنـارت
لنا طرق السبيل إلى المجاهد
فسيف عدتنا المغمود قهرى
وعام الفتح بالتاريخ غامـد

[أحداث عام 1049 هـ]

وفي سنة تسع وأربعين وألف حج بشير أغا الطواش من مماليك السلطان مراد بن أحمد خان، وكان عنده بمكانة، وبيده دستور مكرم بتصرف بكل ما أراد من عزل وتولية، فلما دخل مصر خرج للقائه صاحب مصر إلى خارج البلد فلما نظر إليه ترجل عن فرسه، وسار إلى أن قبل ركبته ومشى إلى أن أمره بالركوب؛ فدخل مصر وطار الخبر بما وقع لمولانا الشريف زيد فأخذته أنفة قريش وهمة علية، وأقلقه ما ورد عليه من الخبر وحدوث هذه العبر فعزم على الخروج من مكة ليكون [عدواً له] في عدم اللقاء وكره التنزل بعد الارتقاء. ولما تزايد به الوارد قصد مولانا عبد الرحمن بن أحمد المغربي الزناتي الشهير بالمحجوب وكان له فيه عقيدة وذكر له ما خطر بباله وزاد في بلباله فقال له السيد عبد الرحمن :

" دع عنك هذا فالله يكفيك من أذى ذلك، وأطب نفسا فما يقع إلا الخير ولله التدبير "

فاعتمد على قوله لعلمه بجلالة السيد واستبشر بحصول سئوله، فلما أن وصل بشير أغا إلى رابغ المرحلة المعروفة التي بينها وبين مكة ثلاث أيام أتاه نجاب بخبر وفاة مولانا السلطان مراد، فبطل ما بيده من الأحكام وصار كأحد الناس بعد أن كان رئيس الحكام، وجاء الخبر إلى مولانا الشريف بالتأييد أن مولانا السلطان توفي في أوائل شوال، فولى بعده مولانا السلطان إبراهيم خان بن أحمد خان أخو مولانا السلطان مراد خان، فورد بشير أغا مكة فلاقاه مولانا الشريف زيد من الزاهر وهو كأحد الرعية، وأبى الله أن يذل البضعة الهاشمية، واستمر إلى الحج ورجع من حيث جاء، ويقال إن مولانا الشريف لما طرقه خبر هذا الوارد تكدر عليه الموارد فبات ليلته مفكرا في أمره، فأخذته سنة في النوم فرأى رجلا ينشده هذا البيت [٦٦/أ].

كَأنْ لَمْ يكُنْ أمرٌ وإنْ كَانَ كَائنٌ
لكَانَ به أَمر نفى ذلك الأمر

فقام وهو يحفظه وأخبر بعض أصحابه وشاع ذكر البيت فسمع محمد بن أحمد الأنس اليمني الشاعر، حج في هذه السنة المذكورة فمدح مولانا الشريف زيد بقصيدة ضمنها هذا البيت فصادف من مولانا الشريف قبولا، فأجازه بألف دينار وبلغه مأموله وهذه القصيدة:

سلوا آل نعيم بعدنا أيها السفر
إعندهم علم بما صنع الدهــر
تصدى لشت الشمل بيني وبينها
فمنزلي البطحاء ومنزلها القصر
لاني ونعمــا لاهيين ففالنا
فشلت يد الدهر الخؤون ولا عذر

وهي قصيدة مطولة ما لنا في إيرادها حاجة والملوك لهم إقبال.

[أحداث عام 1050 هـ]

وفي سنة خمسين وألف توفي الشيخ تاج الدين زكريا المعروف بتاج الدين بقية القوم الأولين والأخاتمة، الذي عليهم في طريق أهل الله المعمول مقام الولاية والأنفس وسالك الوادي الذي ينادى سالكه من شاطئه الأيمن أنك بالوادي المقدس ذي القدم الراسخ الثابت، والمقام الشامخ الذي دونه فلك ثواب، خلاصة الأخرى ولب اللباب من السادة الأبرار ذي الكرامات الكثيرة، والخوارق الجليلة الخطيرة، وضريحه الشريف برباطه المعروف برباط الشيخ تاج نحو باب العمرة مقابل حمام الباشا محمد وزير السلطان سليمان، والزقاق الذي به القبر يأخذ بك إلى جبل ولياً وإلى هناك طريق إلى الجبل غيره - رحمه الله تعالى - ، ونفعنا بعبادة الصالحين.

[أحداث عام 1052 هـ]

وفي سنة اثنين وخمسين وألف ورد إلى مصطفى بيك سنجقية جدة وهو أول سنجق تولاها .

[أحداث عام 1053 هـ]

وفي سنة ثلاث وخمسين وألف وقع سيل عظيم بعرفة في يوم الوقفة، واستمر من الظهر إلى المغرب، ولما نفر الناس عاقهم السيل المعترض من تحت العلمين عن المرور، ومنعهم من النزول، واستمر الناس وقوفاً إلى شيء من الليل، فكأنه خف فقطعه الناس مع غاية المشقة.

[أحداث عام 1056- 1057 هـ]

وفي سنة ست وخمسين وألف وردت على مصطفى بيك مشيخة الحرم مضافة إلى سنجقية جدة، وفي هذه السنة ورد بشير أغا متولياً مشيخة حرم المدينة فجاء إلى مكة، وطلع إلى الطائف للتنزه مع سنجق مصطفى بيك في أوائل سنة سبع وخمسين وألف في أواخر ربيع الثاني فطلع معه إلى الطائف، واستمر إلى أن أهل رجب من السنة المذكورة فنزل مصطفى بيك إلى بيت الله من طريق كرا، فلما وصل إلى النقب الأحمر هناك مضيق ظهر له رجل يقال له أحمد الجعفري من قبيلة يقال لها هذيل وكان قد صحب السنجق وخدمه ويعرف به [وألفه] فأقبل عليه هناك وصحبته شاب آخر فلما قرب منه وحياه، قال للشاب: قبل يد سيدك وكان على جانبه الأيسر فأعطاه يمينه فضربه الجعفري من جانبه الأيمن بجنبية في وسطه قطع بها أمعاءه [وكلاه] وأقام عليه ثكلاه فلما صاح قال له رفيقه : " السرا وطلعوا [بين الجبال] لا تدركهم الخيل ولا الرجال وتلاحقه أصحابه وقد فارقت روحه إهابه. " وذلك يوم التاسع والعشرين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ودخلوا به مكة غرة رجب ودفنوه بالمعلاة بالقرب [٦٦/ب] من تربة السيدة خديجة - رضي الله عنها - . وقد أرخ وفاة هذا السنجق المرحوم مولانا الإمام فضل الطبري:

أي خطب خطب الحمراء بالأحمر ليلا
أي صبح شمر البين عليهم فيه ذيلا
رأينا بالرزء في القوم أمير كان قيلا
قال أرخ أي سنجق عز الله رحمة أيلا

وفي هذه السنة المذكورة توفي الشيخ محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد علان الصديقي، صدر صدور المدرسين، وبقية السلف المكرمين لحق بالأوائل، وعرف العلم بالدلائل وتفنن في الفضائل، وأصبح كل عظيم عنده

متضائل، وكان للعم شجرة يكاد زيتها يضيء، ويقال في ظلها، وبقي حتي لقد شبه بالحافظ السيوطي بضياء السبيل في ألم التنزيل، وله رؤيا الصالحين، وشرح الأذكار، وشرح الإيضاح للنووي وغير ذلك، وقبره بالمعلاة - رحمه الله تعالى - .

[أحداث عام 1058 هـ]

وفي سنة ثمان وخمسين وألف توفي السلطان إبراهيم بن أحمد خان العثماني، وولي السلطان محمد خان بن إبراهيم خان، وكانت سلطانته ثمانية أعوام مدة إبراهيم خان، ومنذ تولى السلطان محمد، وهو محاصر للنصارى عجل الله نصره. أرسل بخلع التأييد لمولانا الشريف زيد أيده الله تعالى، فامتدحه الإمام مولانا فضل الطبري بقصيدته الميمية عارض بها قصيدة أحمد بن مسعود.

[أحداث عام 1059 هـ]

وفي سنة تسع وخمسين وألف، رحل مولانا الشريف زيد لزيارة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وأرخ ذلك العام الشيخ درويش بن مصطفى بن قاسم الطرابلسي نزيل المدينة المنورة بقوله :

قد سرت من مكة لغزو
والله بالفتح قد مدك
وطالع السعد حين وفا
لقمع أعدائك قد أعدك
تاريخ درويش جاد فيه
بالنصر يازيد زرت جدك

[أحداث عام 1060 هـ]

وفي سنة ستين وألف وقع حرب غيطاس الرضواني مع مولانا الشريف زيد. وملخص ذلك أن غيطاس هذا كان أحد مماليك الأمير رضوان بيك الفقاري أمير الحاج في سنة ثمان وخمسين، فحصلت منافسة بين مولانا الشريف زيد والأمير رضوان، فحقد عليه رضوان المذكور، وكتب فيه إلى الأبواب فأجيب، فخرج بعزل مولانا الشريف زيد في موسم تسع وخمسين وألف، وتقفاه صاحب مصر أحمد باشا بعرض إلى لأبواب، وأفهمهم أن ذلك لا يكون إلا بعد مشقة كبيرة، وطلب أن يعاد الشريف [زيد] إلى حاله فأجيب إلى ذلك، وجهز قاصداً بأمر السلطان ناسخاً للأمر الأول الذي بيد الأمير رضوان، وأمر القاصد بالجد في السير لإيراد هذا الخبر، فوصل المدينة في نحو ثلاثين يوماً، وأرسل صاحب المدينة بالمقاصد على طريق الساحل لئلا يظفر به غيطاس بيك، فوصل مكة فحضر الشريف، ولبس قفطانه بالحطيم، وكتبت الأتراك إلى رضوان بيك فدخل وقد زاد ما أضمره على مولانا الشريف [زيد]، وحج ورجع وهو جاهد في هوى نفسه راجيا من يومه ما لم ينله من أمسه فأخذ لغيطاس المذكور سنجقية جدة، وقد توطأ مع الشريف عبد العزيز بن إدريس أن يوليه مكة، فوصل الشريف عبدالعزيز إليه إلى جدة، فألبسه ونادى له في جدة، وخرج هو وإياه متوجهين إلى مكة، فلقيهم الشريف زيد [٦٧/أ] بخريق الموال بالقرب من النوارية وذلك يوم الخميس أحد عشر [من] ربيع الثاني من السنة المذكورة، فلما التقوا كان الظفر لمولانا الشريف زيد، وانكسر الأمير غيطاس ومن معه وعاد هو والشريف عبد العزيز معه إلى جدة، ورجع مولانا الشريف زيد إلى مكة، ثم رجع عبد العزيز بأمان من الشريف إلى بلده، وأقام بين طوائفه وتلاده.

وفي هذه السنة عزل غيطاس بيك عن جدة، فلما سمع بذلك الشريف عبد العزيز نزل إليه مواسيا له، فتوجه إلى مصر، وأخذ معه الشريف عبد العزيز، وبأرض مصر توفي عبد العزيز بعد مدة.

[أحداث عام 1061 هـ]

وفي سنة إحدى وستين وألف أعطى غيطاس إمارة الحج المصري فوصل مكة ورحل منها ولم يحدث منه شيء.

[أحداث عام 1063 هـ]

وفي سنة ثلاث وستين وألف هدمت قبة الفراشين الكائنة بالمسجد الحرام، وعمرت على ما كانت عليه الآن.

وأرخ عام عمارتها مولانا القاضي تاج الدين بقوله :

انظر الحسن قُبةً جَدَّدها
مُؤسسا فخر الملوك الأمجد
وقل إذا أرخت عام كان
في أثنائه بناؤها المشيد
عمرها سلطاننا محمد
الملك السامي العلي الأوحد

وأرخها مولانا الشيخ أحمد بن عبد الله بن عبد الرؤف بقوله:

يا أيها العاكف إن رمت
ازدياداً في الشهود
فانظر إلى قبة قد
أحل في برج السعود
وقد أتي تاريخها
بيتا كدر في عقود

شيـدها سلطـاننا

محمد شمس الوجـود

[أحداث عام 1066 هـ]

وفي سنة ست وستين وألف توفي القاضي تاج الدين المالكي بن أحمد بن إبراهيم المالكي الإمام العالم العلامة قدوة العلماء، والحكماء والفقهاء والفقراء بالبلد الحرام، شمس أضاءت وسماء على الدنيا فاء قاضي القضاة خطيب الخطباء، وأوحد الأئمة مفيد العلماء عمدة الطالبين لسان المكلمين صدر المحافل إذا عقدت اعترف بسؤدده، واغترف منه بيد وكفاك فشهد له الأضداد بالفضل في العباد ، قال العلامة قطب الدين الحنفي :

" كان القاضي تاج الدين عقلا مجسماً ورأي صوابا محضاً وله فضل تام وفكر صائب . "

توفي القاضي المذكور وله من العمر نحو ثمانين سنة، وبيت المالكي متصل نسبهم بالأنصار، وهم بيت فضل وإمامة وخطابة، وقد ترجم له السيد على معصوم في السلافة. وقال ما صورته :

" في القاضي تاج الدين بن أحمد المكي المالكي فاضلا طوى على الفضل أديمه، وأديب نشأ به من الأدب حديثه وقديمه، واستخدم من الكلام حره ورقيقه، وأصبح هو القاضي الفاضل على الحقيقة.

طلعت شمس محتدة من المغرب، وطارت بنظيره عند كمال بدره عنقا مغرب، فلم يكن في آخر الوقت من علماء الحرمين من يجاريه أو يباريه، فأقر بوحدانيته في الأدب لسان القلم وهو باريه، وكان إمام المالكية بالمسجد الحرام، ومرجعهم في مسائل الحلال والحرام، وقد رأيته بمكة شرفها الله وهو كافوري الشعر مسكي الثنى يبهر العيون والقلوب سناء وسناء ولم يزل في جاه وجيه، وعز لا يقنط مرتجيه حتى وافته [٦٧/ب] منيته، وانقطعت من الحياة أمنيته فتوفي في سحر يوم الخميس لثمان مضين من شهر ربيع الأول عام ستة

وستين وألف، وحضرت الصلاة عليه، وشيعت جنازته مع جمع أكابر مكة المعظمة إلى مدفنه، ودفن بالمعلاة عصر ذلك اليوم . "

[أحداث عام 1070 هـ]

[حصول الغلاء بمكة]

وفي سنة سبعين وألف حصل بمكة غلاء شديد وسببه حدوث جراد وعقبه وباء عظيم عم الأرض.

وكان بمكة العلامة الشيخ محمد البابلي، فأشار على مولانا الشريف زيد بن محسن بترك التسعير، فنادى منادٍ بذلك فأظهر كل من عنده شيء وهون الله تعالى.

وفي هذه السنة توفي مولانا علي بن محي الدين الطبري، أدر الله عليه سحائب المغفرة والرضوان وأقر محله أعلى غرف الجنان.

[أحداث عام 1071 هـ]

وفي سنة إحدى وسبعين [وألف] توفى مولانا السيد محمد باعلي ودفن بالمعلاة عند قبة السيدة خديجة - رضي الله عنها - .

[أحداث عام 1072 هـ]

وفي سنة اثنين وسبعين [وألف]، توفي مولانا الشيخ عبد العزيز الزمزمي، عالم نحرير وعلامة شهير بقيت نسج ذلك الطراز الأول، والجيل الذي لا يتغير حاله المحمود ولا يتحول جمال المدرسين، ومفيد الطالبين. قيل : إنه ولد بعد وفاة مولانا الشيخ بن حجر المكي [الهيتمي] بثلاثة أعوام ونشأ بالبلد الحرام حتى صار يشار إليه بالبنان في مقام التبيان.

[أحداث عام 1073 هـ]

وفي سنة ثلاث وسبعين وألف يوم السبت بعد الظهر السابع [من] شعبان المكرم، أمطرت السماء مهيلا فسالت منه الشوارع، ودخل المسجد الحرام فبلغ أعلى القناديل، وبات تلك الليلة إلى الصباح، وغرق فيه ستة أنفس.

فلما طلعت الشمس نزل مولانا الشريف زيد بنفسه وأمر بفتح مسرب السيل من باب إبراهيم، فنزل الماء إلى أسفل مكة، وباشر بنفسه الشريفة حال التنظيف فاقتدى به العلماء، ونظفوا الحرم الشريف، وغسلت الكعبة ظاهرا وباطنا، ثم أدخلت ثاني يوم من التنظيف الحمير والبقر لحرث الأرض، وحمل ما فيه من التراب والطين، وأرخ هذه الواقعة مولانا السيد أبي بكر بن سالم شيخان:

قد أرسلَ اللهُ الرياحَ اللواقحا
بَسْط السحابِ فَحل وبلا وكافا
في سابع والسبت شعباننا
بالمسجد الطوفان أمس عاكفا
ولعامه أن رمت قلت مؤرخا
بالبيت حاط وبات سيل طائفاً

وأرخ ابنه مولانا السيد أحمد بن أبو بكر:

قهقة الرعد عندما ابتسم البرق
فأبكى الغمام قطر المياه
وأذاب القلوب بالخوف والرعب
فويل لغافل القلب لاه

ورأينا طوفان نوح وبالموت قطعنا
لولا حنـان الإلـــه
إن ثقل أو ضخن فسابع شعبـان
وسبت اليـوم سبـت ميـاه
أو ثقل عامه المهيـل فـأرخ
بات سيل يطـوف بالبيـت داه

ولما تم تنظيفه شرع المعمار سليمان بيك في ترميم ما تخرب، وأخبره المهندسون أن خشبةً انكسرت من سقف الكعبة فاقتضى الحال كشف السقف وإزالة تلك الخشبة، وعمر السقف عمارة جديدة، وأحاطوا بالكعبة سقائل الخشب من الأرض إلى السطح، وستروا على المعلمين [٦٨/أ] بالخصف من خارج السقائل إلى أن تم الكل قبل الحج.

وأرخ هذه العمارة محمد بن إسحاق العطار :

زهى مسجداً فاقَ المساجدَ كُلَّها
بتضعيف أَجر العاملين كما رُوى
بتعميرِ سُلْطانٍ هُمـامٍ مُقدم
أذَل أَعادَ اللهُ فالكـلُّ ما أرعـوى
وأيـَّدَ ديـنَ الله أيَّد مُلـكَه
ولا دال للعليا مَدى الدهرِ مُحتوى
فيا سائلاً تـاريـخ عام بنـائه
فَخَدعُـةُ بيتاً إلى آخره الروى
مُحمَدٌ السلطان دامَ له العُـلا
بَنى المسجدَ المَكِيَّ بساعدِهِ القوى

ولم يزل مولانا الشريف زيد موطد السلطان مشيد البنيان إلى أن دعاه مولانا فأجابه ولباه، وتوفى ضحى يوم الثالث [من] محرم الحرام سنة سبع وسبعين وألف، فكانت مدة ولايته خمس وثلاثون سنة وشهراً وأيام.

ولمولانا السيد هاشم الإزاري مؤرخاً لموت مولانا الشريف زيد معارضاً مرثية أبي الحسن محمد الأنباري في نصر الدولة.

وأهل الأرض من كل الجهات ... جدير بالرعيـــــة والرعـــــاة
بدمع كالسحائـــــب هاطلات ... لفقد مليك أهل الأرض تبكي
كبحر في الشجاعـة والهبات ... وتسقي تربة ضمت مليكاً
وقـــــام بفرضه والواجبات ... لتقوى الله شمر ذيل زيد
تحـــالها قيـــامـــاً للصلات ... وسن على العفاة المال حتى
تدفق من يديه إلـــى الصلات ... وما هذاك إلا بحر جود
على طول الحياة وفـي الممات ... مليـــــك لا يمـــــاثله مليك
أراد الســـــوء لا بالمرهفات ... بلحظ يزجر الإنسان مهما
تكـــلم بالوصيـــة والعظـات ... وإن يرد التكلم وسط جمع
لإلفـــاء الأمور المخفظات ... وهذا شأن أهل الخير حقًا
وسل عنه ظهـــور العاديات ... فسل عنه أكابر كل حي
والسمريات الطـوال الذابلات ... وسل عنه سيوف الهند
وطـــود شـــامخ للشامخات ... فينبيك الجميع بخير ملك
وغـــــوث للطـــريد وللعفات ... وذخر للأرامل واليتامى
ولا يصغي إلى إفك الوشات ... وكهف لا تغيره الليـــــالي
له في القلب وقع الباترات ... لقد مات الشريف وذاك رزء
من الأرزاء كنت من الفدات ... ولو كانت حياة المرء تفدى
له رفقاً بحاوي المكرمات ... ولما طلعوه النعش قالوا
لزيد في الجنان العاليات ... ولما أرخوه مقام عـــز
يسير بالرضا في السالفات ... علمنا أن ذا فأل عظـــــيم
وقلب صـــــادق بالمنجيات ... فلازمنا الدعاء برفع كف
فراثاً سائغاً يوم الهبات ... سألت الله أن يسقيك مـــاء
وتمدح في النعيم مع الثقات ... وتكسى في الجنان ثياب خز
وتستمتع بحور عابدات ... وتنشق من رياحين زهر
ويسكنك الجنان الزاهرات ... ويخدم الجميع على تمان
وإخوان وسادات سرات ... ويحفظ من تولى بعد زيد
مقصر للأمور الواجبات ... على إني وإن أرثيت مولى
كمين مثل حزن النائحات ... ولكن لازم المملوك حزن
وساعده ورجع بالشكات ... فباح لسانه بالنوح والقلب

[٦٨/ب] وكان رديف ملكه وواسطة ملكه مولانا السيد حمود بن عبد الله بن الحسن بن أبو نمي. وكان بمكة إذ ذاك عماد أفندي ناظر الحرمين وشيخ حرم مكة وأمين جدة، فتفاوضوا بينهم ورأوا أن ابنه أحق بها، وكان الموجود مولانا الشريف سعد وهو أصغر أولاده، فألبسوه فولى مكة الشريف سعد بن زيد ونودي له بها، فنفرت السادات الأشراف، وانحازت الأشراف إلى بيت السيد حمود، وكادت أن تقع فتنة بسبب ذلك.

ولم يبق مع الشريف سعد إلا جماعة وهم السيد راجح بن قايتباي، وعبد المطلب بن حمود، ومضر بن المرتضى، والحسن بن يحيى، وفارس بن بركات بن حسن.

وترددت المراسيل من الجانبين إلى أن اقتضى الرأي كل واحد يرسل من جانبه إلى الأبواب عرض حال، فمن أراده السلطان ولاه فجاء الأمر بالتأييد للشريف سعد بن زيد بمراسيم وقفطان، فلبس مولانا الشريف سعد، وجلس للتهنئة وكان يوماً مشهوداً، ورفع مولانا الإمام فضل بن عبد الله الطبري أبياتا عزى بها مولانا الشريف سعد :

عَجيب جمعنا الضِّدين كُـل
لمولانــا مهنيه معزي
ومَا قَلْبُ اِمْرئ الوفـاةِ زيـدٌ
يَرى الأجيادَ وهُـو مُرزى
وَوُلِّى سعدُ في يوم الثلاثاء ثلاثُ
محرَّم عـام [1077هـ]
عَزَا وألبسَ للخلافة ثوبُ مُلْكٍ
مُدثر خلعة حيكت بخـز
وأَطبقتِ الجُنود وكُلَّ شخصِ
يُنَادِي غَير سَعد لَيسْ يُجـز

ولمولانا الشيخ أحمد بن الشيخ قاسم الخلي :

مات كهف الورى مليـك ملـوك
الأرض من لم يزل مدى الدهر محسن
فالمعاني قالت لنا أرخـــوه
قد ثـوى في الجنان زيد بن محسن

[أحداث عام 1078 هـ]

وفي سنة ثمان وسبعين وألف أرسل مولانا الشريف حمود ومولانا السيد أحـمد الـحارث ولـديـهما أبـا الـقاسـم ومحـمد صـحبة أنـبك بـيك أمير الـحاج المصري بـعد عـوده مـن الـحج إلى مصر، ومـعهم هـدية سـنية يـعرض إلى عـمر باشا صاحب مصر.

فلما وصلوا إليه أكرمهم، وأبقاهم عنده، وكان الباشا قد أرسل قاصدا إلى مـكة، بـمكاتـيب تـتضمن الأمـر بـالإصـلاح بين الأشراف، وأن يـتفقوا وتـجتمع كلمتهم، فأبطأ القاصد، وأشيع في مصر أن الأشراف قتلوه فاغتاض لذلك، وأمر بـحبس مـن عـنده مـن الأشراف، وذلـك في جـمادى الآخـرة وجـيش تجـريـده إلى مـكة خـمسمائـة عـسكري، وجـعل عـليها سـنجقاً يسمى يـوسـف بـيك مـتولى مشيخة الحرم عوض عماد أفندي السابق ذكره، فخرج صحبتها جماعه [٦٩/ أ] من المصريين رغبة في تحصيل الصوم بمكة فاجتمع معهم نحو ألف إنسان من التجار وغيرهم .

ولما وصلوا إلى ينبع اعترضهم مولانا السيد حمود، وكان بعد أن رحل عن مكة نزل ينبع، وأرسل للسنجق القادم من مصر إن كان أولادنا صحبتك فأقبل، وإذا لم يكونوا صحبتك فلا تأت؛ فإن إخوانهم وجماعتهم من الأشراف قالوا لا نتركه يتعدى.

فأقبل عليهم ولم يكترث بقولهم، فقدم عليهم ففتكوا به وبمن معه من العساكر والحجاج وأبادهم عن آخرهم، وكانت وقعة هائلة، واستولى على أموالهم وما معهم، وقبض على السنجق المذكور وحريمه وأولاده وقال : " هؤلاء رهائن بمن في مصر من السادات الأشراف . "

وكانت الوقعة في يوم الأربعاء الرابع عشر [من] شهر رجب، وأصيب فيها من الأشراف جماعة، وقتل فيها السيد بشير بن أحمد بن عبد الله بن حسن، والسيد سرور بن حسن بن عبد الله، والسيد لباس بن عبد المنعم بن حسن. وأما محمد بن زيد فشهدت له الأضداد فإنه فعل ما كان يفعله جده علي بن أبي طالب عليه السلام وسلمه تعالى. ولم يزل السنجق عندهم إلى أن مات بين أيديهم.

وفي يوم الأربعاء التاسع عشر [من] رجب وصل خبر ما صار على السنجق ومن معه إلى مكة، فجهز صاحب مكة عسكراً وأمر عليهم بلال أغا تابع والده، وبعثه إلى ينبع، فحس به سيدنا حمود، فوسع إلى جهة الشرق واستولى بلال أغا على ينبع وأقام.

وأما صاحب مصر إبراهيم باشا فإنه لما وصل إليه الخبر بالقتل وما وقع على السنجق يوسف بيك ضيق على الشريفين المحبوسين عنده، واستفتى في قتلهم فلم يجبه أحد من علماء مصر بذلك وقالوا له لا يثبت شيء مما فعلوه جماعتهم، واستمر إلى أن عزل إبراهيم باشا فأتى حسين باشا المسمى بالجنبلاط متولياً مصر، فأخرجهما من ذلك الضيق وأنزلهما في منزل نقيب الأشراف، وجعل عليهما حارساً فارتقب مولانا السيد محمد الحارث فرصة فنجا بنفسه، وبقي السيد أبو القاسم بن السيد حمود إلى أن توفي في شوال إحدى وثمانين وألف بالطاعون.

وأما السيد غالب بن زامل، فما وصل معها إلى مصر بل رجع من المويلح لأنه عزم صحبتهم، ثم إن حسين باشا جهز سبع صناجق وأمر عليهم محمد جاووش، وأعطاه سنجقية جدة، وتوجهوا طالبين مكة فواجهه بلال أغا من

ينبع وأبقوا العساكر ببدر، وأقبل هو والصناجق ودخلوا مكة يوم السابع [من] ذي الحجة، وصحبتهم قفطان لمولانا الشريف سعد، فنزل إلى المسجد وقرئت مراسيمه، ولبس القفطان وحج الناس، ثم بعد الخلوص من الحج أظهروا أمرا بخروج صاحب مكة إلى السيد حمود ومن معه من الأشراف فأجابهم إلى ذلك، وخرج صحبتهم إلى ينبع، وكان خروجه يوم الخميس السادس عشر [من] [٦٩/ب] ذي الحجة، وأقام أخاه مولانا السيد أحمد بن زيد نائباً عنه في مكة ، ووصلوا ينبع فجمعهم وأفهمهم أن الشريف حمود فارق هذه الجهات واتصل بمواضع لا يوجد فيها الماء، وتخشى المشقة، وأمرهم بالعود إلى مصر وأفهمهم أنه قصده يجمع جمعاً من العرب، ويلحقهم أينما كانوا والتزم لهم ذلك، فتوجه العساكر إلى مصر لما قفوا عاد الشريف إلى مكة.

وفي هذه السنة كان بمكة غلاء شديد وفيها توفي مولانا زين العابدين ابن محي الدين الإمام عبد القادر الطبري، عمم الله بغيث الرحمة ثراه، وأسكنه من الخلود أعلاه.

[أحداث عام 1079 هـ]

وفي سنة تسع وسبعين وألف في سادس ذي الحجة ورد على مولانا الشريف قفطان من جهة الأبواب على فرو فألبسه، وطاف به على جاري العادة.

وفي هذه السنة ورد على الحج الشامي باشا كبير الخطر انزعج منه مولانا الشريف سعد وسلم الله تعالى، ولم يحصل منه خلاف.

[أحداث عام 1080 هـ]

وفي سنة ثمانين وألف وقع سيل عظيم [في] الثالث [من] شوال، وبلغ إلى باب الكعبة فنزل مولانا الشريف سعد، وأمر بفتح سرداب باب إبراهيم ونظفه العامة.

[أحداث عام 1081 هـ]

وفي سنة إحدى وثمانين وألف طلب مولانا السيد أحمد بن زيد من أخيه مولانا الشريف سعد أن يكون شريكاً له في مكة فوافقه على ذلك فأعرضا إلى الأبواب فأجيبا إلى ما طلبا فصار يدعى لهما على المنابر المكية.

وفي موسم هذه السنة عند ورود أمير الحج [المصري] إلى مكة خرج إليه مولانا الشريف سعد، وأخوه الشريف أحمد، فأخلع عليهما بالزاهر ووصل مع الأمير الشامي خلعتين أيضاً، وهذا أول قفطان سلطاني لبسه الشريف أحمد. وحج حسن باشا في هذه السنة [وقد تأهب بوافي اهبة. فلما انفرغ من تعريفه ناوياً النحر رمي برصاصه] بعد العصر من يوم الثلاثاء ثالث يوم من أيام منى يوم النفر الأول عند جمرة العقبة، وهو واقف للرمى، فأصيب في فخذه، وطاح من فوق الفرس فاحتمله عسكره ووضعوه في التخت ونزلوا، به وقتلوا من واجهوه من صنف العرب في طريق منى إلى أن وصلوا به إلى الباسطية موضع سكنه، وبلغ مولانا الشريف الخبر فنزل بمن معه من الأشراف لابسين الحديد، فلما وصل إلى المعلاة عدل عن نزوله المعتاد، ونزل من سوق الليل، ونزل إلى بيته، واعتدت عساكر حسن باشا للحصار، وجعلوا المدافع على باب السدرة، وباب الباسطية ومن جهة باب الشبيكة وجهة سويقة واقتضى الحال تحريز مولانا الشريف أيضاً، ولم يزل الحال هكذا إلى الصباح فجمع مولانا الشريف الأمراء وأخبرهم أن هذا الأمر لم يكن به خبر، وقد وقع ذلك والله أعلم بفاعله.

[أحداث عام 1082 هـ]

وفي أول سنة اثنين وثمانين وألف توجه حسن باشا مع الحج المصري جريحاً إلى المدينة، وبها ولى إمارة مكة مولانا السيد أحمد الحارث، ونودي له بالمدينة ودعي له بها على المنبر. وفي هذه المدة وصل قاصداً من الأبواب العلية إلى مكة بعزل [٧٠/أ] حسن باشا وطلبه، وصحبته قفطان لمولانا

الشريف سعد، وكان الشريف سعد بينبع فأرسل من يومه مولانا الشريف سعد نجاباً إلى المدينة يخبر بعزل حسن باشا وطلبه إلى الأبواب فتوجه حسن باشا من المدينة على طريق غزة، وعد ذلك مكيدة فخانه وكانت وفاته على مرحلتين من المدينة، وكان أهل المدينة قد عرضوا أمورا جرت من الشريف سعد منه وصحب العرض محمد بن ظافر. فذهب بن ظافر بأسباب حسن باشا إلى غزة، ثم إلى مصر إلى أن قيل إنهم أرسلوا بثوب حسن باشا الذي ضرب فيه بدمه إلى حضرة الوزير، وأكثروا الأقاويل، وكان الشيخ محمد بن سليمان هناك، وكان في نفسه من الشريف سعد شيء فوجد للكلام طريقاً وأبدى وجداً وتأسفاً وشفوقا فعند ذلك أمر الوزير الأعظم بإخراج أمر سلطاني إلى [صاحب] مصر أحمد باشا بتجهيز ثلاثة آلاف عسكري من مصر إلى مكة وكتب إلى صاري حسين باشا صاحب حلب أن يحج في هذا العام بألفي عسكري، وينظر في حال الحرمين، ولا يبرم أمرا دون إشارة الشيخ محمد بن سليمان المغربي وأمر الشيخ بالحج وإصلاح البلد، وتولية من يرى فيه الصلاح، وجعل إليه أمر ذلك. فلما كان الثالث [من] شوال ورد من مصر متولى سواكن، وأخبر بتجهيز العسكر إلى جهة الحرمين وكثر الهرج والمرج ولما كان يوم الثاني والعشرين من شهر ذي القعدة ورد مكة محمد شاووش بنحو ثلاثة آلاف عسكري، ونزل في جرول خارج الشبيكة، فخرج إليه الوزير، والحاكم بهدية من حضرة الشريف سعد في جملتها فرس عربية بزينتها وكذلك الشريف أحمد بن زيد فشكر فعلهما، واستخبر عن مجيئ هذا العسكر فلم يخبرهما وقال : " لا علم لي، وإنما جهزت بهذه العسكر إلى مكة " ، وقيل لي : " يصل إليك صحبة الحاج الشامي حسين باشا، وأن الأمر إليه وأمرني صاحب السعادة باشا مصر ألا أدخل البلد بهذا العسكر. "

وفي اليوم السابع وردت كتب من المدينة من الشيخ محمد بن سليمان المغربي إلى مولانا الشريف سعد كتابة مضمونها التعريف بوصوله صحبة حسين باشا فلما قرأ مولانا الشريف سعد كتابه أمر القاضي إمام الدين

المرشدي يتلقى المشار إليه وأرسل معه كاتب الجراية محمد شلبي بن مصطفى بن محمود.

وفي اليوم الثالث من ذي الحجة بعث مولانا إلى محمد شاووش أن يرتفع عن طريق العرضة هو ومن معه من العساكر يوم خروج الشريف إلى لقاء الأمير فامتنع من ذلك فعند ذلك ظهر لمولانا الشريف غرضه.

وفي اليوم الخامس من ذي الحجة، ورد الأمير المصري أزبك بيك وانتظر مجيء الشريف للخلعة، فلم يأته فأرسل يسأل عن سبب التأخير فأخبره مولانا الشريف بامتناع محمد شاوش عن الترفع عن طريقه فأرسل يؤمن مولانا الشريف، فامتنع إلا برهائن فأرسلوا له بعض الأغوات رهائن [٧٠/ب] فعند ذلك خرج مولانا الشريف من طريق الحجون هو وأخوه الشريف أحمد، والأغوات تحت فرسه، ونزلا إلى الزاهر، ولقيا أمير مصر وألبسهما خلعهما ورجعا. وهذا أول الاختلاف فإنه لم يعهد من صاحب مكة أنه خرج للقاء الأمير من الحجون، فلما وصلا إلى منزلهما أطلقا الأغاوات فعادوا إلى العسكر. وفي هذا اليوم أرسل مولانا الشريف سعد قاصداً إلى البيضا من جهة اليمن بأمر الأمير فرحان صاحب حج اليمن بالعود من هناك وأن لا يدخل مكة. فرد الحج من البيضا وكان بصحبة الحج إبراهيم بن صالح المهتدي أحد شعراء صنعاء، فجعل القصيدة يحرك بها الإمام إسماعيل إمام اليمن على القتال ويطمعه من أن يأخذ مكة فأجاب عليهما السيد هاشم الأزرازي، فلا بأس بسرد القصيدتين وإن كانتا كالحملتين لما نحن بصدده قاصدين فنرجع للمقصود.

ولما كان اليوم السادس من ذي الحجة ورد الشيخ محمد بن سليمان مكة، وبصحبته القاضي إمام الدين بن القاضي أحمد المرشدي والجمال محمد بن مصطفى كاتب الجراية وحسين المسيري، فاجتمعوا بمولانا الشريف سعد، فسألهم عما رأوه وفهموه من حسين باشا فأخبروه أنه لا قوة ورأوا منه غاية الكمال وسألوه عن العساكر المصرية فقال : " ما عندي علم بهم وإنما أمرت بالخروج مع الحاج الشامي وحفظه من العرب. "

ولما كان نهار السابع من ذي الحجة ورد مكة ونزل بالزاهر إلى الليل ودخل الطواف ليلة ثمان [من ذي الحجة] بعد أن أرسل له مولانا الشريف هدية سنية، فرس محلاة تسوى ألف دينار وكذلك بعث إليه أخوه الشريف أحمد، وخرج الشريف للقائه تلك الليلة بعد صلاة المغرب، فالتقيا بالمعلاة وتصافحا على خيولهما وأظهر الفرح بلقائهما وأبدى له من الخضوع ما تقر به العين وهو مضمر ما أضمر شمر للحسين.

وأمر مولانا الشريف بالتقدم وتأخر عنه في السير ولم يزل إلى أن وصلا إلى باب السلام، فقال لمولانا الشريف، تأذن لنا أن نشرب عندكم قهوة. فأذن له مولانا الشريف ودخل الحرم وطلع الشريف إلى دار السعادة، ثم أن الباشا طاف وسعى ودخل بعد المسعى إلى دار الخواجة محمد الكركيه، وكان [قد] نزل بها رئيس الكتاب الذي حج في هذه السنة واستمر عنده إلى ثلث الليل ثم خرج من عنده، وطلع إلى الشريف واستمر عنده إلى نصف الليل مظهراً لمولانا الشريف غاية اللطف والمؤانسة، ويستدعي الحديث بأنواع المجانسة. فخرج من عنده وقد عول على ما عول [عليه] فأركبه مولانا الشريف فرساً آخر ظهر لذلك بشرى.

ولما كان يوم الثامن من ذي الحجة خرج مولانا الشريف سعد وأخوه أحمد للقائه على جاري العادة إلا أنه ترك عسكر اليمن في الدار خشية الاغيار، وطلع من الحجون كخروجه بالأمس أخوف ما يكون. فإذا بالباشا قد جمع عسكره بالعسكر المصري.

قال مولانا الشريف :

" فأخذت عن ذلك منهم حذرى، وعلمت أنه أمر بيت بليل، وقد أجمعوا على الحرب والويل. "

فخلص هو وأخوه بعسكرهما إلى سعة واختاروا رابية مرتفعة وتوجه من جانب الشريف لطلب [الخلع] الحسين بن يحيى فأرسل بأمرهما بالوصول إليه

لشرب القهوة، فأجاب مولانا الشريف سعد بأن ما جرت بهذه عادة، وشرب القهوة في غير هذا المحل فأرسل يقول :

" إن هذا فيه تعظيم لأمر السلطان ولكم منا الأمان [٧١/أ] وإن لم يكن منكم الوصول إلينا فلا خلع لكم لدينا "

فثنى الشريف وأخوه [أحمد] عنان خيلهما راجعين وفي القتال طامعين فلما رأى الباشا فوت ما أراد وحيل بينه وبين المراد، أرسل خلف الشريفين الخلعتين منشورة وأبقى هنالك الشورى في الأمر إلى بعد ذلك وصعدوا إلى عرفات وفي قلب الباشا من الشريفين جمرات.

وفي ساعة الوقفة ما وقف الشريفين على القانون، بل استمرا في وطاقهما إلى أن خليت عرفة وفي قلب الباشا النار، ثم أنهما ركبا إلى الموقف المعظم، واستمر من عفو الله الأعظم ثم نفر بعد ذلك إلى منى بقوة جنان لا يطرقه إنسان.

ولما كان ثاني يوم النحر أبطوا عليهما بخلعتي الاستمرار والمرسوم المتضمن بقاء الشرافة على الأدوار، فأرسل الباشا في طلبهما ليلبسهما وأضمر الغدر بهما وأكثر في طلبهما فأرسل يعرفهم مولانا الشريف سعد أن القواعد جرت بإتيانه إليه فمنعوا وألحوا عليه فلما علم الخيانة سرا مع أخيه وجماعته تحت إذيال الرجا فأصبحت العساكر لا ترى إلا الخراب جامعة بين فوات المطلوب وذل الاغتراب. ولله در المتنبي حيث قال :

كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بينَ الحُجُونِ إلى الصَّفا
أَنيسٌ ولَمْ يسُمِرَ بِمَكَّةَ سَامرُ

وكان خروجه هو وأخوه ليلة الإثنين الثالث عشر من ذي الحجة. فمدة هذه الولاية كانت ستة أعوام إلا واحداً وعشرين يوماً.

فاجتمع الباشا حسين وأمين الصرة وكاتب الديوان ومحمد جاووش في منزل الشيخ محمد بن سليمان بمنى واستدعوا مولانا الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم، وأظهر الباشا أمرا بتولية مكة للشريف بركات، وألبسه القفطان الوارد المعهود إلباسه لصاحب مكة في منى وحضر المجلس مولانا السيد أحمد الحارث ومولانا السيد بشير بن سليمان، وكانت قد وصلتهم كتب من الوزير الأعظم من صاحب مصر بالتوصية والمعاونة.

فولى الشريف بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبى نمي وذلك يوم الإثنين الثالث عشر [من] ذي الحجة. ونزل في العساكر المصرية مختلعاً إلى منزله دار أبيه المعروفة به وجلس للتهنئة إلى صلاة الظهر وهنأه بعض المحبين قلت لقد أجاد في التورية فلله دره وهنأه السيد هاشم الأزراري بقوله :

مَتىَ يَشفِى عَليلُ الحُبّ قَلبَه
وأحدقُ المُهـاة أَخذنَ لُبَّه
مَتىَ يَرعى نجومُ الليلِ دَأبَا
كَأَّن له عليها بعـضَ حُبِّـه
يهَيِّجُه الحمـامُ مَتىَ تَغَنَّى
عَلَى فَنَنٍ دُجى فيزيدُ رَغبـهِ

وفي قصيدة طويلة نخشى بإيرادها الخروج من المقصود.

وفي يوم الأربعاء التاسع والعشرين من شهر ذي الحجة اجتمع مولانا الشريف بركات وكبراء العسكر وحسين باشا في منزل الشيخ محمد بن سليمان المغربي؛ فأظهر بيده أمر سلطاني يتضمن نظره في أمر الحرمين الشريفين وإصلاحهما والتصرف في أحوالهما فأذعن له بذلك مولانا الشريف بركات ومكنه من زمام التصرف.

[أحداث عام 1083 هـ]

وفي سنة ثلاث وثمانين وألف خرج حسين باشا متوجهاً إلى بلاده ومحل ولايته يوم الأحد الثالث [من] المحرم بعد صلاة العصر [٧١/ب] خرج معه مشيعا له مولانا الشريف بركات إلى الزاهر.

وفي يوم الإثنين الرابع [من] المحرم الحرام أخرج الشيخ محمد بن سليمان أمراً يتضمن إخراج من كان في الخلاوى الموقوفة ممن له بيت يأويه وعيال كخلاوى قايتباي والشرابيه ونحو ذلك فخرجوا.

ولما كان يوم الخميس السابع [من] المحرم ألبس مولانا الشريف بركات الخواجة زين العابدين حميدان خلعة الوزارة. وفي هذا اليوم ورد مكة مولانا السيد حمود بن عبد الله بإذن من الشريف [بركات] والشيخ محمد وحسين باشا ثم إنه اختار سكنى الطائف فتوجه وأقام بها.

وفي الثالث [من] صفر من هذه السنة أمر الشيخ محمد أن تدهن السواري التي يقرها طط سلطان مصر من الجراكسة بإبطال الحسبة والمكوس وعوض عنها صاحب مكة الحسن بن عجلان، مالاً من بيت المال. وكذلك ما يقره قايتباي ومن الشريف محمد بن بركات بإبطال ذلك. فدهنت بالدهانات الملونة ليظهر هذا الشعار، ولما كان ليلة الثاني عشر من شهر المولد الشريف أُمر بترك الدفوف الشيخ محمد بن سليمان ومُنع من ذلك أهل الزوايا. فمنهم من امتنع أصالة منهم أتباع الشيخ عمر العرابي والعمودي و[باقي الزوايا] خرجوا بلا دفوف إلى المسجد.

فائدة :

قال العلامة ابن جار الله الظهيري الحنفي بعد ما ذكر في هذه الليلة والكلام فيه :

" لم أقف على أول من فعل ذلك يعني هذا الشعار بمكة ليلة المولد، سألت عنه مؤرخو العصر فلم أجد عندهم علما. "

وهذا القاضي كان موجوداً سنة [تسعمائة] وخمسين.

وفي هذه السنة أرسل من اليمن قصيدة على وزن الدال علي بن سليم، وكان من إشراقات الشرايقات الشريف سعد الشريف وخواصه حتى استوزره بتشوق إلى مكة والأهل والأصحاب وأياما مضت لهم مع صاحب مكة الشريف بركات لأنه كانت بينه وبينهم مودة عظيمة في دولة سعد ولا خطر ببالهم أنه يرضى أن يلي بعد سعد.

ولما قُرئت القصيدة بين يدي الشريف بركات فاعتزى وقال سبني لأن أظفر به لأقطعن عنقه، فبلغه بما قال الشريف بركات، فما دخل مكة إلا في دولة أحمد بن زيد واشتهرت هذه القصيدة اشتهاراً، وعارضها كثير من الفضلاء والأدباء وهذه القصيدة :

يا ريمَ الأضعانِ يادَرى الثَنايا
العذاب وصلك دوا علتي

[أحداث عام 1084 هـ]

وفي سنة أربع وثمانين وألف ورد من الأبواب العليه مراسيم وقفطان نفيس من ملابيس السلطان ودبوس وسيف، فنزل الشريف إلى الحطيم ولبس القفطان، وجلس للتهنئة فهنأه مولانا السيد هاشم الأزراري بهذه القصيدة :

أدير ابنة الرزجون يا غرة الدهر
معتقة خمراً تسطع كالتبر

وفي هذه السنة توفي مولانا السيد أحمد بن محمد الحارث، ولم يبلغ مراده من ولاية مكة إلا ما كان من ولايته بالمدينة في زمن حسن باشا. وفي هذه

السنة توفي القاضي عبد المحسن بن سالم القلعي الحنفي صدر القضاة المكرمين فخرا مثاله المحترمين ذوي الصفات الحميدة والأخلاق المجيدة والنفس السمحة العصامية والسيرة الحسنة المرضية. خلف مولانا القاضي تاج الدين القلعي.

وفي هذه السنة توفى مولانا الإمام فضل بن عبد الله الطبري تغمده الله برحمته والرضوان، وأسكنه فراديس الجنان وقد ترجم له السيد علي ابن معصوم في السلافة.

[أحداث عام 1085 هـ]

وفي سنة خمس وثمانين وألف توجه [٧٢/أ] مولانا سعد وأخوه السيد أحمد إلى الأبواب أي إلى الروم. وفيها توفي الشريف حمود بن عبد الله.

وفي هذه السنة المذكورة توفي إلى رحمة الله تعالى ورضوانه السيد عبد الرحمن المكناسي المغربي الشريف الحسيني واسطة عقد الأولياء وفخر الصلحاء الأتقياء، المتصف بحسن السيرة وصفاء السريرة المتحلي بالشمائل الحسنة الشهيرة، جامع شيم المجد المنيع حائز سجايا الجلالة والمهابة والشرف الرفيع. اختص هذا السيد بصحبته مولانا الشريف زيد، وكانت له عنده وجاهة عظيمة وقبول تام، وكان يمتثل لأمره ولا يخالف رأيه. عرض له فالج منعه من القيام والمشي فأقام ببيته يقصده الناس للتبرك، كانت وفاته في السابع عشر [من] ذي القعدة من السنة المذكورة، ودفن بزاويته التي اشتراها من مولانا السيد سالم بن شيخان، وكان قد أوصى أن يدفن بها. وممن امتدحه في بدء المائة بعد الألف مولانا الشيخ العلامة عبد القادر بن أبي بكر بن عبد القادر بن أبي بكر حفيد الصديق مفتي مكة المشرفة مصدر (ومعجد) قصيدة البهارهير وملخصها إلى مدح مولانا السيد عبد الرحمن المحجوب :

وَعلَى مُجَانَبة الحـــــادر غَيري على السّلوانِ قَادرُ
وسِوَايَ في العُشَّاقِ غَادِر وأَنا الذي شَأْني الوَفَـــا
فِي طَيّ هاتـيك الضَمائِـرِ لِي في الغَرَامِ سَرِيـــــرةٌ

وهي طويلة.

[أحداث عام 1087 هـ]

وفي سنة سبع وثمانين وألف أرسل مولانا الشريف بركات ولده السيد سعيد بصحبة الحاج الشامي إلى الأبواب العلية وكتب من مكة يوم الخميس الرابع [من] المحرم الحرام، وتوجه معه الشيخ حسين بن عبد الرحيم بأمر مولانا الشيخ محمد بن سليمان.

ولما كان أول يوم من صفر شرع الشيخ محمد بن سليمان بالنظر في المقابر فأول ما بدأ بالشبيكة وسرح العمال ليهدم المحلات والمساكن التي قرب المقبرة فالتجأ أهل تلك البيوت إلى السيد عبد الله بن عمرو وأخوه السيد مسعود بن عمر فركبوا ومنعوا العمال عما أمرهم الشيخ، فأمر الشيخ الشريف بركات بنفسه أن يحضر الهدم فامتنع الشريف عن ذلك. فأرسل أخاه السيد إبراهيم أن يركب إلى عبد الله بن عمر وأخيه مسعود ويرضيهم بحال النفاذ من الشيخ، ولم يوافقوا على ذلك، فأخبر الشريف الشيخ أن حصل بسبب ذلك فتنة ولا نسلم أنا ولا أنت منها فترك ما أرادوا.

وفي أوائل ربيع الأول استأجر الشيخ محمد بيت القروي الذي بجانب مدرسة الداودية وغصب أهلها على إجارته وهدمه وعمره عمارة ملوكية وزخرفه بأنواع النقوش وواصل بين تلك المكانين إلى باب إبراهيم.

وفي يوم الأربعاء التاسع والعشرين [من] ربيع الثاني شرع في هدم قبور المعلاة وبنى مقبرة خاصة جعل [لها] أربع جدارات وفصلها تفصيل الشطرنج وجعل لها بابين، وهتك بذلك حرمة الأموات.

وفي عصر يوم الأربعاء الثاني [من] ذي القعدة الحرام من السنة المذكورة وفيه يجعل مولد عظيم لمولانا السيد عبد الله العيدروس بافقيه صاحب الشبيكة تزوره الخلق بمكة رجال ونساء. فعزم الشيخ محمد بن سليمان على إبطال هذا الشعار، وزعم أنه منكر [من مناكر الكفار] الظاهرة لاختلاط الرجال والنساء عند الضريح وحال طلوع الناس في الدرجة. قال الشيخ ورد نجاب في هذا اليوم من مصر يخبر بموت أستاذه أحمد باشا العزيز الأعظم الكبرلي، وأنه توفى في يوم السادس عشر [من] رمضان من السنة المذكورة. فما كان أعظم على قلب الشيخ من الغم لورود هذا [٧٢/ب] الخبر فعد الناس ذلك من كرامات السيد العيدروس.

وفي الرابع [من] ذي الحجة دخل مولانا السيد سعيد بن بركات إلى مكة بعد صلاة العشاء فطاف وسعى واجتمع بأبيه وصحبته القاضي حسين بن عبد الرحيم ثم عاد إلى الزاهر، ودخل يوم الأحد في آلاء عظيم ومعه خلعة ومرسوم سلطاني فنزل له مولانا الشريف بركات إلى الحطيم وفتحت الكعبة فلبس الخلعة مولانا الشريف بركات وقرى المرسوم الوارد من الأبواب ومضمونه الإنعام على مولانا الشريف سعيد بمكانة أبيه من بعده وأنه ولي عهد من بعد موته مؤرخاً برجب من السنة المذكورة 1087هـ . وكان القارئ لأمر القاضي مرشد الدين بن القاضي أحمد بن عيسى المرشدي، وجلس للتهنئة وامتدحه مولانا الشيخ عبد الملك العصامي بقصيدة رائية هي :

وأَبدَى الهَنا والسَّعدُ وجَهَك والبُشرى	**تَجَلَّت بِمَرآكَ السعيدَ لنَا البُشْرَى**
قُلوبٌ حَشَاها طُولُ غيبتكم جَمْر	**وعادَت لأَحْشَاهَا بِعَوْدِك سَالماً**
مُحَيَّاك فِينَا مَنظرا واضِحاً بَدرا	**وأَضَحى وطَيرُ السَّعدِ يَصدحُ مُذْ بَدا**

وهي قصيدة طويلة تخرجنا عما نحن بصدده.

وفي يوم الأحد الثامن عشر من ذي الحجة توفى مولانا السيد إبراهيم بن محمد بن بركات بن أبي نمي أخو مولانا الشريف بركات صاحب مكة. فإنه

صبيحة يوم السبت ركب إلى أخيه الشريف بركات، وخرج من عنده وعزم إلى الشيخ محمد بن سليمان وهو في غاية الصحة لا يشكو ألماً ورجع إلى منزله فلما كان العصر احتضر، فجاء الخبر إلى أخيه وهو عند الشيخ، فلم يلتفت إلى هذا القول إلى أن أتاه الخبر بموته قبيل الغروب فغسل ونزل به إلى الحرم وصلى عليه الشيخ محمد بعد الشروق من يوم الأحد ودفن تجاه [قبر] السيدة خديجة - رضي الله عنها - ورحمه الله تعالى. وقيل أنه مات مسموماً وتعب عليه الناس كثيراً لأنه كان محضر خير، وكان ينهى أخاه والشيخ عن أمور تتعب الناس، رحمه الله تعالى، وخلف أولاداً منهم السيد زين العابدين وغيره. وفي هذا الموسم أعني موسم سبع وثمانين وألف وصلت الصدقة الهندية إلى الحرمين صحبة الوزير عابد خان الأزبكي وكان صاحب طريقة وسجادة فامتدحه مولانا السيد هاشم الأزواري.

[أحداث عام 1088 هـ]

وفي سنة ثمان وثمانين وألف الثالث عشر [من] محرم وصل أغا من مصر بقفطان لمولانا الشريف بركات ومعه مراسيم بإخراج الشيخ محمد بن سليمان من الحرمين فشفع كاتب الديوان وطلب أن يكون بالمدينة المنورة ولا يتعرض لشيء من أمور البرية.

واستمر هناك وطلب داراً واستأجرها بالمدينة وبناها وأحكم أسفلها وأعلاها وهجر الناس إلا ما لا بد منه ولا غنى له عنه، ولو فعل هذا ابتداء لكان أسلم لدينه وأصلح وأريح لجنابه ولكنه خبط خبط غشوم ورجى البر بالأذواء. والظلم كمين في النفس القوة تبديه والعجز يخفيه فتعوذ بالله من زلة عاقل ومباشرة الجاهل فرجع إلى مكة فأتى الأمر إلى قاضي الشرع بإخراجه من الحرمين في دولة سعيد بن بركات. فأتى القاضي إلى الشريف سعيد وأخبره بالأمر، فأمر الشريف سعيد أغات العسكر محمد بغدادي أن يعزم إليه ويخبره بأن ورد أمر بخرو [٧٣/أ] جك فلما أحس بذلك قفل الباب وصار يستغيث

بأهل مكة ويقول أصبرو علىّ حتى أحج وأعزم صحبة الحج. فأرسلوا إليه السيد ثقبة يخبره بحقيقة الأمر، فدخل عليه بأن يبقى إلى الحج ويسافر. فطلب السيد ثقبة من الشريف وأفندي الشرع فقبلت وجاهته. وكان ممن تشفى فيه محمد سعيد السيوري .

فسبّه بأنواع السب لأنه من جملة الجماعة الذي أخرجهم ابن سليمان إلى مصر وهم محمد المنوفي، والشيخ عبد الرحمن بن حجر، وبكري حلواني ترجمان الشريف سعد،ومحمد الحداد من كتبة الشريف سعيد، ومحمد سعيد السيوري وكلهم صاروا إلى رحمة الله، ومحمد سعيد حصل هذا اليوم واشتفى بلسانه. وأبقي إلى الحج وسافر صحبة الحج الشامي، ووصل إلى الشام، لأن أهل مكة وأهل المدينة وأهل مصر وأهل الشام كل هؤلاء الناس وصلت مضرته عليهم ما عدا أحمد باشا الكبرلي يعتقد؛ لأنه أظهر له التعفف حتى تمكّن منه وصار منه ما صار. وآخر الأمر منع حتى من الروم ووجد في بيته في الشام مخنوقاً. قال الله تعالى:

[وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً] (سورة الكهف ، آية ٤٩)

ويقال : إن الشريف بركات يقول :

" لو طاوعت ابن سليمان لقتلت نصف أهل مكة لأني ما شكى إلى أحد من الناس إلا يقول : اقتله ولم يقل أحبسه ولا اضربه إلا يقول: أقتله . "

فنسأل الله السلامة من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

ومن الحوادث في السنة المذكورة المتقدم ذكرها أصبحت الكعبة الشريفة ملطخة بشيء يشبه العذرة من جميع جوانبها وكذلك الحجر الأسود والركن اليماني، فاتهموا بذلك العجم، واشتد حمية الأتراك فأخذوا منهم من المسجد الحرام بعد شروق الشمس خمسة أنفس، منهم السيد مؤمن عمدتهم وفقيههم وأربعة أنفس غيره. ووقعوا فيهم بالضرب والرجم، وشرخوا رؤوسهم بالحجارة والضرب بالسيوف وألقوهم على بعضهم البعض في باب الزيادة

خارج المسجد وأتى أولاد السيد مؤمن متشفعين بالسيد أحمد بن غالب أنهم يحملون أباهم ليغسلوه ويكفنوه ويصلوا عليه في بيته - رحمة الله عليه -. وطلعوا به من الفلق فأرسل معهم عبيداً حتى شالوه وغسلوه ولم يعزموا به إلى المسجد ولا صدقوا حتى دفنوه.

وأما الجماعة الباقون فحفروا لهم حفرة جهة الشيخ محمود وألقوهم فيها من غير غسل ولا صلاة.

وهؤلاء متهمون أنهم الآن الروافض يعظمون البيت الشريف وإنما هذا الأمر ما صدر إلا من نصارى تعتقد [أن] الحجر الذي في المطاف تحت الحجر الأسود كان صنماً في بعض الكنائس يعبده النصارى، فأخذه المسلمون لما فتحوا تلك البلاد ووضعوه في هذا المحل يداس بالرجلين حال تقبيل الحجر الأسعد. وكان في تلك الليلة رجل من الناس الصلحاء في الطواف ورأى جماعة شبه رؤساء الأتراك ومعهم مملوك شايل سجادة وفي يده سطل لا يعلم ما فيه وهو يفرش لهم هذه السجادة وظن أن في السطل شيء من أنواع الطيب أنهم عمال يطيبون البيت به. فلما أصبحت الناس وجدوا هذا الشيء الذي رائحته كريهة فاتهموا العجم وقتلوا من فرغ عمره. وفي ذلك يقول الشيخ علي السنجاري - رحمه الله تعالى - رحمة الأبرار قال [٧٣/ب]

نعرِفُه ليلاً وأَصْبَحنَا ... مَن ذا لوَّثَ الكعبةَ مَنْ لم يَكُنْ
وقَالتِ الأَعْرابُ آمَنَّا ... وأسلمت الأَعاجمُ أَرواحَهَا

وفي عام ثمانين وألف ولد بمكة المشرفة الشيخ عبد القادر بن أبي بكر حفيد الصديق. أخذ عن مشايخ الإسلام بالبلد الحرام، صدر الصدور المحافل وقدوة العلماء الأماثل العلامة النحرير السابق في حلبة التقرير والنحرير المتفنن في سائر العلوم مجمع بحر النطق والمفهوم العالم العامل النحرير

الذي بلغ من المناصب العلية فوق المراد، وغالب فضلاء الوقت مدحوه بما هو أهله من العلم والكمال.

[أحداث عام 1089 هـ]

وفي سنة تسع وثمانين وألف في ربيع الأول يوم الثاني عشر أمر قاضي مكة كواكبي زاده بعودة أصحاب الزوايا إلى الدفوف والخروج بالزفاف على ما جرت به القاعدة. وامتدح السيد هاشم الأزراري مولانا الشريف بركات بن محمد بقصيدة في عيد المولد الشريف.

بَين بان التقى وأَطْلالِ شَامَه ... ذُو جَمالٍ على الخَدِّ شَامَه
يَحجلُ البَدرُ طلعةً وسناءً ... والمهَا والقضيبُ عيناً وقَامَهْ
أغيدُ ما وفى بعَهدِ مُحبًّ ... قَد وفَى عهده وصَان دِمامَهْ
حَرَّ قلبي على رحيقِ الثَّنايا ... منه قَدْ زَادَ مَنْ أَماطَ لثَامَهْ
فَيرميني برِقِّ العقَيقِ بثغره ... وأُريهُ مِنَ الجفُونِ غَمامَهْ
حَلّ قتَلُ النفوسِ في شرعةِ الحُبِّ ... جِهَاراً وليْسَ يَخشى حَرامَهْ
ويصيدُ القلوبَ ناعِسُ طَرفٍ ... مِنْهُ لما يريش فيها سهَامَهْ
حسَبيَّ اللهُ مِنْ عُيونٍ مِراضٍ ... قَاتلاتٍ لَهَا الفُتورُ عَلامَهْ
صَرَعتْني عَلى العَقيقِ وراحَتْ ... مُهْجَتي بَعدَها تَرومُ السَّلامَةْ
آه مَالي عَلى الهَوى مِنَ مَعينِ ... يَا لِقَومي فَقَد رآني حَمامَهْ
وأَبَاحَ اللسانْ بالَوجْدِ لما ... نَصبَ الشوقُ في الضُّلوع خِيَامَهْ
وأَخْفَيتُ الغَرامَ مُذْ زَادَ مَا بي ... وأَبادَ الفؤادَ خوفُ الملامَهْ
أَيُّ صَبَّ على الصَّبابة والعِشْقِ ... قَوياً ولَيْسَ يشْكُوا غَرامَهْ
يَرقُبُ النَّجمَ في الليل سحيرا ... مُذْ جفَا جَفْنُهُ الفَريحُ منَامَهْ
ياأُهَيْلَ الغَرام عُودوا مَرِيضاً ... مِنْكم يَحْمِلُ النَّسيمُ سَلامَهْ
فَأَبصروه إِذَا أتَاكُم عِيَلاً ... فَهُـو يحْكـي نُحُـولَـهُ وسـقَامَهْ
قَدْ بَراهُ الفِرَاقُ حتَّى لَقَد صَارَ ... مَسْخاً يعَضُ كَفَّ النَّدامَهْ
فاطفِئو نَارَ قَلبِهِ بوِصَال ... عَلى يشْفي غَليلَهُ وَهَيامَهْ
وإذا لَمْ تُعَامِلُوه بِلُطْفٍ ... فَخَلَّ الُمحِبِّ مجلي الظَّلامهْ
مَعْدَنُ الْفَضلِ مَعرسُ الجَودِ أَعني ... برَكاتِ الشريف حَاوي الكَرامةَ

[أحداث عام 1091 هـ]

وفي إحدى وتسعين وألف يوم الإثنين التاسع والعشرين من شعبان دخل مكة الشيخ محمد بن سليمان صحبته أغا وأظهر أن الدفتردار شفع في الشيخ في أن يسكن بمكة ويكف عن مخالطة الدولة.

وفي يوم الإثنين الثاني والعشرين [من] ذي الحجة غيمت السماء وأمطرت قبل صلاة الظهر بنحو خمسة أدراج واستمر المطر إلى العصر وكثر السيل [٧٤/أ]، ودخل المسجد الحرام وبلغ إلى نصف الكعبة بل استوعبت جملة العواميد في الرواق من جهة باب إبراهيم؛ لانحدارها وكان ذلك في يوم خروج الحج المصري، فغرق كثير من المسافرين وأهل البلد، وخرب غالب البيوت بمكة، ومات فيه نحو خمسمائة آدمي لأن أمير الحج اليماني في آخر مكة كان يوم خروجه أيضاً من مكة دفن الذي طفح بهم السيل من الضعفاء نحو ثلثمائة ومئتين في وسط مكة، وكان سيلاً مهيلاً حتى أن المحمل المصري ما طلعوا به إلا وقت العشاء من الحجون ولا شوهد مثله. وأرخ بعضهم: " لا غالب اليوم من أمر الله إلا من رحمه " بزيادة الهاء وأحسن مولانا الشيخ علي السنجاري حيث قال :

أيا سائلي عن وصف سيل زماننا
خذ ما تفرق منه في مجموع
فاق ابن أحمد في العروض فلم
يدع بيتاً لإنسان بلا تقطيع

وافتقر فيه من افتقر، واستغنى من أراد الله غناه.

[أحداث عام 1093 هـ]

[مظاهر العيد بمكة]

وفي سنة ثلاث وتسعين وألف في ربيع الأول من هذه السنة خرج مولانا السيد أحمد بن غالب من مكة مغاضباً لمولانا الشريف بركات، وفي هذه الأيام كثرت اللصوص وخرج لخروجه عدة من السادة الأشراف نحو ثلاثين شريفاً ووصل إلى الشام وبعث مولانا السيد شبير بن مبارك بن فضل، والسيد محمد بن مساعد إلى الأبواب شاكياً مولانا الشريف بركات.

وفي هذه الأيام كثرة الحرامية بمكة فأوجب إلى أن عس الشريف بنفسه ومعه أولاده والأتراك العسكر أصحاب الرتب، فوقع بعض العبيد ببعض الأتراك فقتلوهم، وفي بعض الأيام أتى عبد السيد حسن بن حمود يسقي فرس سيده من البزابيز فأزدحم هو وبعض عسكر مصر فسطى التركي في العبد فراح العبد يستفزع بجماعته، وحسن بن حمود استفزع بالأشراف وكان اجتماع الأشراف في بيت السيد محمد بن أحمد شيخ ذوي عبد الله والعبيد اجتمعوا على بعضهم حتى عبيد الشريف بنفسه بركات وعبيد بعض الحضور، وخرج العبيد إلى بركة ماجن ووجد بعض الأتراك على البركة ونهبوهم، هذا بعد رجوعهم من المروة أتوا يريدون التركي الذي سطا في رفيقهم فما وجدوا إلا واحد من الأتراك يحتجم فقتلوه وغالب الأتراك طلعوا ربع قايتباي ورموا العبيد بالطوب والأحجار.

فلما فطن لهم العبيد أرادوا [أن] يطلعوا إليهم فكسروا بعض دكاكين الدلالين يظنون أنه الباب الذي يوصلهم إلى الترك فوجدوا الدكان ملآن خوخ ونحاس وأمتعة فنهبوها، وكسروا أيضاً دكان آخر فوجدوه مثل الأول واشتغلوا بالنهب عن الترك، فلما فرغوا ما في الدكاكين من الأمتعة توجهوا إلى بركة ماجن، وفعلوا في الجماعة الذين من الترك من النهب والضرب فاجتمعت الأتراك في المسجد تحت مدرسة الأفندي يصيحون : شرع الله وأرسلوا للشريف بركات يطلبونه الغرمى، فأجابهم الشريف : أصبروا علي حتى نظفر

بالغرماء ونفتك فيهم فلا أعجبهم جواب الشريف وحملوا على بيت الشريف حملة وهم [٧٤/ب] يصيحون : الله الله. فرماهم جماعة الشريف من باب الحزوره ومن بيت الحارث ورموا منهم أثنين أو ثلاثة أنفس بالرصاص فرجعوا على أدبارهم. فلما كان الليل شنقوا عبدين واحد يقال له عنبر جلاد، والثاني عبدا للخواجة توفيق أتهم أنه سرق بيت سيده ولم يرض بذلك الأتراك وعرفوا أن الغرماء غيرهم، وثاني ليلة وجد يحيى بن بركات عبدين من عبيد الأشراف وهم لصوص فرما رؤوسهم عند الجميزة التي عند سبيل السلطان أحمد في الخريق فأبقى الجثث وشال رؤوسهم وأفهم الأتراك أن هؤلاء الغرماء فرضوا بذلك.

وأما العبيد فأرسل إليهم الشريف أخاه عمر وغالب ابن زامل، وأصلحوا وشرطوا على الشريف إذا وقع بيننا وبين الترك شيء من الأمور فلا تقودنا لهم وتخلي بيننا وبينهم، وتم الصلح على ذلك، فرجع عبيد الشريف وعبيد خدام الشريف ومن معهم.

وأما عبيد الأشراف فانضموا إلى أسيادهم عند بئر طوى، فاهتم الشريفبركات لذلك، فدخل عليه هزاع بن مبارك فقال له : " على ما فرق جمعهم هؤلاء الأشراف ولي عليك ألفان أحمر فالتزم له بذلك. "

فركب وعزم إلى الأشراف فقال لهم : " على ماذا اتفقتم "

فقالوا : " نعزل بركات ونولي محمد بن أحمد "

فقال لهم : " لا بأس ولكني أشور عليكم بشيء إن قبلتموه وإلا أفعلوا ما بدا لكم، أنتم تعرفون محمد ونفسيته معكم، وهو ما تشيخ عليكم وثانية إنه ما يقدر يفعل ما يفعله بركات، هذا أنتم من يوم تولى إلى الآن وأنتم على الوفاء ولا خرج أحد منكم جلوي، ويحلم عليكم إذا وقعتم في حقه.وأنتم أعلم بما يصلح لكم. "

فقالوا : " صدقت ولكن كيف نعمل ؟ "

فقال : " معكم سواد الليل. "

وركب من عند الأشراف وعزم إلى محمد بن أحمد فقال له : " يا سيدي أخبرني بما اتفقتم عليه أنت والجماعة ؟ "

فقال له : " عمال يحاولون أنهم ينادون لي وأنا متوقف "

فقال له : " يا سيدي أنت أعرف بجماعتك وإنما قصدهم يدفعون بينك وبين الشريف ويظهر لك حالهم وتربص لا يستخفون بك. "

فلما أصبح ثاني يوم محمد بن أحمد رأى ثلث الناس شدوا بالليل، وثالث ليلة ما بقي إلا مضاربة. فصدق هزاع بن مبارك وشد وتوجه إلى الأبطحات قريش وانفكت العجه وأخذ هزاع الألفين أحمر في مقابل ما فعل.

وفي يوم الثلاثاء الخامس [من] ربيع الثاني حصل لمولانا الشريف بركات مرض باطن وزاد به. وتوفي ليلة الخميس التاسع والعشرين [من] ربيع الثاني من السنة المذكورة فصلى عليه بعد الشروق ودفن عند باب المعلاة بجوار الشيخ النسفي بوصية منه، وبنى عليه حائط من غير سقف، واسفت الناس عليه، - سامحه الله تعالى - ، وكانت أيامه كلها حسنات، وتظاهر التجار بالأموال وبنو الدور وتدبر مكة الأعراب لعدم الظلم وأتت إليه الخيرات براً وبحراً لصلاح نيته مع الرعية. وكانت مدة ولايته عشر سنين وأربعة أشهر وعشرين يوماً. فولي إمارة مكة بعده ابنه مولانا الشريف سعيد بن بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبو نمي. وقعد للعزاء فأنشده مولانا هاشم الإزراري [٧٥/أ] معزيا له ومهنئاً :

عزاءُ ضمنَ تهنئةً بملكٍ ... بُكائي مِنْ تَفارقِهِم وضِحْكي
لئنْ لِبس السوادَ الليلُ حُزناً ... وحُزنا للصباح بثوبِ مِسكي
فَقَدَ لبسَ النهارُ لنا بياضاً ... وتَوجَّهَ البهاءُ بتاجِ جَدِّكَ
فمِنَ شَأْنِ الزَّمانِ مَع البَرايا ... خَيالاتٌ يَنيلُ بهَا ويُبكِي

وهي قصيدة طويلة .

ولما كان ليلة الأحد الثاني [من] شوال دخل مكة السيد أحمد بن غالب ومعه بعض الأشراف وطاف وسعى ونزل على مولانا الشريف سعيد، وعزاه في والده وجلس يوم الأحد للتهنئة بداره، وجاء صحبته أغاه وارداً من الأبواب العلية معه أمر بإخراج الشيخ محمد بن سليمان وقد تقدم ذكرها. ووصل إلى الشام وكانت وفاته سنة أربع وتسعين وألف.

وفي ليلة الأربعاء الثاني عشر [من] شوال المكرم وردت الخلعة السلطانية لمولانا الشريف سعيد بتأييده في إمارة مكة وكان يوماً مشهود وفي يوم الأحد العشرين من ذي القعدة الحرام من السنة المذكورة جاء مورق يخبر بإنعام السلطنة بمكة على مولانا الشريف أحمد بن زيد. فخرج من مكة الشريف سعيد بن بركات وأقيم مولانا السيد مساعد بن مولانا الشريف سعد نائب عنه الشريف أحمد بن زيد. ونودي لمولانا الشريف أحمد بن زيد بمكة في يوم الثلاثاء السابع والعشرين [من] ذي القعدة الحرام وزينت البلد سبع ليالي ودخل مولانا الشريف أحمد بن زيد بن محسن بن حسين ابن حسن بن أبي نمي يوم الأربعاء السابع [من] ذي الحجة الحرام من الشبيكة والبشوات بين يديه وعسكر باشا الشام وباشا جده وأمير [الحج والمحمل] المصري، وحفت أهل مكة بفرسه فرحاً به حتى وصل إلى دار السعادة في منزل أبيه وجده، وجلس للتهنئة القدوم مجلساً خاصاً. وحج بالناس وكانت الحجة بالجمعة. وفيها ورد للكعبة الشريفة ثوب أحمر لداخل البيت فألبسوها إياه وأرخ بعضهم بقوله :

أَلْسُنُ الأفراح تَشدو طَرَباً ... بلسانٍ مُعْربٍ عَن كُلِّ فَنِ
هاجَها وَصلُ مَليكٍ سَمِعَت ... فَمُحَيَّاه الأَماني بَعدَ ظَنِّ
صفوةُ الأشرافِ زَيدٌّ وهُوَ مِنْ ... مُحسنِ بنِ الحُسَين بنِ الحَسَنِ
مَلِكٌ حَامي حِمَى أَمَّ القُرى١ ... وَحِمَى طَيْبَةَ مَعِ نَجْدِ اليَمَنِ
مَلأَ الأَرضَ عَدْلاً بَعْدَ ما ... مُلئَتْ جَوْرَاً وغَصَّت بِالفِتَنِ
فَلسَان الحَالِ منْهَا قَائلاً ... دَارُه تَزهُو بتاريخ حَسَن
أَحْمَدُ بنِ مُليك هَادِياً ... أسدَ الأَشراف مِن آَل حَسَنِ

فأخمد الله به المفسدين، وأمن البلد الأمين، وعمَّر بِشْرهُ كافة البشر ورفعت له في قلوب الرعايا رايات الفرح والظفر. ولله در من قال :

ضَاقَت ولَّما استَحْكَمَت حَلقَاتُها
فُرِجَتْ وكُنْتُ أَظُنُّها لا تفرجُ

جزانا الله كما عودنا في ممر الأيام على عوائد إحسانه وإنعامه. آمين.

[أحداث عام 1096 هـ]

وفي سنة ست وتسعين وألف الثاني عشر [من] المحرم الحرام وكان [٧٥/ب] يوم الجمعة ألبس مولانا الشريف للخواجة عثمان حميدان خلعة الوزارة وجلس للتهنئة وامتدحه مولانا السيد هاشم الأزراري بقوله :

عَرَج بسلع وسلْ من عرب أجيادي وأَخرى السلام علَيهم بها الحادي
فَثَمَّ رعبُوبة هيفاءُ رنَّحها خمرُ الشباب وزارت كلَّ مُبادي
ترنو بعينِ مَهَاةٍ منْ مُبَرقعها نَجلا وتسْطُو بها من لَحْظ آسادي
إلا قطع بنصر قَلباً خالياً أبدا إلا وقالت له كن بعض أَجنادي

وهي قصيدة طنانة.

[أحداث عام 1097 هـ]

وفي سنة سبع وتسعين وألف توفى السيد محمد بن يعلي بن حمزة بن موسى بن بركات بن أبي نمي، وكان ملحوظة إمارة مكة ولم يقدر الله تعالى حتى

قدر ذلك لابنه الشريف عبد الكريم، كما سيأتي ودفن بالمعلاة مع أبيه - رحمه الله تعالى - .

[أحداث عام 1098 هـ]

وفي سنة ثمانٍ وتسعين وألف ابتدأ ببنائه للسور الذي على مقبرة مكة المشرفة وذلك لما أنهى الوزير سليمان باشا ما يحدث من التوقيد والتنجيس في القبور خصوصاً في زمن الحج حيث نزول الحاج عليها.

فانتدب لعمارتها الشلبي عثمان حميدان وزير مكة، وقسم المقبرة قسمين وجعل لكل واحدة منها سوراً وباباً، وجعل طريق الجاي من الحجون من بين المقبرتين.

[أحداث عام 1099 هـ]

[وفاة الشريف أحمد بن زيد وتولية الشريف سعيد]

وفي سنة تسع وتسعين وألف اعتذر الوزير عثمان عن الوزارة، فانتدب لها الأغا يوسف السقطي وتقلدها.

وفي شهر صفر من هذه السنة ليلة الحادي عشر خرج السيد أحمد بن غالب من مكة مغاضباً لمولانا الشريف أحمد بن زيد، وانتهى به سفره إلى ينبع وشيع أنه أعرض إلى الأبواب يشكي صاحب مكة.

وفي أوائل جمادى الأولى توعك مولانا الشريف أحمد بن زيد، وتزايدت عليه الحمى ولم يزل بذلك نحو خمسة عشر يوماً، فلما كان يوم الخميس الثاني عشر [من] جمادى الأولى توفي - رحمه الله تعالى - وقت الضحى ودفن بالمعلاة بعد صلاة العصر على والده بقبة مولانا الشريف أبو طالب بن حسن وكانت مدة ولايته أربع سنين إلا ثلاثة أيام.

فولي بعده مولانا الشريف سعيد بن سعد بن مولانا الشريف زيد، فطلب من مولانا أفندي الشرع الشريف قفطان، وقد حضر السادة الفقهاء والسرادر

عند الأفندي لطلب القفطان. فقال الأفندي : " لا بأس أن تصبروا خمسة أو ستة أيام حتى يحضر أكابر الأشراف، ونرى من يختاروا. "

فقال سردار الإنكشارية : " أنا ما أريد بلصة، ما أريد إلا إصلاح البلد، وإذا لم يتولى هذا وإلا تلفت البلد "

فتعب الأفندي من كلام أغات الإنكشارية وسبه وقال : " أنت تعنيني أنا مرادي بلصة "

فاعتذر الأفندي منه، وأعطاهم القفطان على أنهم يلبسونه مولانا الشريف سعيد بن سعد : ليكون قائم مقام إلى أن يرسلوا إلى الأبواب، ويعرفوهم بموت الشريف أحمد بن زيد - رحمه الله تعالى - ، وتولية الشريف سعيد بن سعد فامتنع من ذلك، وقال : " لا ألبسه إلا استقلالاً أنا سعيد بن سعد "

فلبس القفطان، وأمر المنادي ينادي في مكة : " البلاد بلاد الله وبلاد السلطان وبلاد الشريف سعيد بن سعد "

ومشى مع المنادي محمد بن سرور، وعلى ولد السحرتيه، وبعض الأشراف، ودُعي [٧٦/أ] له على المنابر، وبعد صلاة العصر صلى على مولانا الشريف أحمد بن زيد مولانا الشيخ النخلي ولم يتخلف عن حضور الجنازة لا صغير ولا كبير بحيث أن الناس أولهم في المعلاة وآخرهم في المسجد الحرام، والنواح من كل بيت ينوحون على أنفسهم مما قاسوه في ولاية غيره من الخوف والغلاء، ولكن هذا مصير الناس وإنا لله وإنا إليه راجعون، ونادى المنادي بالأمان والاطمئنان وإن كل يبسط ويبيع ويشتري، ونادى المنادي أيضاً بالزينة تزين البلد ثلاثة أيام ثم يومين.

هكذا إلى أن وصل الأشراف الذين [هم] صحبة عبد المحسن بن الشريف أحمد بن زيد، واستمرت الزينة نحو تسعة عشر يوماً وما وقعت مثلها زينة وثاني يوم الجمعة أرسل منادي بالعرضة تحت بيت الشريف، وكانت خطبة تلك الجمعة للشيخ سعيد المنوفي فألبسه مولانا الشريف قفطاناً على

المنبر على ما جرت به العادة. هذا والبلد خالية من الأشراف الذين تقدم ذكرهم مع السيد أحمد بن غالب والجماعة الذين [هم] مع عبد المحسن. وكل الذين بمكة سلموا ورضوا أي لم يحصل شيء من المخالفات.

وفي يوم الإثنين السادس [من] جمادى الأولى وصل مورق من ينبع من عند السيد عبد المحسن يخبر والده أن وصل إلى ينبع قابجي معه قفطان سلطاني ومعه زينة أرسل يعرف والده؛ لأنه ما يعلم [بموت] أبوه ونهار ما وصل المورق من عبد المحسن للشريف سعيد، وله في الولاية خمسة أيام من موت عمه أحمد بن زيد فسبحان علام الغيوب.

وفي يوم الأحد الثاني [من] جمادى الآخرة وصل السيد واصل بن مولانا أحمد بن باز، والسيد حسن بن حمود بن عبد الله، وأخبروا أن السيد عبد المحسن أنه حال بلغه موت أبيه تعب، وحين بلغه تولية سعيد بن سعد فرح بذلك وقال: يد فرغت في يمينها أنا وسعيد شيء واحد.

وفي ليلة الإثنين الثالث [من] جمادى الآخرة وصل السيد أمير يآخور (حق الشريف أحمد الذي راح مرسول من الشريف أحمد إلى الأبواب العالية) فقدم عن صاحب القفطان من خليص وأخبر عن صاحب القفطان أن يصبح أو يمسى، فأصبحت الناس مستبشرة بهذا الخبر الذي سمعوه من جهة السيد عبد المحسن بن الشريف أحمد؛ لأن الناس كانت متوهمة بعدم الموافقة فلله الحمد على ذلك.

وفي يوم الأربعاء السادس [من] جمادى الآخرة دخل صاحب القفطان السلطاني، وسيق وقرئت المراسيم السلطانية على حسب العادة في الحطيم، وألبس مولانا الشريف سعيد فرو عليه قفطان نفيس بحضرة أفندي الشرع وشيخ الحرم الجديد الذي جاء صحبة صاحب مكة القفطان، وحضرت السادة الأشراف والسادات الفقهاء الأعيان، ودعى لمولانا السلطان خان سليمان، ولمولانا الشريف سعيد على باب الكعبة، والكعبة مفتوحة ومولانا الشيخ عبد الواحد الشيبي، والذي اتفق للشريف سعيد ما اتفق لغيره وهو أنه

لبس قفطان سلطاني من سلطان جديد، وهو ماله في الولاية خمسة عشر يوماً. ومنها أنه كان في مكة رجل سيد من بيت الرفاعي مجذوب فوقف على باب مولانا الشريف بثلاثة بيارق خضر [٧٦/ب] ودخل معه بها إلى المسجد الحرام إلى أن جاء محل جلوسه ووقفوا بالبيارق على باب الكعبة فهذا دليل على إقامة رايته وراية مولانا السلطان، وإقامة راية الإسلام لأنها رايات ثلاث، فهذا فأل حسن إن شاء الله تعالى.

فبعد أن لبس مولانا الشريف سعيد، ولبس الأفندي، وشيخ الحرم والشيخ الشيبي والريس وأرباب المناصب الأفروة والقفاطين النفيسة كل على حسب مقامه، وحصل للناس السرور التام، ونادى المنادي :

" البلاد بلاد الله وبلاد السلطان سليمان وبلاد الشريف سعيد بن سعد والزينة سبعة أيام بلياليها، فصارت جملة الزينة تسعة عشر يوماً بلياليها. "

وهذا ما اتفق لشريف مكة أبداً. وكتب السيد عبد المحسن للشريف سعيد : " جميع ما للشريف أحمد بين يديك من تجملات المملكة وسبب تولية السلطان سليمان أن العسكر طلبت من الوزير سليمان باشا وهو في السفر المعلوم وألحوا عليه فيها، فهرب منهم، وأتى إلى إسطنبول "

فلما شعر به السلطان محمد أمره بلزوم البيت فرجعت العسكر وأتوا إلى إسطنبول؛ فلما علم السلطان بذلك أمر بقطع رأس سليمان باشا، وأرسل برأسه لهم، وأرسل الختم والوزارة إلى سياويش فظن أنه بهذا الفعل تخمد الفتنة، وكان نهار دخولهم لهم إسطنبول غرة محرم. [وفي] الثاني [من] محرم جعلوا محضراً وجمعوا فيه الخاص والعام ودعوا مولانا السلطان محمد إلى مجلس الحكم فحضر ، وقالوا له : لماذا تقتل إخوتك؟

فأنكر ذلك وطلبوا منه إحضارهم ، فأحضر السلطان سليمان، فما كان دأبهم إلا إقامة السلطان سليمان وبايعوه وقبضوا على السلطان محمد ووضعوه في المحل الذي كان فيه السلطان سليمان وحبسوه فسبحان من له الملك العظيم فبعد ذلك طلبوا الكزلار .

فلم يجدوه لأنه طلب العزل قبل أن يقع السلطان ما وقع فتولى بعده علي أغا الكزرار وهذا كان خزندار السلطان محمد فطلبوا الكزلار يوسف أغا فوجدوه قد وصل أسكي شهر هارباً فقبضوا عليه وأتوا به إلى إسطنبول وأخذوا جميع ما كان معه من الأموال وخرجوا إلى مصر وكذلك علي أغا عزلوه وأرسلوه إلى مصر، وأرسلوا قابجي، إلى مصر لمحاسبة كبخية الكزلار وبيعت بلدانه فبلغت تسعمائة كيس غير العقار والأوقاف والنظارات أخذت من الكبخية.

وفي هذا العام اجتمعت في مصر ثلاثة باشوات حمزة باشا الذي جاء بعزله حسن باشا كيخية الاسكراريه ودخل مصر في الثاني [من] ذي القعدة سنة ثماني وتسعين والف.

وفي شهر صفر جاء عزله عام تسعة وتسعين والف ولم يتول مصر إلا مدة أيام، فتولى بعده حسن باشا سلحدار السلطان محمد، وأرسل إبراهيم بيك القاسمي أن يكون قائم مقام ودخل حسن باشا المتولي [٧٧/أ] [في] الرابع عشر [من] ربيع الآخر وثاني نهار قرأ الأمر السلطاني والخطبة لمولانا السلطان سليمان نصره الله في ليلة الخميس ليلة أربع عشر [من] جمادى الآخرة دخل السيد عبد المحسن بن الشريف أحمد بن زيد والسيد مساعد بن الشريف سعد من ينبع ومعهم جملة من الأشراف في الثلث الأخير من الليل وطلبوا الاجتماع بمولانا الشريف سعيد بن الشريف سعد فوجدوه نائماً فلم يجتمعوا به إلا صبيحة النهار وعزى بعضهم البعض وأزالوا ما كان يتوهمه الناس من الخوف.

وفي يوم الجمعة الثاني والعشرين [من] جمادى الآخرة بعد صلاة العصر خرج الشيخ سعيد المنوفي متوجهاً إلى الديار الرومية بعرض مولانا الشريف سعيد بن سعد بعرض الولاية وصحب الشيخ سعيد المنوفي رجل من أولاد التجار المقبري يسمى أحمد بن محمد البغدادي.

وفي يوم ستة عشر [من] رجب عام تاريخه أرسل مولانا الشريف سعيد بن الشريف سعد إلى الشيخ حسين بن عبد الرحمن وإلى السيد على مير خرد رجلاً يسمى علي بن بشير من الحسنان وهو ينهاهم عن اجتماع يجتمعوه هؤلاء الجماعة وغيرهم من الناس عند رجل يسمى الشيخ أحمد بن محمد المالكي. وكان ذلك يشغل الدولة فمنعوهم فالشيخ حسين اعتذر وقال: والله لم آت هذا الرجل إلا من طريق العقيدة ليس عندي إطلاع بشيء من الأشياء وطلع لمولانا الشريف سعد بمصحف معه وحلف عليه وقبل عذره الشريف وكذلك عزم على القائد واعتذر منه.

وأما السيد علي مير خرد لما جاءه الرسول أظهر الجزع للرسول وربما حصل منه بعض إساءة أدب على المرسول ولم يكتف بذلك فظهر قصده [أن] يعاتب الشريف، فلما وصل إلى الدرجة واجه رجلاً يسمى أحمد أفندي نازلا من عند الشريف فقال له : أطلع معي

فقال له : ما أطلع معك إلا أخبرتني ما السبب عند الشريف.

فقال له : الشريف أرسل يرزبني ويقول لي لا عدت تخرج من بيتك

فقال له : اطلع وأنا معك

فطلعوا فلقوا الشريف قد دخل عند الحريم فأرسل إليه السيد يطلب من الشريف أن يجتمع به فأرسل إليه في الجواب : إذا لم تروح وإلا ندرت إليك وشطيتك بالسيف بموجب إساءتك على مرسولي وعدم امتثال الأمر

فنزل ودخل لمولانا ثقبة في المدرسة التي عند باب الشريف فتكلم بعض الكلام استوجب به التنقيص فبرزا وأتى للقائد في حوش الشريف وشرع يعتب الشريف عند القائد فتعب القائد منه ببعض ألفاظ تكلم بها.

فقال له : والله ما أخرجك إلاّ بضربك كرباج

فتعب من كلام القائد فراح السيد مساعد والسيد عبد المحسن وشكى القائد عليهم أن هذا يسبني ويتكلم عليّ. فأرسل للقائد فنادوه فجاء القائد

فوجدوه عندهم فسبه ثانياً بحضرة مساعد وعبد المحسن، وقال : هذا الذي أرسلتموه من جنابكم عمال يسبكم فلم يرَ عندهم وجه

فرجع ثاني النهار للشريف، فصاح عليه وأمر بحبسه فحبس في الخراج فأتى ابنه ودخل على السيد ثقبة مولانا الشريف سعيد وفكه.

وأما الرجل المغربي فأرسلوا إليه أربعة عبيد إلى البيت، وأتوا به [٧٧/ب] ممسوكا وختم بيته ووضعوه في حبس القائد. فدخلت زوجته على أغا الإنكشارية فطلع مولانا الشريف وتوجه عليه أن يفكه من حبس الحاكم، ويكون عنده حتى يثبت عليه بالوجه الشرعي شيئاً، أو تسمحوا عنه فراح به إلى بيته وحبسه في الباسطية ثلاثة أيام فرضي عنه الشريف وفكه. هذا ما وقع اللهم أكفنا شر خلقك عامة وشر أنفسنا خاصة يا رب العالمين.

وفي اليوم السادس عشر [من] جمادى الآخرة وقعت واقعة في المدينة المنورة، وهو أن السيد محمد البرزنجي عزم [أن] يزور شيخ الهند، فقال شيخ الإسلام : يا سيدي محمد بلغني أن الجارية التي أهديتها إلينا أنها مستولدة منكم

فقال له في الجواب : من أخبرك؟

فقال له: هذا الرجل.

وأشار إلى رجل هندي كان في مجلسه فقال السيد محمد للرجل : من أخبرك؟

فقال : أخبرني السيد محمود بذلك

وكان بين السيد محمود والسيد محمد البرزنجي عداوة سابقة. فخرج السيد محمد من عند شيخ الإسلام وأتى إلى بيته وانتظر السيد محمود يمر عليه، وبيت السيد محمد في باب السلام . فنزل السيد محمود لصلاة الظهر فخرج إليه السيد محمد وسحبه وأدخله بيته وضربه ضرباً شديداً ورمى به على الباب؛ فقام الناس وحملوا السيد محموداً وطلعوا به إلى أفندي الشرع، وأخبروه أن السيد محمداً ضربه وأنه ها هو بين أيديكم. فأرسل الأفندي إلى

السيد محمد محاضراً يطلبه إلى مجلس الحكم، فامتنع أن يأتي فأرسل إليه ثانياً فامتنع، فأرسل إليه عسكراً فأتوا به على حالة غير مرضية إلى مجلس الأفندي. واجتمعت العساكر والعامة جميعاً لسماع الدعوة بينهم فسألوه عما صدر منه فأنكر ذلك فتكلم عليه الأفندي فقام وسب الأفندي بالجهل، فضربه الأفندي بيده فضرب السيد الأفندي حتى [رمى] بعمامة الأفندي، فقام جماعة الأفندي فضربوه ضرباً شنيعاً حتى أرادوا إهلاكه، وأخذوه وخرجوا به من المحكمة وهو مكفه إلى القلعة، وحبسوه فيها. وأما السيد محمود فحملوه إلى بيته؛ فقام أكابر المدينة والأفندي وشيخ الحرم وحلوا عنه جميع معاليمه وما يستحقه وكتبوا أعراض إلى الأبواب، وأخبروهم أنه مفسد في البلد وأرسلوا صحبة واحد من أهل المدينة وأما أولاده فاتفق رأيهم أنهم دخلوا على الشيخ إبراهيم الكردي - وهو شيخ السيد محمد - أنه له عنده أفندي، وشيخ الحرم فراح إليهم فلم يقبلوا فيه شفاعة؛ فخرج خفية هو وواحد من أولاده وأتوا إلى مكة ودخلوا على مولانا الشريف سعيد بن سعد، أن يرسل إليهم ويفك السيد محمد ويطلبه هو وخصمه ويدعي على يد أفندي مكة وما ثبت عليه بالوجه الشرعي يستوفى منه. فأرسل مولانا الشريف سعيد بن سعد كتبا إلى الأفندي وإلى شيخ الحرم وإلى أغات العسكر صحبة السيد أمير ياخور، فعزم بالمكاتيب إلى المدينة فامتنعوا من فكه وقالوا : نحن أرسلنا إلى الأبواب نعرف ونحن ننتظر جواباً وكان هذا جوابهم.

وفي يوم الإثنين غرة شعبان وصل السيد عبد الكريم بن السيد عبدالعزيز من بدر وأخبر أن السيد أحمد بن غالب مسك مرسول مولانا الشريف سعيد والشيخ محمد المنوفي ومن معه وأخذ مكاتيبهم التي [٧٨/أ] بصحبتهم ورجع الشريف الذي عزم معهم والجماعة أمسكهم عنده وأرسل أخاه السيد حسن بن غالب بجواب :

مولانا الشريف جواب الكتب التي أرسلها له من الشريف سعيد والأفندي وأغاوات عسكر مصر، ومضمون الكتب التي راحت من الشريف سعيد

والأفندي على مولانا الشريف أحمد بن زيد صار إلى رحمة الله، وأن الأمر صار للشريف سعيد، وهذا لم يكن بينكم وبينه شيء أبداً فالمطلوب منكم [أن] تأتوا أنتم والسادة الأشراف الذين معكم تأتوا إلى بلدكم ولكم ما كان لكم في زمن الشريف أحمد بن زيد من المعلوم والقواعد وزيادة.

فكان جواب السيد أحمد بن غالب : وصلتني كتبكم وذكرت أني راجع أنا ومن معي من الأشراف إلى البلد فكذلك لا يمكن الرجوع إلا على شرط : أن أُعْطَى أنا ومن معي من الأشراف جميع المنكسر من حال خرجنا إلى وقت رجوعنا هذا فإن رضيتم فهذا السيد حسن بن غالب في ينبع يجئ إليكم ويحالفكم عن الجميع فإن لم ترضوا بذلك فنحن داخلون البلد

فلما سمع مولانا الشريف بممسك مراسيله تعب التعب الشديد ولم يرد جواباً للسيد أحمد بن غالب. فكتب مولانا الشريف عرضين آخرين غير التي مسكها السيد أحمد بن غالب. وبعد يومين أو ثلاثة كتبوا كذلك عرضين، وذكروا في كل من العرضين ما وقع من مسكه لمكاتيب الشريف والجواب الذي أرسله إليهم من جهة المنكسر، ولم يطلع على إرسال هذه العروض ولا يعلم من توجه بها وهل راحت براً أو بحراً وكان الأمر فيها مبني على السكوت خوفاً من التعرض لها.

وفي اليوم العاشر [من] رجب الفرد نهار الأربعاء ورد خبر مولانا الشريف سعيد : أن السيد أحمد بن غالب وصل إلى ينبع هو والسادة الأشراف الذين هم بصحبته. وأنه نادى في البلاد : بلاد الله وبلاد سعيد بن سعد وأنتم في عرض أحمد بن غالب وكل من راح عليه عقال يأخذ بعيراً، وفي يوم أربعة عشر أيضاً ورد خبراً من ينبع أن مولانا السيد أحمد بن غالب خالف العسكر، عسكر مولانا الشريف سعيد الذي في ينبع وعدتهم نحو المائتين وكلهم من يافع

فبعد وصول الخبر لمولانا الشريف أحضر عسكر مصر، وكذلك الأشراف وأخبرهم بما وقع من السيد أحمد بن غالب ومحالفته للعسكر فقال العسكر والأشراف :

نحن تحت تدبيرك وتحت أمرك وإن أردت تندر للسيد أحمد معك. وأما إن أرسلت غيرك فلا نروح فنسأل الكريم أن يحقن دماء المسلمين.

وفي يوم الأحد الواحد والعشرين [من] شعبان وصل ثلاثة نجابة من بني صخر من عند صالح باشا من الشام وصحبتهم أوراق من مولانا الشريف سعد إلى ابنه تعزيه في عمه، وتهنيه بالملك نهار الثلاثاء الثالث والعشرين [من] الشهر ردوا لهم الجواب وتوجهوا مع سلامة الله.

وفي ليلة الثلاثاء غرة رمضان وصل الشيخ سعيد المنوفي من البحر في بعض المراكب المصرية التي كانت في ينبع؛ لأنه حال ما فسح له السيد أحمد بن غالب ركب في البحر وأتى وأما أحمد شلبي ابن البغدادي الذي كان صحبة الشيخ سعيد فتوجه إلى مصر فحال وصول الشيخ سعيد المنوفي إلى مكة وقت أذان العشاء فجاء [٧٨/ب] إلى بيت يوسف السقطي وزير الشريف سعيد فوجد الشريف عند يوسف السقطي وأخبره بجميع ما وقع له مع السيد أحمد بن غالب.

وفي يوم أربعة عشر [من] رمضان وصل مكتوب من عند السنجق إلى أفندي الشرع وإلى السردار على أن جاءني صورة أمر من باشا مصر ومن الأغوات الذي بمصر أن الولاية للسيد أحمد بن غالب وأنكم يا عسكر مصر تبرزوا إليه وتقابلوه بآلاي عظيم، فطلع الأفندي والسردار إلى مولانا الشريف سعيد، وذكروا له ما أخبرهم به السنجق فقال :

ما أحسن ذلك إن كان بيدكم! أو بيد أحمد غالب أمر سلطاني فيأتوا به ونحن مطيعون للأمر السلطاني، وإن كان أمراً باشاوياً فالباشا حكمه على مصر وصعيدها يعزل فيها ويولي، فدون مكة السيف.

فقال له الأفندي : يا مولانا هذا وزير مصر له يعزل ويولي.

فقال له الجواب : تكذب لمثلك يعزل ويولي.

فالتفت للسرادير وقال له : ما منعكم عن الخروج للسنجق؟ ولكن اعلموا أنكم من حال تندروا أول ما حط السيف فيكم وإلا أمسكوا بيوتكم ولا تكونوا معنا ولا مع غيرنا.

وأما السنجق فسطر إليه كتاباً بعد ما سمع من الأفندي بأنه نادى في جدة : أن البلاد بلاد الله وبلاد السلطان سليمان وبلد السيد أحمد بن غالب، فكتب إليه إن كان معك أمر سلطاني فأقبل أنت ومن معك. وإلا فأرجع من حيث جئت أنت ومن معك.

فعزم إليه المورق فوجده في الطريق، فبعدُ قرأ الكتاب فأرسل الجواب : لابد من الدخول.

فلما وصل إليه مكتوب السنجق : لابد من الدخول

أمر مولانا الشريف العسكر [أن] يحزبوا وأمسكوا المنائر والمتاريس، وأرسل إليه نحو ستين عسكرياً منهم أربعون خيالاً والباقي دبابة، وأرسل بصحبتهم السيد حسن بن عبد الكريم بن حسن بن علي بن باز وقال لهم : أين ما وجدتم السنجق فردوه، فإن امتنع فحطوا فيه السيف

فعزموا بعد صلاة العشاء فواجهوا مخيم السنجق قد أقبل على قهوة سالم فردهم ووصلوا إليه فتقدم إليه السيد حسن بن عبد الكريم وقال له :

يا محمد بيك، يقول لك الشريف سعيد : ارجع وإذا لم ترجع وإلا قاتلتك في هذا المكان الذي أنت فيه، ومن حذر فقد أنذر.

وقال للأشراف الذين وصلوا صحبة السنجق : يقول لكم الشريف : ما لكم جلوس في ديرتي ؟ ارجعوا من حيث جئتم.

فقالوا : السمع والطاعة

ورجعوا إلى جدة السنجق والأشراف الذين معه، وحال رجوع حسن بن عبد الكريم والعسكر الذين معه وجدوا مورق من عند الأفندي، ومن عند السردار : أننا لا نستطيع الوصول إليك فإن أمكنك الإتيان ليلاً إلى المدرسة أنت والأشراف الذين معك فأمسكوا المورق وأتوا به إلى مولانا الشريف

فظهر له أن الأفندي والسردار وبعض جماعة من خدامه ظهر لهم خداع محمد البغدادي فناداه الشريف وقال [له] : يا بغدادي ظهر أنك موالس

فحلف له : أني معك.

وفي ليلة الواحد والعشرين [من] رمضان أتى بعض العسكر فوجدوا المورق رايح ومعه كتاب من محمد أغا البغدادي للسيد أحمد بن غالب فأخذوا المكتوب، وأتوا به إلى الشريف سعيد فتحقق [٧٩/أ] منه أنه موالس؛ فناداه بعد صلاة التراويح فقال : يا محمد أغا، أعطنا أيوان في منصبك فلوس ماذا عندك؟

فقال : مبخرة مشممة أنا من زمان الشريف أحمد بن زيد مرادي أكون نفر.

فقال له الشريف : كيف تكاتب أحمد بن غالب وتخونني؟!

فقال : أبداً ما وقع مني شيء من ذلك.

فقال له : قل وحياتك ما كاتبت؟

فحلف له : بحياته.

فأخرج له مكتوبه الذي أرسله لأحمد بن غالب، فلما عرف المكتوب طلب من مولانا الشريف العفو. فقال له : كيف تخونني وأنت أخذت مني نهار الهلال ثمانين أحمر جامكيتك وجامكيت عبيدك ضموه وكتفوه؟!

فأرسلوا لعبده بشير فوجده قد أتى من عمرة ويصلي بالحجر فقال له المرسول : كلم الشريف .

فطلع فوجد سيده مربوطاً فقال له الشريف : يعجبك فعائل سيدك؟

فقال : والله نصحته فأبى [أن] يقبل النصيحة، وأما أنا فمظلوم

فقال : ضموه فوضعوا الجنازير في حلوقهم.

فقال الشريف : أظهروهم [في] الواسعة؛ فودوهم، ورموا رؤوسهم،

وأمر الشريف بنهب بيت محمد أغا البغدادي، فحال ما أتوا عبيد الشريف إلى بيته وجدوا العبيد الذين في البيت فأخذوا الخيل لأنها كانت في

حوش خارج البيت، فأحس عبيده بذلك فصكوا الباب وطلعوا إلى الشبابيك فصاروا يرمون بالرصاص، فسارت عليهم نحو المائتين من عسكر الشريف وعبيده وحاصروهم من بعد العشاء إلى وقت التذكير؛ فتكاثروا عليهم وكسروا الباب بالفيسان والفواقيش وهجموا عليهم فحال هجومهم عليهم ضرب شاهين عبد البغدادي وأحد من العسكر فقتله فأمسكوا العبيد وأنزلوهم إلى الشريف وفتشوا على شاهين فوجدوه قد دخل على السيد واصل بن أحمد بن باز؛ لأن ثلاثة من الأشراف كانوا صحبة عسكر واصل وأخيه، وعدنان بن حسن، فقال واصل لعدنان : أوصل شاهين للشريف. وأخبره أنه دخل علي

فنزل به عدنان إلى بيت الشريف وقد سبق شاووش العسكر إلى الشريف، واستفسح في قتل شاهين قصاصاً في رفيقهم المقتول ففسح لهم في قتله فلما وصل باب الشريف السيد عدنان بشاهين قال له العسكر : هذا قتل رفيقنا لابد من قتله

فأراد منعهم، فصاح عليه الشريف من الروشن : كبه أنا فسحت لهم فيه فنزلوا عليه بالسيوف، وبقية العبيد وضعوهم في الحديد وبعد ذلك صاروا من جملة عبيد الشريف ونهبوا البيت وباعوا جميع أسبابه إلى بيت المال.

وفي الليلة التاسعة والعشرين [من] رمضان وصل خبر وصول أحمد بن غالب إلى وادي مرو وأنه مجتمع هو والأشراف والسنجق فأمر الشريف ببناء المتاريس في الجوخي وبنيت ووضعت فيها العساكر وكذلك في الخشخانه والدفتردار، ووضعوا فيهما العساكر، وهذان المحلان تسميا بهذه الأسماء وغالب المحلات المشرفة وضعوا فيها العساكر.

وفي هذه الليلة - ليلة العيد - وصل أحمد بن غالب ومن معه إلى النوارية نصف الطريق إلى الوادي والشريف إلى الغاية في الحزبة. ومع هذا لم يختل عليه شيء من جلوسه في ليلة العيد والتكبير على العادة، وأجاز الشعراء على قصائدهم، فلما كان صبيحة العيد لم يحضر الصلاة والخطبة إلا قليل من الناس من الخوف، وأما البلد فلله الحمد والمنة لم يقع فيها شيء من

الخلاف، فبعد الصلاة أتى الخطيب تاج الدين القلعي إلى بيت الشريف وعايد الشريف والخيل [٧٩/ب] والعساكر على باب الشريف فأرسل الشريف السيد واصل بن أحمد ومعه بعض الأشراف وأن يتحققوا الأمر السلطاني والباشوي واجتمع بهم الأشراف الذين مع أحمد غالب وأطلعوهم. فأتوا إلى الشريف وأخبروه أنه أمر سلطاني، فانحل الأشراف وقالوا له : نحن نمسك ولا نخالف الأمر السلطاني.

فلما رأى نفسه وحيداً عزم على الخروج من مكة وأرسل إلى العساكر [أن] ينزلوا المتاريس وخرج من مكة ليلة الجمعة الثاني [من] شوال وتوجه إلى الطائف، وخرج معه السيد مساعد والسيد عبد المحسن وخرجوا جميعاً من مكة نصف الليل وكانت مدة ولايته بعد عمه أربعة أشهر وعشرة أيام.

وفي يوم الجمعة الثاني [من] شوال سنة تسع وتسعين دخل إلى مكة مولانا الشريف أحمد بن غالب متولياً مكة في موكب عظيم ومعه سنجق جدة محمد أبو شنب والكيخيه باشا مصر وسبعة شرابجه من السبع البلكات ونزل في بيته الدور، وعزل الحاكم أحمد بن جوهر، وولي عبده سنبل الحكامة، وعزل أحمد الملطاني من الدويدارية وولي قاسم التربيني ولم يدخل مع الشريف أحمد في الموكب سوى يافع. وسبب ذلك أنهم تحزبوا وخرجوا للجوخي لحرب الشريف أحمد بن غالب فقال لهم : إن أردتم [أن] تخدموا فاخدموا مولانا. أما الميمنة والباب فقد أعطيناها ليافع وهي كانت لهم فرجعوا ولم يمشوا في الموكب. فبعد نهار من رضوا على هذا كاتبوهم جميعاً، فجهز منهم مولانا الشريف أحمد بن غالب رتبة إلى الطائف نحو المائة والخمسين صحبة أولاد جازان، وجهز منهم رتبة إلى ينبع ورتبة إلى القنفذة.

وفي يوم الإثنين التاسع عشر [من] شوال أتى مورق إلى الشريف سعيد ابن سعد بأن الشريف سعد أول النهار وأخبره أن وراءه نجابة؛ فأرسل مولانا الشريف سعيد خياله يتلقونهم فدخلوا آخر النهار ثلاثة أنفس من بني صخر.

ومعهم كتاب من مولانا الشريف سعد : أني قد توليت مكة، وأني مقبل عليكم فإن كنتم في البلد فأحفظوا الديرة، وإن كنتم خارج البلد فواجهوني

فلما رأوا الكتاب حصل لهم غاية السرور والغطارف ولعبوا الحمام وكان السرور بالخبر الذي وصل إليهم؛ فأصبح جميع من في الطائف من الأشراف والحضور والعساكر والعربان يهنئونهم، فتعب الأشراف الذين من جانب الشريف أحمد بن غالب من هذا الأمر وأرسلوا وعرفوا الشريف أحمد ابن غالب من التعب من هـذا الأمر الشائع، وفي يوم الأربعاء جاء هذا الخبر للشريف من الطائف .

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين [من] شـوال وصلت نجابه من مصر من باشا مصر تخبر بأنه قد وصلت إلينا القفاطين السلطانية باسمكم، وأنها خارجة من مصر نهار ثمان [من] شوال فأرسل مولانا الشريف أحمد بن غالب إلى الطائف أخاه حسن بن غالب والسيد عبد الله بن هاشم، والسيد شبير بن مبارك ليكشفوا عن حقيقة خبر الشريف سعد : كيف هذا الخبر المتناقض؟!

وأوصى العسكر المتوجهين إلى الشرق صحبة السيد محمد بن مساعد أن يدخلوا الطائف [٨٠/أ] صحبة السيد عبد الله والسيد حسن بن غالب والسيد شبير بن مبارك، فحين بلغ عسكر اليمن الذين في الطائف وصول الأشراف خرجوا لملاقاتهم، فلما علموا أن صحبتهم يافع امتنعوا لئلا يمكنوهم من الدخول، ولزموا عليهم المتاريس فحاولوهم الأشراف أشد المحاولة فامتنعوا من دخولهم، فأرسل الأشراف وعرفوا الشريف بفعل عسكر اليمن، فأرسل إليهم جماعة من كبارهم : إن كنتم مطيعون فاقبلوا واتركوا الطائف وإن كنتم عاصين فعرفونا.

فبعد [ما] وصلهم هذا الخبر امتثلوا للأمر وخرجوا من الطائف ودخلوا مكة نهار الجمعة السابع [من] ذي القعدة.

وفي يوم الأحد الرابع [من] شوال ادعى عسكر مصر على القائد أحمد بن جوهر: ما سبب قتل البغدادي ونهب ماله إلا أنت.

فدخل على أحمد بن سعيد بن شنبر فمنعه منهم. فقال لهم : إن كان لكم حق فيكون على يد الشريف أحمد بن غالب

فحضروا ولم يثبت لهم عليه وجه من الوجوه وكذلك ادعوا على الجمال محمد علي بن سليم وزير مولانا الشريف سعد : أنك أنت الذي أشرت على مولانا الشريف سعيد بقتل محمد أغا البغدادي.

فدخل أيضاً على مولانا أحمد بن سعيد فأمره مولانا الشريف أن يغيب وجهه عنهم في الوادي إلى أن يروح الحج، هذا ولم يكن منه ولا من القائد خبر في قتل هذا الرجل ولا في بالهم إلا أن الشريف قصد بسفره إلى جهة اليمن فتغير الاتجاه فبعد حضور الجمال عند القائد فصار من أمرهم ما صار، وختم الله لهم بالشهادة رحمة الله عليهم أجمعين.

وفي يوم الثلاثاء الرابع [من] ذي القعدة الحرام قطع الشريف (رأس) عبدٍ أسود للسيد عبد الكريم بن حامد، وهذا العبد معربدٌ فأراح الله منه المسلمين، وفي يوم السبت الثامن [من] ذي القعدة الحرام دخلت القفاطين السلطانية صحبة سليمان أغا سلخور مولانا السلطان سليمان نصره الله تعالى باسم مولانا الشريف أحمد بن غالب ولبس القفطان السلطاني قفطان بفرو سمور في الحطيم على ما جرت به العادة، وكان محضراً عظيماً بحضور السادة العلماء والأفندي وشيخ الحرم وأغوات الباشا وعساكر مصر.

[أحداث عام 1100 هـ]

وفي عام مائة وألف يوم اثنين وعشرين في عاشور أمر الشريف أحمد بن غالب بمسك السكَّاكين وسبب ذلك أنه وُلِّيَ ناظر جديد يسمى حسن بن علوة الحضري فنادى المنادي أن المحلقة سالكة إلا النحاس والرصاص فشالوا أهل الدكاكين بضائعهم فعدم السمن واللحم والبن،فأمر مولانا الشريف بتعمير السوق فطلع السوقة للشريف وقالوا له : يا سيدي أهل البضائع ما يأخذون إلا ذهباً وقروشاً، وأنتم ناديتم علي أن السكة سالكة وهذا أمر يضر بنا.

فنادى الصيارفة فقال لهم : كيف قصة هذه المحلقة؟

قالوا : هذه السكة كلها نحاس ولا يصح بها بيع ولا شراء.

فقال لشيخ الصيارفة : ردوه والله إذا لم تعرفني بسكاكين وإلا شنقتك

فقال شيخ الصيارفة : تعين السكَّاكين على غيري؟!

وأشار إلى الحاكم، لأن الحاكم له يد معهم يأخذ منهم كل يوم شيئاً معيناً على كل واحد شيء. فالتفت الشريف للحاكم وقال له : أحضر لنا السكَّاكين

فمسكوا أولاد محمد بن عثمان المزين ووالده اختفى، ومسكوا محمد بن عثمان بافضل ومسكوا اثنين من الهنود اللواتية [٨٠/ب] وأطلعوهم للشريف فقال لهم الشريف : أعطاكم الله ثلاثة أيام واخرجوا من البلد لا أحد منكم يجلس

فنزلوا من عند الشريف على هذا ولم يخرجوا بعد ثلاثة أيام. فأمر الشريف بنهب بيوتهم، فنهبوا جميع ما معهم إلا محمداً بن عثمان بافضل؛ لأن صهورته ذوي شيبة لما سمعوا أنه مسك جلسوا في البيت فلم يقدر أحد أن يتجرأ عليهم، وأما محمد بن عثمان المزين فسبب غدره السيد حمزة بن موسى؛ لأنه شرع يحاول الشريف بنحو ثلاثمائة أحمر على جلوسه في البلد، فامتنع الشريف ولا خطر بباله أنهم ينهبونهم لأنه في وجهه فنهبوا جميع ما في بيته وأخرجوا منة بندق وسيوف ومصاغ وذهب وقروش وجوار، وأيضاً [نهبت] بيوت أولاده، وأخرجوا أهله من البيت ولم يتركوا لهم شيئاً، وواحد من أولاده من جماعة العرب ردوا ثيابه وسيفه وبندقه وأما محمد المزين وأولاده فعزموا إلى الوادي إلى مبارك بن موسى فجلس عندهم يريد السفر، فأتبعوا الشريف من أشراف وغيرهم في طلب مالهم عند محمد المزين من الرهون، فأرسل له الشريف فطلبه ليبين رهون الناس، فأرسل له مبارك بن موسى، شبير بن بشير وأدخله عليه حتى لا يحصل عليه شيء من الخلاف فعزم شبير بن بشير هو وإياه إلى الشريف وأخبره بما هو للناس وما هو له، فظهر للشريف أن

نائب الحاكم أخذ شيئاً كثيرا فأمر الحاكم بالتفحص عما أخذه، فنادى الحاكم سنبل رجلاً يسمى ابن الشريكي فسأله : فدس عليه؟

فحلفه بحياته فلم يحلف، وأقر بجميع ما اشترى من المشتروات من مال المزين فقال الحاكم للشريف : أنصفني من هذا الرجل الذي حاولته ولم يقر

فأمره الشريف بضربه ثمانين سوطاً، فضربه على ما أمره الشريف وقال الحاكم النائب وأحضره عند الشريف فسأله الشريف عن حوائج المزين فلم يقر بما أخذه إلا بخشخانة فارغة وصندوق، فأمر بحبسه ونهب بيته، فأخذ جميع ما حصله لأنه اشترى عبيداً وجواري وفرشاً وأمتعة بجملة من الدراهم فصح ما أخذه من مال المزين من النقد ألف أحمر.

فأخذوا جميع ما في بيته وعزلوه عن منصبه، وولي بعده عبده مثقال نيابة الحاكم والذي وجد مع المزين اثنا عشر بيتاً وخمس، وجاب ما في الوادي وبلدان في وادي نعمان وصرا وحبا وشيئاً كثيراً هذا ما وقع لمحمد المزين وجميع هذا أخذوه للدولة ولم يبقوا له شيء.

وأما بقية السكَّاكين فكذلك نهبوا بيوتهم ودكاكينهم ما عدا محمد بن عثمان بافضل فإنه لم يؤخذ من حوائجه شيء وكلهم أنزلوهم جدة وسفروهم أجارنا الله وإياكم والمسلمين شر الدولة آمين آمين.

وفي اليوم السادس [من] عاشوراء برز مولانا الشريف أحمد بن غالب بعد صلاة الظهر ولم يتفق لأحد من الملوك أن يبرزوا في هذا الوقت ونزل في طوى قصده الشام جهة المدينة.

وفي يوم السبت غرة ربيع تولى القائد سنبل عبد الشريف [٨١/أ] أحمد بن غالب الوزارة وعزل إبراهيم حميدان، وتقلد القائد سنبل المنصبين الوزارة والحكامة وهذا لم يتفق لغيره فسبحان القادر على كل شيء.

وفي يوم الجمعة السادس [من] ربيع الثاني وصل إلى مولانا الشريف أحمد بن غالب نجاب من مصر، ومعه أمر من الشريف والأشراف وعساكر مصر

وسنجق جدة بالمسير على العرب الذين أخذوا الحج المصري، فقرأ مولانا الشريف الأمر على أغاوات عسكر مصر؛ فحصل لهم تعب بعد وصول كتبهم على جاري العادة؛ لأن العادة تأتيهم كتب وتأتيهم التجار صحبة مكاتيب الشريف، وفي هذه المرة ما أتت المكاتيب إلا للشريف فقط فتوهموا عدم صحة المكاتيب.

وفي يوم السبت السابع [من] ربيع الثاني وصل أمير المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام ومعه نحو العشرين رجل من بني صخر ولم يظهر لهم خبر. وفي يوم الخميس العاشر [من] جمادى الأولى وصل أغا ومعه السيد حسن الحارث، وبصحبة الأغا أمرين :

الأمر الأول - من جهة عسكر مصر أن الشريف لا يعترض لهم وأن كل عسكري أمره أغاته

الأمر الثاني - أن الشريف يصلح السيد ناصر الحارث وأخوته وأن يطلق عليهم جميع المنكسر من يوم تولى إلى يوم تاريخه.

وفي يوم الأحد الثالث عشر [من] جمادى الأولى وصل مورق من الطائف، وفي يوم الأربعاء السادس عشر [من] جمادى الأولى وصلوا إلى مكة بعد صلاة العشاء وهم أربعة أنفس، ومعهم خدم، وأتباع نحو المائة فقابلهم الشريف أحمد بن غالب أحسن مقابلة، وعين لهم المصرف، وأسكنهم في بيوت بعضهم في بيت علي نصار في الشبيكة وبعضهم في بيت ابن ميلم في المسفلة.

وليلة الخميس وصل سنجق جدة والأغا الذي جاء صحبة حسن الحارث، لأنه وصل السنجق قفطان صحبة الأغا، فألبسه في جدة وطلع هو وإياه ونزل في طوى مقابل للشريف أحمد بن غالب. فبعد يومين رحل الشريف أحمد بن غالب من منزله الذي برز فيه في طوى إلى بستان الوزير سابقاً عثمان حميدان، ومن قبله بيومين. تحول أيضاً السنجق محمد بيك ونصب مخيمه في المنحنى وكان يوم تحوله بموكب عظيم في غاية المحاسن.

وفي ليلة الإثنين السادس [من] جمادى الآخرة توفي إلى رحمة الله مولانا الشيخ الصالح شيخ مشايخ الإسلام والمسلمين الخطيب المدرس ببلد الله الأمين من افتخرت بوجوده المدارس والمنابر وتعطلت بموته المحابر والمنابر مولانا وشيخنا وقدوتنا وعمدتنا الشيخ علي بن مولانا القاضي عصام الدين تغمدهم الله برحمته، وأسكنهم فسيح جنته، ودفن بالمعلاة تجاه مقبرة سيدي عمر عرابي في تربة السيد زكريا تحت قبر مولانا علاء الدين الكرماني، وكان له مشهد عظيم بعد طلوع الشمس وصلى [٨١/ب] عليه ابن عمه الشيخ عبد الملك العصامي، كان من الناس الذين لا يخافون في الله لومة لائم وكان أهل الاستحقاقات مستريحين، بوجودهم وكان من الساعين في مصالح المسلمين، وفي ليلة التسع [من] جمادى الآخرة سافر وخمسة أنفس من مكة أرسلوهم إلى جدة وقصدهم يرسلونهم إلى اليمن، منهم عثمان المدني رماه عبده عند الوزير سنبل بأنه يسك وجاب العدة إلى الوزير فكبس ومسك وحط في الزنجير، والمدني الآخر كذلك له يد في السكة، والتكارنة ذنبهم السحر، فسفروا الجميع فنسأل الله العافية.

وفي يوم الجمعة العاشر [من] جمادى الآخرة عزم الوزير سنبل مولانا الشريف، فبعدما صلى الجمعة عزم إلى بيت الوزير سنبل في بيت ثقبة بن قتادة فاستمر عنده إلى العصر فقدم الوزير للشريف فرساً بعدتها ورختها وثلاثة عبيد وفروسمور وكيسين فيها ألف فرش، وخرج من عنده أذان العصر وتوجه إلى البستان حق عثمان حميدان.

وفي يوم الأحد الثاني عشر [من] جمادى الآخرة اشتكت حرمة بنت حسن البصري الدلال زوجها على الشريف، فلما سمع زوجها دخل على بشير بن مبارك بن فضل، فأرسل مولانا الشريف الزوج والزوجه إلى الوزير، وأمره أن يدفعهم إلى الشرع الشريف؛ فدفعهم إلى الشرع، فثبت الحق للزوجة، فأمرها القاضي أن تروح إلى بيتها حتى يخلصها زوجها ما ثبت عليه عند القاضي، فراحت إلى أبيها فراح زوجها إلى بشير فأخبره، فأرسل بشير إلى الوزير بأنك

أرسل إلى الحرمة مرسولاً مع مرسولي يروح بها إلى بيت زوجها فأرسل لها عبيداً من بشير ومن الوزير سنبل فأخذوها حسماً وراحوا بها إلى الزوج فراحت أم البنت وأبوها إلى الشريف وأخبروه بما حكم القاضي وبما سلك فيهم بشير فأرسل مولانا الشريف وطلب منه الحكم فأخبره بما قالته الحرمة؛ فأرسل إلى الوزير واستدعاه فمجرد [أن] جاء إليه قال له : أنت تخالف الشرع لأجل رشوة وإلا لأجل بشير ؟

فاستعفى فلم يعفوا عنه فأمر عليه الشاووش أن يمسكه فامتنع، فقام الشريف على الشاووش وضربه بعصى حتى كسرها عليه، فأمر على الوزير ففسخ ثيابه وما كان عليه وضربه بيده وأمر بحبسه فبعد ساعة أمر بضرب العبيد وأمر بعض العبيد، أن يكسروا رقبته فسمعت الشريفة مزينة فأرسلت ولدها أبو طالب وتشفعت فيه؛ فقبلت شفاعتها ففك ولبس ثيابه ونزل بعد المغرب سالم عاطب، وأما العجمى فضربوه نحو ثلثمائة عصاه الذي هو زوج البنت، فلله در القائل :

إذا رأيتَ أموراً منها القلوبُ تفتَتْ

فَتِش عليها تجدْهَا مِنَ النِّساء تَأتَتْ

فبعد ذلك صمم الشريف على عزله من الوزارة والحكامة وأراد [أن] يرد إبراهيم حميدان ويعطي الحكامة لأحمد بن ريحان فتشفع له الشيخ عبد الواحد الشيبي والشيخ عبد المعطي الشيبي نحو أربعة أيام يحاولون مولانا الشريف على الرضا فبعد ذلك رضي عليه، فألبسه نهار الجمعة التاسع عشر [٨٢/أ] [من] جمادى الآخرة فرو سمور على جوخ خمري وأبقى على منصبه.

وفي يوم الخميس غرة رجب الفرد وقعت فتنة عظيمة وسبب ذلك أن بعض التجار المصريين توفى إلى رحمة الله تعالى وآخر فطر، فقام بعض العسكر طلب الوكالة على القطر وأرشى فيها أفندي الشرع الشريف فقام ولد أخو الميت يسمى حسن الفيومي، ورفع أمره إلى الشريف، وجرت بينهم أمور

يطول شرحها. فقام سردار الانكشارية وضرب الرجل الذي جعل وكيلاً، فتعب الأفندي من ذلك أنا بعد حكمى لرجل بحكم من أين لكم تضربوه.؟!

وفي يوم التاسع والعشرين [من] جمادى الآخرة يوم الأربعاء وصل المحكمة، ومنها طلع إلى بستان حميدان لمولانا الشريف واشتكى عليه السردار فهلَّ تلك الليلة الهلال، ونزل مولانا الشريف إلى البلد، فاجتمعت الأغاوات والأفندية وأكابر البلد؛ فوقع بينهم الجدال. فقال أفندي الشرع للسردار : الإنكشارية كفرت!

ففز السردار بحمق وقال للأفندي : ما يكفر إلا من أخذ الرشوة.

فلما رأى جوخ دار فزة السردار ظن أنه يقصد البطش بالأفندي فهرب من الديوان ففرت بعض الخدم، فتفازعت عبيد الشريف الذي في الحوش فظلوا شاهرين السلاح، فالناس الذين في السوق وجاءهم الخبر :

أن وقع في بيت الشريف ضرب بسيف بين العسكر فدقوا الأنكشارية زيرهم واجتمعوا في بيت السردار وغالب السوق عزل. كل هذا على طريق الوهم. وتفرقوا من المجلس ولم يحصل هناك غير ما ذكر والحمد لله على حقن دماء المسلمين. ومما اتفق في المدينة المنورة على ساكنها أفضل السلام.

وفي أول رجب الفرد أن رجلا من الهنود التجار فقد من محله صندوق فيه ستة آلاف قرش، والباب مصكوك ولا عرف كيف أخذت. فراح الهندي إلى الدولة وأخبرهم فتحيروا في أمره ولم يعرفوا كيف يصنعون. فأرسل السيد بشير بن مبارك بن فضل؛ لأنه كان قائماً مقام الشريف في المدينة، فأرسل للحاكم المعزول يسمى القائد راشد فقال له : دبرنا في هذا الأمر، أي في هذا المال حق الهندي.

فقال راشد : أشرفوني على هذا المحل الذي أخذت منه الدراهم ولا يكون إلا خير.

فراح إلى بيت الهندي، فما رأى على المحل الذي أخذت منه الدراهم مسلك ولا طريق والباب مصكوك فسأل الهندي : من يجيك ؟

فقال الهندي : جاءني محمد بن عمار، واشتريت منه سواراً وأعطيته من الصندوق ثلاثين أحمر.

فعرف الحاكم المعزول أن هذا استخطاف فعزم للسيد بشير وقال له : هذا المال عند محمد بن عمار، فإذا لم تلزمه ما ظفرت بهذه الدراهم.

فأرسل السيد بشير لابن عمار ففتشوا عليه في بيته فلم يجدوه، فراح لابن عمار الخبر فواجوه المراسيل [٨٢/ب] [من] خارج المدينة فحالما رأءهم دخل في العين واختفى عليهم فعرفوا السيد بخبر بشير فأمر عبيد العين أن يدخلوا ويفتشوا فدخلوا فلم يجدوه واختفى عليهم نحو ثمانية أيام، فبعد الأيام الثمانية جاء إلى بيت أولاد شيخي شلبي من أعيان فقهاء المدينة وطلب منهم : أن هذا الأمر الذي اتهموني به أنا بريء منه ومقصودي الوجه الشرعي

فأرسلوا إلى سيد بشير بهذا الأمر فنادى الهندي وأمره بالمراح إلى الشرع هو وإياه فحضروا جميعاً عند القاضي فادعى الهندي على محمد بن عمار فلم يثبت عليه شيء، فدعاهم إلى السيد بشير فلطف به السيد بشير وقال له : عهد الله بيني وبينك أن أعطيتنا الدراهم لنستر الأمر، ولا أحد يطلع على هذا الأمر

فأظهر التعب من هذا القول، وأجاب : إني أصرف من الغيب وأنا عندي أن أعطي الهندي من مالي خمسمائة أحمر، ولا أتهم بمثل هذا الأمر

فحاول السيد بشير على أن يقر فقال في الجواب : أعطوني مهلة ثلاثة أيام أطلع لزيارة حمزة فإن ما حصلتموها وإلا أنا أدلكم عليها

فأعطوه مهلة ثلاثة أيام وطلع لزيارة سيدنا حمزة وهو في غاية ما يكون من البسط، فصار الناس تزيد وتنقص في السيد بشير أنه أخذ المال من محمد بن عمار، وأطلقه وهو برئ من هذا الظن الذي ظنوه به. فبعد [ما] نزل من سيدنا حمزة رجع وطلب الوجه الشرعي وكذلك لم يثبت عليه شيء؛ فطلبه السيد بشير [أن يحضر] عنده، فحال ما جاءه قال له : نقضت العهد الذي بيني وبينك فإذا لم تأت بدراهم الهندي وإلا سلكت فيك ما لا يليق فامتنع

فأمر عليه وقرره بأنواع من العذاب فأقر أنه أخذ مال الهندي فأخروه إلى الليل، وعزم بهم إلى بعض الآبار وقال لهم : في هذا المكان.

فنزلوا فوجدوا عنده المال في هذا البئر، ووجدوا أشياء غير هذا المال فأقر لهم أن معه خادم كان يتصرف له في كل ما يريد فالآن له أربعة أيام أطلبه ولا أجده، وقالوا : إن بعض أهل المعرفة حبسه عنه

فبعد هذا ظهر للناس أن أحواله الذي سبقت من دخول الحجرة ومن وجود شخصه في أماكن متعددة أنها كلها حركات الجن والخدام، وظهرت للناس مفاسده، بحيث كان الرجل المختلي بزوجته وما يرى الرجل إلا وهو ثالثهم، وكانت البنت المخدرة ما ترى إلا وهو معها على فراشها، فسبحان الحليم الستار، فأفتى عليه بعض العلماء أنه يستحق القتل، فصار الناس فيه فرقاً مختلفة فمنهم من يقول : يستحق القتل

وبعضهم من يقول : لا يستحق القتل .. وغير ذلك.

فبعد [أن] أفتى السيد بقتله ركبوه على حمار مقلوباً إلى آخر النهار، فبعد العصر جاءوا به إلى باب المصري فشنق، فبعد أن علقوه قطع الحبل وطاح فتشهد ثانياً وقال : الله الله يا أهل المدينة بأولادي

فعلق، فوجدوا عنده خيرات كثيرة تحف ورخوة وعبيداً وجواري وحصانين ومالاً فأخذوا الجميع ولم يتركوا لأولاده شيئاً أبداً، وكان شنقه نهار الثامن عشر [من] رجب الفرد فنسأل الله العافية والسلامة.

وفي يوم الثلاثاء الثامن عشر [من] شهر شعبان وصل إلى مولانا الشريف أحمد بن غالب قفطان سلطاني، ووصل أغا في فرقيطة إلى ينبع وخرج من ينبع ووصل في البر، ووصلت الفرقيطة إلى جدة بأسبابه وحوائجه وكان نهار دخول القفطان [٨٣/أ] سرور تام، وكان مركباً عظيماً، فلبس مولانا الشريف على جاري العادة تجاه البيت العظيم يحضره السادة الأشراف والسادة العلماء والأفندي المفتي والعساكر، وكان الملبوس قفطانا بفرو سمور فألبس الشريف أرباب المناصب أفروة وقفاطين بحسب مقاماتهم ومدحه الشعراء في ذلك النهار،

وقرئت المراسيم السلطانية على جاري العادة وقرأ في الأمر الواصل إليكم صرة تقسموها على المستحقين بنظركم الشريف.

وكان صحبة الأغا أمراً آخر بمسك بعض الأتراك، فقرأه على مولانا الشريف على الترجمان في البيت، وبعد صلاة العصر أرسل مولانا الشريف على الترجمان ومعه جمع من العبيد إلى أغات الإنكشارية حق إسطنبول. وكان رجل ريس ساكنا في مدرسة الداوودية فجاء إليه الترجمان وقال له : كلم مولانا الشريف

فلما خرج ورأى العبيد عرف أن هذا إرسال غضب فعزم إلى مولانا الشريف فقال له : أنت مطلوب فاستكن للأمر

فأمر مولانا الشريف الحاكم ومعه عبيد أن يعزم إلى بيت الرجل ومعهم [صاحب] بيت المال وبعض جماعة الأفندي فمسكوا جميع أتباعه وختموا على جميع ما كان هناك، وجاء في الليل الأغا والأفندي وبعض خدم الشريف وضبطوا كل ما وجدوه، وجلس أغات الإنكشارية عند الوزير تلك الليلة، وحاول الشريف الأغا في عدم القتل فامتنع وقال : لابد من قتله

فأرسلوه ليلة الخميس ليلة عشرين [من] شهر شعبان، وأرسلوا معه خمسة خياله وبعض العسكر ووصلوا به إلى سبيل محمد شاويش خارج جدة فعزم واحد من الخيالة إلى جدة إلى السنجق وقال له : إن أغات الإنكشارية جاء فيه أمر سلطاني بالقتل

وأعطاه الكتاب من عند أغات القفطان. فأرسل السنجق كيخية القلعة، والحاكم وبعض خدامه ومعهم قواسين، فجاء إلى أغات الإنكشارية في سبيل محمد شاووش فدخل عليه جماعة السنجق وأخبروه أن هذا أمر سلطاني بقتل السعيد فاستسلم للأمر وطلب إبريقاً وتوضأ وصلى ركعتين فدخلوا عليه القواسين وربطوا في حلقه حبلاً فخنقوه فصار إلى رحمة الله، وغسلوه وكفنوه ودفنوه عند السبيل نهار الجمعة في الواحد والعشرين [من] شعبان، ونهار الجمعة ركب أغات القفطان من مكة ونزل إلى جدة بقفطان السنجق قفطان

سلطاني، وأصبح نهار الأحد الثالث والعشرون [من] شعبان ولبس السنجق القفطان. ونهار الجمعة الثامن والعشرون ركب من جدة وأصبح [في] مكة غرة رمضان، وقبل أن ينزل إلى جدة حضر الأفندي وترجمان الشريف، وضبطوا جميع ماله وما حوله ومسكوا كيخية الأغات وخزاندارة وأقرأهم الحمامي بالأموال شيء عنده، وشيء عند الناس، وبينوا ما له وما عليه. فنسأل الله حسن الخاتمة لنا ولجميع المسلمين.

ومما اتفق نهار الجمعة الثالث عشر [من] رمضان أن شربجي من شرابجة الإنكشارية ضرب الوزير سنبل ثلثمائة عصاة، وسبب ذلك أن رجلاً يسمى مصطفى القندلجي اشترى من محمد الحمامي فروا بخمسين قرشاً حال إقبال القفاطين، وكان خَلِقٍ صلحوه بثمانية أحمر، ثم بعد ذلك ما استحسنوا أن يُلْبسوه لأحد من الأكابر فأخذوه وأخذوا غيره ثم، بعد ذلك قال الوزير لمصطفى القندلجي: إن كان صاحب الفرو يرضى رده [٨٣/ب] ونحن نسامحه بثمانية أحمر التي خسرناها، فأعطاه الفرو فقال مصطفى لصاحب الفرو ما قاله الوزير فامتنع وقال : أنا أصبر

ثم بعد أيام طلب من مصطفى الفلوس فقال له : الفلوس عند الوزير فقال له : تأخذ حقي وتقول : عند الوزير شرع الله.

فجاء بعض جماعة السردار وأخذوا مصطفى وراحوا به إلى السردار فقام عليه السردار، وسبه وأمر بحبسه فتشفع له خصمه الحمامي، فخرج مصطفى وأخبر الوزير سنبل بكل ما كان من الحمامي والسردار، فأرسل الوزير للحمامي نحو أربعة مراسيل بطلبه ولم يجئ فأرسل الوزير إلى السردار يشكو الحمامي فقال له في الجواب : هذا شربجي إيش تسوي فيه

فعرف الشريف بما قال السردار فأمره الشريف إذ لم يجيء وإلا يجيبوا رأسه وينهبوا بيته، فراح إليه جملة من العبيد وقالوا له : نحن مأمورون، إذ لم تمشِ معنا وإلا قطعنا رأسك، وننهب بيتك

فاستسلم وأتى معهم فقال له الوزير : لأي شيء تمسك القندلجي خادمنا وتوديه للسردار؟!

فأنكر ذلك فأورد القندلجي الشهود على ما فعله الحمامي، فأمر بضربه فضرب في الرحبة قدام باب الزقاق ثلثمائة عصاة، وأخذوا جميع ما عليه من الملبوس ولم يخلوه إلا في ثوبه وسرواله، وقال له : روح محل ما تريد.

فراح إلى بيته ولم يكلم أحداً من العسكر بمليح ولا قبيح، فبعد أيام رجع الحمامي إلى خدمة الوزير، كل ذلك لطلب هذه الدنيا؛ لأن مراده أنهم يرسلونه لشيء إلى سلطان الهند، فأرسلوه، وهذا ما صار للحمامي مع الوزير سنبل.

وفي ليلة الأربعاء الخامس والعشرين [من] رمضان طلب أغات القفطان فلوس من نائب الأفندي، لأنه اشترى من مال المقتول بعض أسباب فقال المرسول الأغا : نحن نستحق خدمة منه فأخذنا هذا من تحت خدمتنا.

فقال الأغا : هذا مال السلطان، ما عليه خدمة

فقال نائب الأفندي : هذا الأمر مزور.

وتكلم ببعض الكلام فتعب الأغا وأرسل لمولانا الشريف وقال : إذا لم تنصفني منه أي من نائب الأفندي، وإلا قتلته بيدي

فأرسل مولانا الشريف مرسولاً لنائب الأفندي يطلبه فأحس الأفندي أنه مرسول غضب فأتى هو ونائبه، فلما وصلوا أثناء الطريق أرسل الشريف للأفندي ورده، وأتى إليه بالنائب فقال له : أنت قلت هذا مزور؟

فأنكر ذلك فأمر الشريف بحبسه فراح الخبر إلى الأفندي، فأرسل الأفندي إلى الإنكشارية أن هذا الرجل إنكشاري وهو ملزوم عند الشريف فجاء أرباب الدرك إلى الشريف وقالوا له : يا سيدي هذا إنكشاري فنحن نحبسه عندنا، فإن ثبت عليه بالوجه الشرعي فنحن ننصف منه

فأخذوه ومضوا به إلى بيت السردار وحبس، فجاء الأفندي إلى مولانا الشريف يتشفع، فأبى [أن] يقبل، فراح إلى بيته وصك المحكمة نهار الخميس

السادس والعشرين من رمضان وأرسل إلى الريس وقال له : لا تؤذن ولا تصلِ جماعة ولم يمتثل له أمراً

فأرشده بعض الناس أن يروح إلى الشيخ عبدالواحد الشيبي ويتشفع به [٨٤/أ] فجاء إليه في السابع والعشرين [من] رمضان إلى خصمه الشيخ الشيبي هو وباشا سواكن إلى بيت الأغا ودخلوا عليه فسمح [عنهم]، وأرسلوا وفكوا النائب من بيت السردار وجاءوا جميعاً إلى خصمه والشيخ الشيبي في المسجد عند باب الصفا. هذا ما اتفق والسلام.

وفي ليلة الثلاثاء الثالث [من] شوال أرسل مولانا الشريف أحمد بن غالب السيد بشير بن مبارك بن فضل إلى القنفذة ليمسك مبارك بن سليم وزير القنفذة، وأرسل معه ثمانية عشر خيالاً من العسكر. وسبب ذلك أنه بلغه أن مبارك بن سليم حصل منه وليس لبعض الجلاب أن جلبه كسرت وحول المال الذي فيه إلى جلبة أخرى، والجلبة المكسورة لرجل يسمى المنسكي فلما وصل السيد بشير بن مبارك إلى قرب القنفذة جلس. لأن مراده يدخل البلد بليل ويمسك الرجل فكان بعض الناس استخبر بعض العسكر فأخبره أن مرادنا ابن سليم ففي الحال أتى إليه وأخبره ذلك الرجل وعرفه بالحال فأخرج مبارك بن سليم ما كان يعز عليه من الدبش والعيال ووزاه عند واحدة من الشرايف واسم المال وأودعه عند بعض السادات من أولاد الغرب، وركب هو وعبده وسافر إلى رجل يسمى راجح بن مبارك من ذوي مسعود. ودخل على السيد راجح على عدة من الأشراف نحو العشرين فبات مبارك عندهم. فركبوا في الصبح وأتوا إلى بشير وهو قد ورد البلد فتش بيت مبارك فلم يجد فيه إلا ما عافه، فسأل أهل القرية عنه وعن دبشه فقالوا له : راح إلى راجح بن مبارك ودبشه في بيت الشريفة فلانة. ورجل يسمى حسين البحري خادما عنده دزه على المال الذي عند بيت الغرب فأخذه منهم.

فلما جاءوا إليه الأشراف في الصبح وهم مدرعون فقالوا للسيد بشير : إن هذا الرجل قد دخل علينا بماله وروحه. فأنت هات المال الذي أخذته وإلا أندر لقتالنا.

فقال لهم : معي أمر من الشريف بهذا.

فقالوا : لابد من تسليم المال وإن كان لكم عند الرجل حساباً أو شيء تدعو عليه فنحن وكلاء عنه في كلما تدعوه.

فأرسل السيد بشير يعرف الشريف بما وقع، فأرسل إليه الشريف بأن يأخذ جميع ما معه. فنادى في البلد بالمنادي : من عنده [من] مال ابن سليم شيء ولم يجبه فهو الجاني على نفسه

فجابوا كل من كان عندهم شيء، ونهب كل ما كان معه، فباعوا العبيد والجواري والمتاع والأملاك. فجاء السيد بشير صحبة الحج اليماني، وعقب الحج في عاشوراء جاء مبارك بن سليم والسيد راجح، فدخلوا على السيد أحمد بن سعيد، فرضي عليه الشريف، وسمح له بالإقامة في القنفذة والسلام.

وفي يوم الثاني والعشرين [من] شوال جاء خبر السيد عبد الله بن أحمد الحارث بأن حرباً قتلوه في صفر. وسبب ذلك أن حرباً بينهم وبين صبح مقاوم، فتوعدوا أن يكون بينهم الملاقاة يوم السابع عشر، فجاء حرب إلى صبح وقاتلوهم حتى أدخلوهم إلى بدر، وقطعوا نخيلهم فحشم لها باز بن هاشم، وأرسل للسيد عبد الله الحارث يستحشمه من ينبع، فركب السيد عبد الله الحارث وجاء إلى باز في بدر فوجده راكباً فأخذ ساقته فوصلوا صبح ومن معهم من الأشراف إلى الصفرا، فوجدوا [٨٤/ب] القوم فرقتين بعضهم في الجبال وبعضهم في الأرض فحمل صبح والأشراف عليهم، فلما رأوا الأشراف انهزموا فقتلوا من قتلوا، وقطعوا نخيلهم، فلما رأوهم حرب فعلوا ما فعلوا قاتلوهم.

وكان السيد عبد الله الحارث خلف القوم فجاءته رصاصة في جبهته فوقع من على جواده ميتا، وأيضا شريف من بني هجار ضرب برصاصة، ومات

أيضا لوقته فرجع صبح ومن معهم من الأشراف، وراحوا إلى ينبع وتركوا بدراً ولم يخلفوا فيها إلا الحريم. فبعد أيام وصل السيد باز إلى مكة، فبعد يوم الرابع عشر [من] ذي القعدة أرسل مولانا الشريف محمد بن مساعد، عوض السيد عبد الله الحارث إلى ينبع ومعه رتبة من العسكر زيادة على الرتبة الأولى، فدخل ينبع وجلس فيها عِوَض السيد عبد الله الحارث.

قسم المصادر والمراجع

أولًا: المخطوطات

(1) البكري : محمد بن أبي سرور: الروضة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية،مخطوط بدار الكتب المصرية برقم (5517) تاريخ

(2) البكري: محمد بن أبي سرور: الروضة المأنوسة في أخبار مصر المحروسة، مخطوط بدار الكتب المصرية برقم (2261) تاريخ

(3) البكري: محمد بن أبي سرور: النزهة الزهية في ذكر ولاة مصر والقاهرة المعزية،مخطوط بدار الكتب المصرية برقم (2266) تاريخ

(4) الجزيري عمدة الصفوة في حل القهوة،مخطوط بمكتبة الإسكندرية تحت رقم (ن 1128ب).

(5) الطاهر: عبد الهادي محمد صالح. الدر الفاخر في خبر الأوائل والأواخر،مخطوط بمكتبة الحرم الشريف برقم (3483، 3278) تاريخ

(6) الطبري عبد القادر. أنباء البرية بالأنباء الطبرية، مخطوط بمكتبة الحرم المكي الشريف برقم (2767).

(7) غازي عبد الله بن محمد نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر حتى القرن الرابع عشر،مخطوط بمكتبة بن دهي برقم (549)

(8) القطان أحمد تنزيل الرحمات في ذكر من مات، مخطوط بمكتبة الحرم الحرام المكي الشريف برقم (2789، 2790) .

ثانيًا: المصادر

القرآن الكريم.

(1) ابن الأثير : عز الدين بن أبي الحسن بن أبي المكرم (ت630 هـ) الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1979م.

(2) ابن إياس: محمد بن أحمد. ت بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفي، ط1 القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1404هـ/ 1984م.

(3) ابن بطوطة أبي عبد الله محمد بن إبراهيم أللواني (ت779هـ) رحلة بن بطوطة دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت 1400هـ /1980م

(4) ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن (ت: 874هـ). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، 1971م .

(5) الإدريسي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت 556هـ) نزهة الأفاق، مكتبة الثقافة العربية، مصر، 1994م.

(6) ابن حجر العسقلاني. الإصابة في تميز الصحابة، مطبعة دار السعادة، مصر، 1328هـ.

(7) ابن حجر: أحمد بن محمد بن محمد بن علي الهيتمي (ت: 974هـ). المناهل العذبة في إصلاح ما وهي من الكعبة، تحقيق عبد الرؤوف بن محمد الكمالي، بيروت، دار البشائر الإسلامية، 1424هـ/ 2003م.

(8) ابن حنبل: أحمد بن محمد (ت241هـ) مسند الإمام أحمد بن محمد، ط1، دار الحديث, القاهرة.

(9) ابن خلكان (680هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمن، تحقيق أحسان عباس، دار صادر، بيروت.

(10) ابن طولون : شمس الدين محمد مفاكهة الخلان في حوادث الزمان نشر وتحقيق محمد مصطفى، ط1، المؤسسة المصرية للكتاب، القاهرة،1381هـ.

(11) ابن فهد عبد العزيز العز النجم (ت: 922هـ) بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى. تحقيق صلاح الدين خليل، وعبد الرحمن حسين، وعليان بن عبد العالي، ط1، دار القلم، القاهرة، 1425هـ/2005م.

(12) ابن فهد عمر الهاشمي المكي. معجم الشيوخ، تحقيق وتقديم، محمد الزاهي، راجعه حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر

(13) ابن فهد محمد بن محمد النجم عمر،(ت885هـ) إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق عبد الكريم علي، ط1، 1408هـ/1988م.

(14) ابن فهد: جار الله بن العز بن نجم ابن فهد النجمي: نيل المني بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى. تحقيق محمد الحبيب الهيلة، مكة المكرمة، مؤسسة الفرقان،1420هـ/2000م.

(15) ابن فهد: جار الله محمد بن عبد العزيز بن عمر (ت 954هـ)، حسن القرى في أودية أم القرى، تحقيق وتقديم، الدكتور على عمر، ط1، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، 1422هـ/2001م.

(16) ابن فهد: عز الدين عبد العزيز عمر بن محمد(ت922هـ). غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، (ط1، مكة جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، 1406هـ/ 1986م).

(17) ابن ماجه، أبي عبد الله بن يزيد الغزو يني، سنن أبن ماجه، حكم على أحاديثه محمد، وأعتني به مشهور بن حسن أل سليمان ، مكتبة المعارف الرياض (ب،ن).

(18) ابن معصوم، على صدر الدين المدني (ت 1120هـ) سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1324هـ.

(19) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم لسان العرب ط 1، دار صادر، بيروت، 1410هـ/1990م.

(20) أبو عبد الله بن ظفر الصقلي حجة الدين. السلوانات سلوان المطاع في عدوان الإتباع، تقديم وتحقيق، أيمن عبد الجابر البحيري، ط1، الأفاق العربية، القاهرة، 1419هـ 1999م,

(21) أحمد الرشيد: حسن الصفاء والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق ليلي عبد اللطيف أحمد، مكتبة الخانجي،مصر،1980م.

(22) ابن زنبل أحمد الرمال: آخرة المماليك، تحقيق عبد المنعم عامر أشرف على إعداد هذه الطبعة وقدما لها عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1998م

(23) أحمد شلبي عبد الغني: أوضح الإشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والبشوات، تحقيق، عبد الرحيم عبد الرحمن، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1978هـ.

(24) الأزرقي: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت 244هـ). أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، ط 7، مكة المكرمة، دار الثقافة للطباعة، 1421هـ /2001م.

(25) الأسفريني: عبد الطاهر بن طاهر أبو منصور البغدادي الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين، القاهرة، 1964م.
(26) الأنصاري، عبد الرحمن (ت 1197هـ)، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنين من الأنساب، تحقيق محمد العروسي المطوي، تونس، المكتبة العتيقية، تونس.
(27) الأنطاكي: داود بن عمر (ت 1008هـ). تذكرة داود المسمي تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب، بإشراف مكتب البحوث والدراسات، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، 1421هـ/2001م.
(28) بافقيه: محمد عمر، تاريخ الشحر، (مكتبة الإرشاد صنعاء، 1999م).
(29) البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري أعتني به صهيب الرومي الكرمي، (بيت الأفكار الدولية، للنشر والتوزيع، 2005م).
(30) البغدادي: صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت 738هـ). مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق، محمد علي البجاوي، (ط1، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 1373هـ /1954م).
(31) الترمزي، محمد بن عيسي ين سودة، سنن الترمذي أعتني به مشهور بن حسن أل السليمان، (الرياض، مكتبة المعارف، (ب-ن)).
(32) الجبرتي: عبد الرحمن، عجائب الآثار في التراجم والاخبار، دار الجيل، بيروت 1978م.
(33) الجزيري: عبد القادر محمد بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم الأنصاري (ت 976هـ). الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق، حمد الجاسر، الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة، 1403هـ/ 1983م.
(34) الحازمي: محمد بن موسي، 548هـ-584هـ الأماكن أو ما اتفق لفظه وأفترق مسماه من الأمكنة أعده للنشر،حمد الجاسر .

(35) الحسن بن أحمد على، الكتاب العزيزي المالك والممالك، جمع وعلق علية تيسير خلف، التكوين،للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2006م.
(36) الحلبي: على بن برهان الدين الحلبي الشافعي (ت 1044هـ)، كتاب السيرة الحلبية في سيرة الأمين والمأمون إنسان العيون، دار المعرفة ب، ت.
(37) الحموي: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت (ت 626هـ). معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
(38) الحنبلي: ابن الفلاح عبد الحي بن العماد (ت 1089 /1678م) شذرات الذهب في إخبار من ذهب، بيروت،دار الفكر، 1994 م
(39) الخفاجي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت 1069هـ)، ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق أحمد عناية، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1426هـ،2005م
(40) الدمرداش: أحمد، الدرة المصانة في أخبار الكنانة،تحقيق دانيل كريسيلوس، وعبد الوهاب بكر،القاهرة، دار الزاهر للنشر 1412هـ.
(41) الدنيوري: محمد بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ)، المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة 1969م.
(42) السبكي: تاج الدين، طبقات الشافعية الكبرى، (ط1،بيروت، دار المعرفة) .
(43) السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ت 902 هـ /1496م التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، بيروت،دار الكتب العلمية، 1414هـ/1993م.
(44) السمهودي: علي بن أحمد أبو الحسن (ت911هـ)،الوفاء بأخبار دار المصطفي، طبع محمد محي الدين عبد الحميد، 1374هـ/1955م.
(45) السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد ت 902 هـ /1496م، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع . ضبطه وحققه عبد اللطيف حسن بن عبد الرحمن، بيروت دار الكتاب العلمية.

(46) السنجاري: على بن تاج الدين بن تقي الدين (ت 1125هـ). منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق ماجدة فيصل زكريا، ط 1،جامعة أم القرى معهد البحوث العلمية ومركز إحياء التراث الإسلامي، 1419هـ / 1998م .

(47) السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، طبع عيسي البابي الحلبي، القاهرة، 1384هـ/ م1964م.

(48) الشرنبلالى: حسن بن عمار، إسعاد آل عثمان المكرم ببناء بيت الله المحرم، دراسة وتحقيق سليمان بن صالح آل كمال،جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية ومركز التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1424هـ/2003م.

(49) الشهرستاني: عبد الكريم، الملل والنحل، تحقيق، عبد العزيز الوكيل، القاهرة، 1980م.

(50) الشوكاني: محمد بن على (ت 1250هـ). البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مكتبة بن تيمية، القاهرة، ب-ت،.

(51) الشيلي: محمد اليمني، السناء الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر،تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي، مكتبة الإرشاد، اليمن، 1425 هـ /2004م.

(52) الشيلي: محمد بن أبي بكر بن أحمد باعلوي، عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر، تحقيق إبراهيم بن أحمد المقحفي. ط1 مكتبة الإرشاد، اليمن، 1424هـ/2003م.

(53) طاشكيري: زادة، الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1359هـ/1975م.

(54) الطبري: عبد القادر (ت1033هـ)، الأرج المسكي في التاريخ المكي، تحقيق أشرف أحمد الجمال، مكة، مكتبة الباز، 1416هـ /2006م,

(55) الطبري: ابي جعفر محمد بن جرير (ت224هـ)، تاريخ الأمم والملوك بيروت، دار الفكر.

(56) الطبري: محمد بن علي بن فضل المكي ت 1173هـ، تاريخ مكة إتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني الحسن، تحقيق محسن بن محمد بن حسن سليم، ط1، دار الكتاب الجامعي،القاهرة .

(57) عبد الله الشرقاوي. أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول، المطبعة الأزهرية، 1311هـ.

(58) العصامي: عبد الملك بن حسين الشافعي المكي (ت 1111هـ) . سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق عادل أحمد عبد الجواد،وعلى محمد معوض،ط 1،بيروت،دار الكتب العلمية، 1419هـ / 1998م.

(59) العيدروس: شمس الشموس محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله (ت 1038هـ)، تاريخ النور السافر، بدون نشر، وسنة.

(60) الغزي نجم الدين محمد بن محمد (ت 1061هـ)، الكواكب السائرة في أخبار المائة العاشرة، بيروت،دار الآفاق الجديدة، 1997م.

(61) الفاسي تقي الدين محمد بن أحمد علي (ت 832 هـ). شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ط1،مكتبة الباز مكة المكرمة، 1421هـ/ 2000م.

(62) الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد (ت 832 هـ)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد،(القاهرة، 1383هـ/1964م)

(63) الفيومي: أحمد بن محمد علي المغربي: المصباح المنير في غريب الشرح، مطبعة مصطفي الحلين، مصر.

(64) القلقشندي: أبي العباس أحمد بن على، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، (بدون تاريخ).

(65) المحبي: محمد بن فضل الله بن محب، خلاصة الأثر في أعيان الحادي عشر.

(66) المحبي: محمد بن فضل الله بن محب، نفحة الريحانه ورشحة طلاء الحانة، بيروت دار الكتب العلمية 1426هـ/2005م.

(67) المغربي عبد السلام الدرعي، ملخص رحلة عبد السلام الدرعي المغربي، عرض وتلخيص، حمد الجاسر، دار الرفاعي للنشر والتوزيع، 1403هـ/1983م.

(68) المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد بن أبي بكر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق محمد بن مخزوم، بيروت، دار أحياء التراث العربي، 1408هـ /1987م .

(69) المقريزي: تقي الدين أحمد علي (845هـ)، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب،1975م.

(70) الملواني: يوسف، تحفة الأحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، دراسة وتحقيق، عماد أحمد هلال، وعبد الرزاق عيسي، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة

(71) النهروالي: القطبي عبد الكريم بن محب الدين النهروالي (ت1014هـ) إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، تعليق، أحمد محمد جمال، عبد العزيز الرفاعي، دار الرفاعي، الرياض، 1403هـ/1983م.

(72) النهر والى: محمد بن احمد بن محمد (ت 990هـ)، البرق اليماني في الفتح العثماني،اشرف على طبعة حمد الجاسر،الرياض منشورات دار اليمامة، للبحث والترجمة، 1378هـ/1967م.

(73) النهروالي: محمد بن أحمد بن محمد، كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام تحقيق علي محمد ط 1 مكتبة الثقافة الدينية 1425 هـ /2004م

(74) النيسابوري: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة خليل مأمون ، دار المعرفة بيروت 1426هـ/ 2005م.

(75) يحيى بن الحسن بن القاسم بن محمد بن على، تحقيق: سعيد عاشور، ومحمد مصطفي زيادة، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، القاهرة، دار الكتاب العربي ، (1388هـ/1968م.)

ثالثًا : المراجع

(1) إبراهيم حليم، تاريخ الدولة العلية العثمانية المعروف بكتاب التحفة الحليمة في تاريخ الدولة العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1408هـ/1988م.

(2) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين – دار الكتب المصرية القاهرة 1925م بدون تاريخ .

(3) ابن خميس عبد الله بن محمد، المجاز بين اليمامة والحجاز، ط 3، تهامة، 1402هـ/1981م.

(4) ابن دهيش: عبد اللطيف بن عبد الله، قيام الدولة العثمانية، ط1، مكة، مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة، 1409هـ/1988م.

(5) أحمد الخولي: الدولة الصفوية، تاريخها السياسي والاجتماعي، وعلاقتها بالعثمانيين، مكتبة الأنجلو المصرية، 1402هـ/1981م.

(6) أحمد الساداتي: تاريخ المسلمين في شبة القارة الهندية، مكتبة الأدب،القاهرة، ب،ت .

(7) أحمد السعيد سليمان. تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة، 1979م.

(8) أحمد زكي بدوي . معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية "انجليزي، فرنسي، عربي " بيروت،مكتبة لبنان، 1978م .

(9) أندريه: ريمون، المدن العربية الكبري في العصر العثماني . ترجمة لطيف فرج، القاهرة، دار الفكر للدراسات 1991م.

(10) أيوب صبري مرآة جزيرة العرب، ترجمة أحمد فؤاد والصفاصفي المرسي، الرياض،دار الرياض للنشر، 1403هـ.

(11) باسلامة حسين عبد الله تاريخ عمارة المسجد الحرام، تحقيق عمر عبد الجبار ط1، القاهرة، دار مصر للطباعة 1964م .
(12) باسلامة: حسين عبد الله، تاريخ الكعبة المعظمة، وعمارتها وكسوتها وسدنتها، (جدة، 1402هـ).
(13) الباشا: حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، دار النهضة العربية، القاهرة،1978م.
(14) الباشا: حسن، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة، دار النهضة العربية.
(15) البدر عبد الباسط: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، 1414هـ/ 1993م.
(16) بدرية بنت أحمد الغامدي، الأسرة الطبرية في مكة في العهد المملوكي، رسالة ماجستير غير مطبوعة، جامعة أم القرى. 1426هـ/2005م.
(17) بديع جمعة أحمد الخولى تاريخ الصفويين وحضارتهم، (دار الرائد العربي، 1976م).
(18) البقلي: محمد قنديل. التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1983م.
(19) بكر سيد عبد الرحمن: أشهر المساجد في الإسلام، كلية الآداب،جامعة الملك عبد العزيز(جدة)
(20) البلادي عاتق بن غيث. معالم مكة التاريخية والأثرية، دار مكة للنشر والتوزيع مكة، 1400هـ/1980م -معجم معالم الحجاز، ط1، مكة المكرمة، دار مكة، 1398هـ/1978م .
(21) البلادي: عاتق بن غيث. أودية مكة المكرمة، (ط1، دار مكة للنشر والتوزيع، 1405هـ/1985م).
(22) البلادي: عاتق بن غيث: بين مكة واليمن رحلات ومشاهدات، دار مكة للطباعة والنشر، مكة، 1404هـ/1984م.

(23) البلادي: عاتق بن غيث، الإشراف على تاريخ الأشراف، (بيروت، دار النفائس، 1423هـ /2002 م) .

(24) البلادي: عاتق بن غيث، معجم قبائل الحجاز، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1403هـ/1983م.

(25) البلادي: عاتق بن غيث، معجم معالم الحجاز، (ط1، مكة، دار مكة للنشر، 1398هـ/1978م).

(26) البلادي: عاتق بن غيث، نشر الرياحين في تاريخ البلد الأمين، تراجم مؤرخي مكة وجغرافييها على مر العصور،ط1، دار مكة للنشر والتوزيع،1415هـ/1994م.

(27) البلادي: عاتق، على طريق الهجرة.

(28) البلادي: عاتق، قلب الحجاز بحوث جغرافية وتاريخية وأودية، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1405هـ/1985م.

(29) بيومي: محمد على فهيم دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني، دار القاهرة، القاهرة 2006م.

(30) بيومي: محمد على فهيم مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني في الفترة 923هـ -1220هـ/ 1517م-1805م، ط1، دار القاهرة للكتاب 1421هـ/2001م.

(31) جارشلي إسماعيل حقي: أشراف مكة المكرمة وأمراؤها في العهد العثماني، ترجمة خليل مراد(البصرة 1406هـ)

(32) الجاسر: حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (معجم مختصر)، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض.

(33) الجاسر: حمد، بلاد ينبع، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض

(34) جوزيف بنس الحاج يوسف، رحلة إلى مصر، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، ترجمه عبد الرحمن عبد الله الشيخ . القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب 1995م .

(35) الحارثي: عدنان بن محمد، عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن التاسع الهجري،القرن الخامس عشر الميلادي، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، 1418هـ/1997م.

(36) الحارثي: ناصر بن علي، المعجم الأثري لمنطقة مكة المكرمة، طبعة التنشيط السياحي

(37) حافظ: عبد السلام هاشم، المدينة المنورة في التاريخ دراسة شاملة، ط3، منشورات نادي المدينة المنورة، 1402هـ/1982م.

(38) حسن أحمد محمود. الإسلام والحضارة الغربية في آسيا الوسطي بين الفتحين العربي والتركي، دار النهضة العربية، القاهرة، 1968م.

(39) حسين: مؤنس الإسلام الفاتح، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1408هـ/1987م.

(40) الحضراوي: أحمد بن محمد، نزهة الفكر في ما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، تحقيق محمد المصري، دمشق، وزارة الثقافة وإحياء التراث العربي، 1416هـ/ 1996م.

(41) الخطيب: مصطفي عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، بيروت، مؤسسة الرسالة 1996م

(42) دحلان: أحمد زيني، الفتوحات الإسلامية، مطبعة السعادة بمصر، 1330هـ.

(43) دحلان: أحمد زيني، خلاصة الكلام في بيان أمراء البيت الحرام زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الوقت الحاضر، المطبعة الخيرية، مصر 1305هـ.

(44) الدويش: أحمد عبد الرزاق، فتاوي اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب الدويش العقيدة، الجنائز والزكاة، تحت إدارة البحوث العلمية والإفتاء، ط 3، 1419هـ /1999م.

(45) الردادي، عايض بن بنية: الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري، الرياض،1413هـ /1992م.

(46) زامباور: معجم الأنساب ولأسرا الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي محمد حسن، حسن أحمد محمود، القاهرة، 1915م.

(47) الزركلى: خير الدين، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء والعرب والمستعربين والمستشرقين (ط4، بيروت، دار العلم للملايين، 1979م).

(48) زين العابدين شمس الدين نجم، معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، الطبعة الأولى، 1427هـ/2006 م.

(49) السباعي: أحمد، محمد تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والعمران، ط 7، مطبوعات نادي مكة الثقافي، 1414هـ/1994م.

(50) سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ترجمة على عودة الشيوخ، تعليق محمد محمود السرياني، معراج نواب ميراز، راجعه محمد إبراهيم على، الرياض، نشر دار الملك عبد العزيز، 1419هـ/1999م.

(51) الشافعي: فريد العمارة العربية في مصر الإسلامية عصر الولاة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970م.

(52) الشريف محمد بن منصور بن هاشم آل عبد الله بن سرور، قبائل الطائف وأشراف الحجاز، ط 1، مطابع الحارثي، الطائف، 1401هـ.

(53) الشريف مساعد بن منصور الحسني. جداول أمراء مكة وحكامها منذ الفتح حتى الوقت الحاضر 8هـ-1420هـ،ط 1، 1388هـ.

(54) الشريف مسعود محمد آل زيد: تاريخ مكة المكرمة من 1041هـ - 1299هـ/1631م -1881م، القاهرة، دار القاهرة،2005م.

(55) الشناوي: عبد العزيز الدولة العثمانية دولة إسلامية مفتري عليها، القاهرة،مكتبة الأنجلو المصرية،1980م.

(56) صبان بن سهيل: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية بكلية الملك محمد الرياض 1421هـ/2000م

(57) صبحي عبد المنعم، الشرق الإسلامي زمن المماليك والعثمانيين، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، 1995م.

(58) الصبحي: يوسف محمد أحمد محمد، وسام الكرم في تراجم أئمة وخطباء الحرم، بيروت،دار البشائر، 1426هـ/2005م.

(59) الصلابي علي؛ الدولة العثمانية. عوامل النهوض وأسباب السقوط، عمان، دار البيارق، 1420هـ/1999م.

(60) الصواف: فائق بكر، العلاقة بين الدولة العثمانية وإقليم الحجاز في الفترة من 1293هـ-1334هـ/1876م -1916م، القاهرة، 1398هـ/ 1978م.

(61) الطيب: راوة عبد الفتاح حسين إسماعيل . تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام من 8هـ-1421هـ، مكتبة المعارف، الطائف .

(62) عاشور عبد الفتاح العصر المملوكي في مصر والشام، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965م.

(63) عبد اللطيف: ليلي، الإدارة في مصر في العصر العثماني، القاهرة، جامعة عين شمس،1978هـ.

(64) العبد: عفاف مسعد السيد، دور الحامية العثمانية في تاريخ مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،2000م.

(65) العبيدي: عبد الجبار، الطائف ودور قبيلة ثقيف العربية، الرياض دار الرفاعي 1402هـ / 1998م .

(66) العبيكان: طرفة عبد العزيز الحياة العلمية والاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن الهجري، الرياض، 1416هـ/1996م

(67) على باشا مبارك، الخطط التوفبقية، القاهرة دار الكتب المصرية، 1969م.

(68) عمارة محمد، قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة 1993هـ .

(69) عمر: سميرة فهمي على، إمارة الحج في مصر العثمانية، القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب سلسلة، تاريخ، مصر للمصرين، عدد 200، 2001م.

(70) غربال: محمد شفيق . الموسوعة العربية الميسرة، دار نهضة لبنان للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.

(71) فارتيما: رحلة فارتيما الحاج يونس المصري، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1994م .

(72) فالتر هنتس: المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العلي، منشورات الجامعة الأردنية، ب-ت

(73) الكردي: محمد طاهر التاريخ القويم لمكة وبيت الله الحرام، طبعة جديدة، بإشراف عبد الملك بن دهيش،ط3، مكة المكرمة، مكتبة الاسدي للنشر والتوزيع، 1425هـ /2004م

(74) مالكي: سليمان عبد الغني محمد جمال. الطبريون مؤرخو مكة المكرمة، نشاطاتهم العلمية ووظائفهم في الحرم خلال القرن الثامن الهجري، (ط1، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، 1426هـ/2005م).

(75) ماهر: سعاد، البحرية في مصر الإسلامية وأثارها الباقية، دار المجمع العلمي، جدة، 1399هـ/1979م.

(76) المحامي: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، ط، دار النفائس، بيروت، 1406هـ/1986م.

(77) محمد أحمد دهمان. العراك بين المماليك والعثمانيين، دار الفكر، سوريا، 1986م.

(78) محمد السيد مصر في العصر العثماني في القرن السادس عشر، القاهرة،مكتبة مدبولي،1418هـ.

(79) محمد الشفناوي متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، دار القاهرة الأورفان الجديدة 1419 هـ /1999م.

(80) محمد شوكت، التشكيلات العسكرية والأزياء العسكرية العثمانية منذ بداية تشكيل الجيش العثماني،ترجمة دار طرس للدراسات والترجمة، دمشق، 1988م.

(81) محمد عمر رفيع مكة في القرن الرابع عشر الهجري، منشورات نادي مكة المكرمة.

(82) مرداد: عبد الله أبو الخير، المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر، اختصار وترتيب محمد سعيد العمودي، أحمد على، مطبوعات نادي الطائف الأدبي 1398هـ/ 1978م

(83) المصري: جميل، حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، دار أم القرى عمان، 1410هـ/1989م.

(84) مصطفي بركات الألقاب والوظائف العثمانية

(85) المعلمي عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم . أعلام المكين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، 1421هـ/2000م.

(86) هارولد لامب سليمان القانوني، ترجمة شكري نديم القاهرة مؤسسة، فرانكيلين 1961م.

(87) الهريدي: إصلاح شؤون الحرمين الشريفين في العهد العثماني، دار الزهراء، القاهرة.

(88) الهيلة محمد الحبيب. التاريخ والمؤرخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر ط1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي 1994م.

(89) ياغي، إسماعيل أحمد، ومحمود شاكر. تاريخ العالم الإسلامي الحديث المعاصر، مكتبة العبيكان،الرياض، 1424هـ/2003م.

رابعًا: الرسائل العلمية الجامعية

1. ابتسام بنت محمد صالح عبد الواحد كشمير مكة المكرمة، من بداية الحكم العثماني إلى نهاية القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي (923هـ-1000هـ/1517-1591م) دراسة سياسية حضارية، مطابع جامعة الملك عبد العزيز، جامعة أم القرى 1422هـ/2001م. رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث.

2. أمال رمضان صديق الحياة العلمية في مكة المكرمة، رسالة دكتوراه بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، 1427هـ/2006م.

3. بدرية بنت أحمد الغامدي: الأسرة الطبرية في مكة في العهد المملوكي. رسالة ماجستير غير مطبوعة، غير مطبوعة، جامعة أم القرى 1426هـ/ 2005م

4. حسن: فاطمة محمد، الوظائف في الحرم المكي، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي غير منشورة، جامعة أم القرى، 1426هـ /2005م.

5. الطبري عبد القادر محمد كتاب نشأت السلافة بمنشآت الخلافة، حمد محمد العريناني، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أندروس، إنجلترا، 1972م.

6. عادل محمد نور غباشي المنشآت المائية لخدمة مكة المكرمة والمشاعر المقدسة في لعصر العثماني رسالة دكتوراه غير مطبوعة جامعة أم القرى،1410هـ/1990م.

7. عبد الحفيظ بن حمدي السالمي: الحياة العلمية في مكة خلال العهد المملوكي، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة أم القرى، 1424هـ/1425هـ.

8. محمد الحربي نظم الحكم والإدارة في مكة المكرمة في العهد العثماني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الملك عبد العزيز جدة، 1427هـ.

خامسًا: الدوريات

(1) ابن دهيش عبد اللطيف ملامح الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني،منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمورسيكية والتوثيق والمعلومات، زغوان 1428هـ/ 1988م.

(2) رمضان: مصطفي محمد، وثائق ومخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبان العصر العثماني بحث من أبحاث مؤتمر دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الأول الجز الثاني، الرياض 1979م

(3) صلاح هريدي: الحجازيون وحياتهم الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الإسكندرية في العصر العثماني من 923هـ - 1213هـ/ 1517م-1798م. مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية،مجلد 34 سنة 1986م.

(4) طه عبد القادر عمارة، وعدنان محمد الحارثي أبواب المسجد الحرام في العصر العثماني، تطور عمارتها وأسمائها، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان،عدد2001،10،9م.

(5) عايض محمد الزهراني دور المرأة المكية في الحركة العلمية في القرن التاسع، مجلة الدارة، عدد 3، السنة 34 العام 1426هـ.

(6) عبد الرحيم العلمي مجتمع مكة في آداب الرحلات المغربية، بحث مقدم إلى ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، المحور الثاني الحياة الاجتماعية للمجتمع المكي ط1 جامعة أم القرى 1426هـ / 2005م .

(7) عبد اللطيف إبراهيم، وثائق الوقف على الأماكن المقدسة، بحث من أبحاث مؤتمر دراسات تاريخ الجزيرة العربية الكتاب الأول ج2.
(8) عواطف محمد نواب ملامح الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة خلال القرن العاشر الهجري، مجلة الدارة، عدد3 سنة 31،رجب 1426هـ 31.
(9) محمد علي السيد: الرعاية الصحية في مكة المكرمة في العصر المملوكي، المجلة المصرية للدراسات التاريخية عدد(28) القاهرة 1998م.

تم حذف الفهرس
وتفعيل خاصية البحث

وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين
راكان الطويّل
22-2-2024